

جرجیس فتح اللہ

رجال وقائع

یہ المیزان

جرجيس فتح الله

رجال وقضايا

في الميزان

حوار أجراه

مؤيد طيب سعيد محيي

نشر تباعا في جريدة خهبات

لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني

ابتداءً بالعدد ١٠٠٣ في ٢٤/١١/٢٠٠٠ حتى ١٠٢٦ في ١٨/٥/٢٠٠١



دار ثاراس للطباعة والنشر
السلسلة الثقافية

صاحب الامتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران احمد حبيب

*

الكتاب: رجال ووقائع في الميزان

حوار مع الأستاذ: جرجيس فتح الله

اجراه: مؤيد طيب و سعيد يحيى

من منشورات دار ثاراس- رقم: ٦٧

التصميم والإخراج الفني: بدران أحمد حبيب

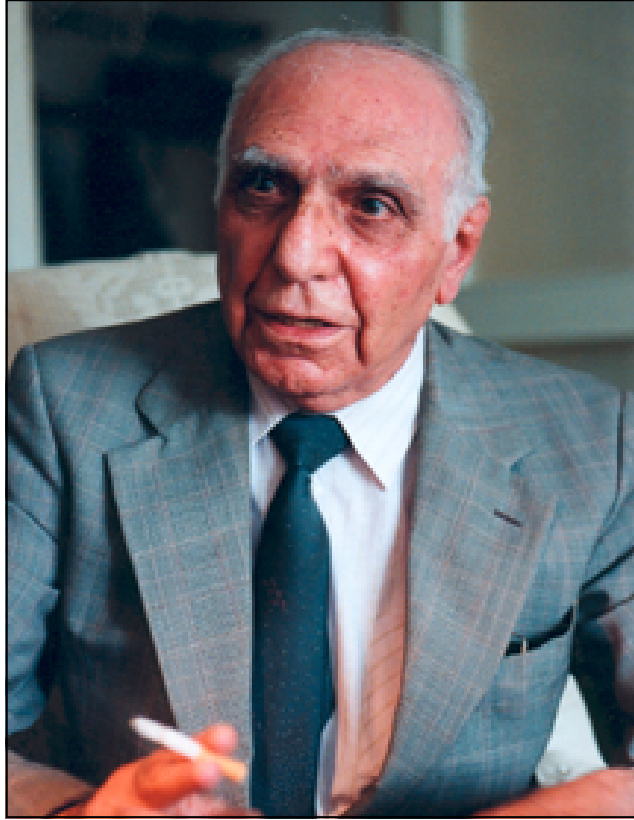
الغلاف: شكار شيخ عفان النقشبندي

خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده

الطبعة الأولى - اربيل ٢٠٠١

رقم الإيداع في المديرية العامة لثقافة والفنون في اربيل ٢٥٧ لسنة ٢٠٠١

مطبعة التربية- اربيل



الأستاذ جرجيس فتح الله

تعريف بالكتاب

عرضت عليّ مؤسسة ناراس للنشر والتوزيع جمع الحلقات التي إنتظمتها حوار جريدة خهبات لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني. بعد أن أنجزه السيدان الأديبان مؤيد طيب وسعيد يحيى وأكملاه في واحدة وعشرين حلقة، وضمها الى كتاب موحد ليكون من ضمن سلسلة كتبها. فبادرتُ الى الموافقة شاكراً ومسوراً.

وكانت فكرة الكتاب مناسبة قد تتيح لي إعادة النظر فيما تحدثت به وإجراء التعديل أو الحذف أو التفصيل في الآراء والأحداث التي بسطتها إستدراكاً لما فاتني قوله أو ما لم تسعفني الذاكرة به ساعة السؤال المباحث، وليس الحديث المرسل كالكتابة التي يسبقها تفكير وإعادة نظر - إلا أنني لم أنتهز الفرصة لإجراء أيّ تعديل وفضّلت أن تنشر (ناراس) الحوار برمّته كما ظهر تماماً في جريدة خهبات وقصرت عملي على تصحيح الأخطاء المطبعية الكثيرة جداً التي وقع فيها المسجّل فضلاً عن إضافة عبارة أو إثنين سقطتا منه في أربعة أو خمسة مواضع. إلا أنني عمدت الى إضافة حواشٍ وتعليقات توضيحية على المجموعة، مشفوعة بجملة بحوث صغيرة إيضاحية لشرح آراء ومقاصد معينة ما كان يمكن الخوض فيها في مقام السؤال والإجابة وبسبب الحاجة الى إستشارة بعض المضان والمراجع.

ليس بوسعي وأنا أشرف على ختام كلمتي هذه إلا أن أنوه بالحفاوة والإهتمام الذي لقيه هذا الحوار من القراء، الذين أمطروني بثناء لأستحق بعضه بسبب ما إستشفوا من الآراء التي بسطتها وهي على حد تعبيرهم آراء جريئة جديدة لا عهد لهم بمثلها.

وهذه على كل آرائني بسطتها وأنا المسؤول عنها وحدي.

جرجيس فتح الله
مصيف صلاح الدين

٢٠٠١/٦/١٠

حوار مع الكاتب والباحث المعروف

الأستاذ جرجيس فتح الله

كانت جريدتنا في عدد سالف -قد وعدت قراءها بفتح حوار متعدد الجوانب مع الاستاذ جرجيس فتح الله، واعدت في سبيل ذلك مجموعة من الأسئلة بعناية وشمولية قدر الامكان وبأطمئنان تام من اجابات له صريحة كثيراً ما تتسم بجرأة مثلما عودتنا تأليفه ومقالاته. وقد تناولنا فيها جانباً من حياته الفكرية والعلمية والمواقف السياسية التي مرّت به ومرّ بها. لاسيما دوره في الحركة التحررية الكوردية. ومجهوداته القلمية في ميادين التأليف والنشر والصحافة. وكذلك عن آرائه ووجهات نظره في احداث حاسمة من تاريخ العراق الذي عاصره، وذكريات له عن علاقات بشخصيات علمية ووطنية بارزة، فضلاً عن رجال حكم اشتهر امرهم وياتت اعمالهم حديث الناس.

وانتظم حوارنا مع الاستاذ في ثلاثة عشر سؤالاً رئيساً، أرتأينا أن نضعها أمام أنظار القراء مثل وضع الاجابات برمتها أمامهم، قاصدين بذلك التأكيد لقرائنا الافاضل بأن تغييراً ما لن يطرأ على أي منها وأن لا تبديلاً ولا اضافةً ولا حذفاً قد يعمد اليه فيها على ضوء رد فعل الاجابات المتتابة.

ودونك ايها:

- * بدأت بالكتابة في مقتبل العمر، هل لنا أن نتحدثوا عن البدايات؟
- * دخلتم كلية الحقوق ببغداد عام ١٩٣٩ وزاملتم شخصيات عديدة كان لها الأثر الكبير في الحياة السياسية والثقافية العراقية، نرجو أن نتحدثوا عن بعض هؤلاء ومواقفهم.
- * زاولتم مهنة المحاماة واشتهرتم كونكم المحامي الذي لا يخسر في قضية.. هل تذكرون مرافعات عالقة بذاكرتكم الفذة؟
- * بدأت حياتكم السياسية والحزبية، بالانتماء الى حزب الشعب الذي كان يرأسه المناضل المعروف عزيز شريف، ثم قدمتم استقالتكم منه وانتميتم الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني، متى كان ذلك وكيف؟
- * أسستم في مدينة الموصل جريدتي الروافد والحقيقة ورأستم تحريرهما، ماذا كان طابعهما، وكيف تقومون بتجربتكم تلك بعد مرور كل تلك السنوات؟ وماذا كان تأثير الجريدتين على الحياة السياسية في الموصل وخارجها آنذاك؟

* اعتقلتم عام ١٩٦٣ لأسباب سياسية وحكم عليكم بالأعدام وبقيتم في السجن مدة خمسة أعوام ونصف العام. ماهي المعاناة وكيف كانت المعنويات، ومتى الخلاص من الحكم؟
* التحقتم بصفوف الثورة الكوردية وكنتم قريبين من شخص القائد مصطفى البارزاني. وخلال سني الثورة جرت عدة مفاوضات بين الثورة الكوردية والحكومات العراقية، اهمها المفاوضات التي سبقت توقيع اتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠، كيف كانت دبلوماسية البارزاني في تلك المفاوضات؟

* كلفتم بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٤ من زعامة الثورة الكوردية باعداد مشروع للفدرالية يقدم الى الحكومة المركزية، اين صار المشروع؟ وهل تتذكرون أهم بنوده أو فقراته؟
* تقرر قبل فترة وجيزة تكريم عدد من الشخصيات العراقية والعربية كانت لها مواقف مشهودة من القضية الكوردية هم: جمال عبدالناصر، عزيز شريف، كامل الجادرجي، محمد مهدي الجواهري، اذا كان بالأمكان توضيح مواقفهم التي يجهلها هذا الجيل من ابناء شعبنا.

* كانت لكم علاقة قوية بالشاعر محمد مهدي الجواهري، وحسب علمنا فقد ذكركم في الجزء الثاني من مذكراته، لكننا لاحظنا غيابكم في مهرجان مئوية الشاعر الكبير الذي اقيم مؤخراً في الاقليم، ترى ما السبب في هذا الغياب؟

* رشحتم عام ١٩٧٠ لعضوية المجمع العلمي العراقي، ولم يتم ذلك، ما السبب؟
* هناك شخصيات سياسية لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية العراقية، ولازالت مشار جدل: نوري السعيد، رشيد عالي الكيلاني، بكر صدقي، سعيد قزاز، عبدالكريم قاسم.. يمكن التحدث عنها ولو بأيجاز.

* عدتم الى كوردستان بقصد الإقامة الدائمة.. فما الذي يشغلكم الآن من مشاريع التأليف والترجمة؟

عرضت هذه الأسئلة على الاستاذ فلم يبد اعتراضاً على أي منها ولم يعتذر عن الاجابة عنها جميعاً ووعد أن يفعل ذلك مشكوراً بجلسات سننشرها تباعاً بحلقات مسلسلية، في جريدتنا وفي (برايه تي) ايضاً مترجمة.

الصبا والحادثة

س: بدأت بالكتابة في مقتبل العمر، هل لنا ان نتحدثوا عن البدايات؟

اريد أن أمهد لجوابي بهذه الكلمة ان سمحت لأنني الآن في موقف صعب، موقف الحديث عن نفسي وهو ما اتحاشاه كلما وجدت الى ذلك سبيلاً وأمنت مخرجاً، فالناس في معرض هذا الموقف طائفتان طائفة تطرب وتصاب بخيلاء بل وتصطاد كل فرصة تعن للتحدث عن اعمالها ومنجزاتها بصدق او كذب او مبالغة، وبما يبدو نوعاً من الزهو والتعالي. وبعضها وهو الارب الداهية يتصنع التواضع ويتعمد التقليل من أهمية دور معين له سئل عنه في سبيل انه يهد لنفسه السبيل الى مبالغة او تهويل في دور آخر.

ثم اني لا اعتبر نفسي من اولئك الانطوائيين. وتلك هي الطائفة الأخرى التي تضمن بوقائع حياتها وتجاربها عندما يطلب منها الحديث عنها، فانا كاتب وكثير من الاوساط تدرجني في عداد المؤرخين وذوي الافكار المستجدة، وانا أحمل على عاتقي ثقل أكثر من عشرين كتاباً مؤلفاً و مترجماً ووطابي مملؤ بأبحاث ومقالات بالعشرات. في امهات المجلات والصحف.

اذن فما اظن حياتي بمثل هذه التفاهة، بحيث يخجلني الحديث عن طرف منها، ولا اظنها غير جديرة بالأذاعة والنشر. وان اعتبرنا معدل ثلاثين عاماً للجيل البشري الواحد، فعمري يعادل جيلين وأكثر من نصف جيل رافقت عهد الانتداب وانا صبي، وعشت العهد الملكي والاستقلال وعانيت منه وانتفعت به وواكبت انقلاباته العسكرية وثوراته وانتفاضاته المحلية. وقاسيت من هذا العهد الذي يطلق عليه اسم «الجمهوري»، وفي معظم الاحيان كان دوري في الاحداث ضئيلاً جداً أو هامشياً. بل كان في الواقع دور المتفرج المراقب، والضحية. لم اعرف إسمي في عالم السياسة والحياة العامة مرتبطاً قط بحدث كبير، خلا مقالات ثلب وتشهير بي تنشر بين آن وآخر. ولم اتقلد منصباً رسمياً يتاح لي الانطلاق عبره في عالم الحياة السياسية وليطلب مني أو لأقدم هنا او في اي مكان آخر حساباً بسببه. وبمختصر القول كنت واحداً من القلة التي كتبت لها السلامة بين آلاف طحنتها غوائل الاحداث المأساوية التي آلت بالعراقيين. لا امتاز عنهم الا ببعض شهرة غنمتها من معالمتي الكتابة تأليفاً وصحافةً. وليس في حياتي ما أخجل منه وما احاول اخفاه.

انه ليبهجني حقاً ويغمرني بالسعادة أن ألبى طلب جريدة «خهبات» و«برايه تي -التآخي» فقد رافقت «خه بات» عضواً في اسرة تحريرها منذ ولادتها في العام ١٩٥٩، وبأسمي

وتوقيعي قدمت طلب استئناف اصدار «التآخي» عقب الحادي عشر من آذار في العام ١٩٧٠.

والآن الى السؤال: تسألني كيف كانت البداية، وانا لا ادري كيف اضع نهاية للبداية، قبل التورط في الحديث عن بداية النهاية.

للووسط عامل كبير. نشأت لأبوين يحسنان القراءة في عصر غلبت عليه الامية. وفي المنزل عدد كبير من الكتب الدينية كانت كما يحدثوني به، مصدر اهتمامي الخاص بتقليبها وانعام النظر فيها، عازفاً عما يشغل امثالي من المسليات وضروب اللهو، الأمر الذي حمل الوالدة - ربما تخلصاً من اسئلتني الكثيرة واشغال وقتها- على اخذي الى المدرسة الاولية القريبة من دارنا ولم اتجاوز الخامسة بأكثر من بضعة أشهر، بغية تسجيلي في الصف الاول. وتقول لي الوالدة ان مدير المدرسة وهو كاهن سرياني سأل عن عمري ولم يكن يُقبل اذ ذاك من قلت سنه عن سبع، وعندما انبأته به اجابها مازحاً: "لماذا لم تأتي بمهد معه". وادركت الوالدة المزحة وحدثته عن شدة تعلقي بالكتاب والاسئلة المزعجة التي القيتها عليها حولها ليل نهار، فقال لها "اذهبي وزيدي في عمره سنتين وسأقبله".

في ذلك الحين وبعد صدور قانون الجنسية العراقية كان يتم تصحيح العمر بالزيادة والنقصان في سجلات النفوس بحكم قضائي ولا اشكال في ذلك. لا يقتضي له غير اثنين من الشهود الكذابين أو الصادقين مع طلب يتقدم به وليه الى محكمة الصلح. وهكذا أضيف الى عمري سنتان ودخلت المدرسة. وفي التاسعة كنت استخدم في دروس الانشاء تعابير وكلمات تشير الحيرة في معلمي وهو القس نفسه، في محلها احياناً وفي غير محلها وهي حصيلة قراءة مشوشة لكل ما في المنزل من كتب دين مثني وثلاثاً. ثم جاء المد الكاسح.

كانت شقيقة كبرى لي قد دخلت مدرسة عرفت في الموصل حينذاك بأسم دار المعلمات، وقد استقدمت لها وزارة المعارف طائفة من المدرسات اللبنايات من ذوات الشهادات العالية فهينن لطالباتهن مكتبة حفلت بكل ما اخرجته المطابع اللبنانية والمصرية من كتب ادبية وقصص وروايات وفرضن على الطالبات تقديم ملخص بالكتب التي يستعرنها، شرطاً للنجاح، وكانت اشغال المنزل تملك على الشقيقة جل اوقاتها تقريباً فلا تسمح لها بقضاء الساعات الطوال في قراءة كتاب يزيد عدد صفحاته عن المائة او المائتين، فاستغلت في ذلك الميل الشديد وصارت تدفع الي بالكتب المستعارة واقوم بقراءتها -على ضوء مصباح النفط، اذ كانت المصابيح الكهربائية آنذاك امتيازاً للطبقة الموسرة جداً- ثم اقوم بتلخيصها لها شفاهاً او كتابة. ويفضل الشقيقة أمد الله في عمرها عرفت روايات جرجى زيدان كلها ابتداءً من (عذراء قريش) وانتهاءً بـ(المملوك الشارد) وعرفت منقولات المنفلوطي ومؤلفات جبران واضرابه من ادباء

المهجر، ثم تأتي الأمور مواتية وينسق فريد فتقذف بي وانا في السنة الأخيرة من الدراسة الابتدائية الى مقعد في صف تولى تدريس العربية فيه الاستاذ العلامة الكبير عضو المجمع العلمي فيما بعد صاحب المؤلفات الأثرية والتأريخية «گورگيس عواد»، كنت بلا جدال تلميذه المفضل، ثم لحقت به وهو يؤرخني زميلاً في كتابه الموسوعي ذي المجلدات الثلاثة «معجم المؤلفين العراقيين» كان ذلك في العام ١٩٧٠ وهو وقت صدوره على ما اذكر. ومن الأستاذ تذوقت الشعر العربي وصرت احفظ مئات القصائد ومنه ايضاً كانت اول تجربة لي في آداب الغرب لكثرة ما كان ينتقي لنا للمحفوظات من شعراء المهجر كأيليا ابي ماضي ونسيب عريضة وميخائيل نعيمة واضرابهم. واذكر مما اذكر انه كان يوزع علينا بعض مترجمات عن الادب الغربي بقيمة زهيدة، منها ترجمة مختصرة لرواية «جول فيرن» الشهيرة «الصعود الى القمر». كنت اذكرها له كلما شاهدت واحداً من الافلام السينمائية العديدة التي اقتُست لها. في تلك الحقبة المشوشة من متابعاتي الفكرية كانت ثم بعثة تيشير امريكية قد فتحت لها دكاناً صغيراً مطلاً على شارع نينوى للمطالعة المجانية حشدت فيه اخلاطاً من كتب دينية وتراجم ومنقولات عن الآداب الغربية وفيها ما يباع بثمن زهيد، وبالقليل مما كان يقع بيدي من مال عرفت واقتنيت بعض تراجم تلك الملخصات الثرية الشهيرة التي عملها (هارولد وماري لامب) لتمثليات وليم شاكسبير، واقاصيص چارلس ديكنز. عرفتها قبل أن يتقدم بي العمر لألتذ بأصولها وباللغة التي كتبت بها.

واحتجت الى خزانة لما كان قد تجمع لي من كتب ودواوين، وأظنه كان صندوقاً خشبياً للصابون او الشاي فجعلت فيه قطوعاً خشبية. وفي مدينة الناصرية وقد قضيت فيها سنتين مع شقيقتي التي كانت تدير مدرسة اولية، وجدت فيها سبيلي الى المجالات المصرية التي كانت تصدرها دار الهلال. وتيسرت لي مجلة «المقتطف» العلمية وكنت اقرأها ولا أفهم الكثير من مقالاتها، وشدتني عرى صداقة خيالية رائعة بالكاتين المصريين سلامة موسى ومحمد عبدالله عنان، ثم بالكاتين الشهيرين عباس محمود العقاد وعبدالقادر المازني. كنت اطالع كل شيء يقع تحت يدي ويسبب من هذا لم أكن بين الطلاب الاوائل، الا اني كنت احرز درجات غير مسبوقه في اللغتين العربية والانكليزية والتاريخ وبدأت وأنا في الثالث المتوسط اقرع ابواب النظم. ونشرت قصائد محكمة النسخ مضبوطة على قواعد العروض، لأكتشف بعد قليل بأني لست من اصحابه رغم اني نلت الجائزة الثانية به في مهرجان المسابقة الادبية التي اقامها نادي الجزيرة في اواخر (صيف) العام ١٩٣٨ على ما اذكر.

قد لا يكون لذكر اسماء بعض من يضطرنني السياق الى اثباتهم -أهمية لقارئ وقد طوى الردى كثير منهم وانا اجهل ما حل بالبقية، لكن وللتأريخ اذكر ان الفائز بالجائزة الاولى آنذاك

كان الدكتور حسن زكريا الذي عهدت اليه وكالة وزارة الخارجية ايام عبدالكريم قاسم وكان الفائز بالجائزة الثالثة ناثر أكرم العمري الذي اصبح سفيراً لبلادنا في عدة دول، وكانت جائزتي الثانية كتابا (فجر الاسلام) و(ضحى الاسلام) للكاتب المصري الكبير احمد امين بمجلداتهما الاربعة.

ومن بين المحكمين كان الاديب الكبير عبدالحق فاضل الذي قدر له ان يمثل الانعطاف الحاسم في بداياتي وانا اتوقل درجات الكتابة للجمهور.

عبدالحق فاضل ويوسف الحاج

ومجلة "المجلة"

افتتح عبدالحق وزميله يوسف الحاج الياس -أحد اقطاب الحزب الوطني الديمقراطي ومن مؤسسيه فيما بعد- مكتباً للمحاماة اثر فصلهما من وزارة الخارجية ايام تولي نوري السعيد الوزارة وبحجة تطهير الوزارة من العناصر السياسية غير المرغوب فيها. فأصدرنا مجلة «المجلة» الشهرية التي ما لبثت أن استقطبت عدداً كبيراً من احرار الفكر والادباء والشعراء المعروفين في انحاء القطر. كان بين الشعراء اكرم فاضل وانور خليل وانور شاذول فضلاً عن عبدالحق وبين كتاب القصة (ذو النون ايوب)، وطه الشيخ احمد العسكري الذي اذكر انه كان يذيل اقصيصه بحرف (ط) وهو العميد الركن الذي قتل في دار الاذاعة مع عبدالكريم قاسم في انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣. وبين الباحثين والمؤرخين الذين دقت ايديهم باب الشهرة بتأليفهم، الدكتور مجيد خدوري^(١). الذي يشغل الآن منصب رئيس قسم الدراسات الاستراتيجية الشرق اوسطية في جامعة جون هوبكنز بواشنطن والدكتور العالم الكبير عبدالجبار عبدالله رئيس جامعة بغداد في عهد (قاسم) والأديب والشاعر النجفي جعفر

(١) المولود في الموصل (١٩٠٨) من كبار العلماء والمؤرخين العراقيين المعاصرين. إتخذ التعليم مهنة وتقلب في عدة مناصب بها. ليغدو في أواخر الأربعينات أستاذاً للتاريخ في دار المعلمين العالية. وفي الخمسينات أنتدب لإلقاء المحاضرات في الولايات المتحدة، فإتخذها وطناً ثانياً ولم يقطع علاقاته بالوطن الأم. وإرتفعت به المناصب فكان أستاذاً للتاريخ الشرق أوسطي في جامعة (جون هوبكنز) الشهيرة وأصدر خلالها مؤلفاته «العراق المستقل والعراق الجمهوري والعراق الإشتراكي». وقد تُرجم ثانيهما الى العربية. كان مديراً لمركز الدراسات الشرق أوسطية ومعهد الدراسات الدولية المتقدمة في الجامعة نفسها. نشأت بيني وبينه علاقات صميمية ومراسلة متواصلة. مؤخراً أنبأني قبل تركي السويد بأنه سيدخل المستشفى لإجراء عملية جراحية شفاه الله.

الخليلي والأستاذ سعيد الديوجي، وكنت اصاب بنشوة كلما ظهرت لي كلمة او قطعة شعرية اذ اجد اسمي بين اسماء هؤلاء الذين يكبروني مركزاً وعلماً وسناً. كانت صحبة هذين المحاميين الفكرية واحدة من اجل النعم التي حباني بها الله. ما اشعرني (عبدالحق) بفارق السن والنضوج العلمي ابداً وهو يأخذني في نزعات على القدم طويلة حتى تلال نينوى الأثرية يحادثني ويسمع مني كما يحدث ويصغي الي ند له ويفتح امامي ابواباً من المعرفة في العلوم والآداب الغربية لاعداد لمطالعاتي بها من قبل.

لا اعتقد ان هذين المحاميين المثقفين الطاهري القلب واولهما عربي النجاد وثانيهما تركماني الأصل قد ارتكبا زلة خلقية في سائر ايام حياتهما وقد طواهما الردى. كان يوسف الحاج الياس بعد تخرجي ومزاويتي المحاماة خير مثال اقتدي به في التعامل مع الناس وآداب المرافعة والاستزادة من الدراسات القانونية، وفضل عبدالحق العودة الى السلك الدبلوماسي عندما طلب منه ذلك. وقلدته الحكومة الايرانية وسام الأستحقاق العلمي من الدرجة الاولى بعد ان نشر الترجمة الكاملة شعراً لرباعيات الخيام. وهي افضل ترجمة وادقها من سائر التراجم العربية بشهادة العلامة المصري الكبير (أحمد أمين) الذي قدم لأول طبعة لها. في اثناء زيارتي الاولى لكوردستان وقع نظري وانا اقلب الطرف في كتب احد وراقني دهوك- على مجموعة قصصه الكاملة وقد اعيد طبعها فهاجت بي لواعج الذكرى، وكان نعيه قد بلغني وانا في السويد قبل اربع سنوات، كيف كنت استقبل مجموعاتها بالتقريظ والتعليق وكلها مألوفة عندي. اذ كان ادبه الجم وتواضعه بأبى الأ يسلمني اياها وهي مخطوطة لأقرأها قبل ان يدفع بها للمطبعة. وتقلبت به المناصب ارتفاعاً، فكان اول سفير للعراق في جمهورية الصين الشعبية ايام (قاسم) وابى عليه خلقه العالي أن يواصل تمثيل البلاد بعد انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣، فاستقال ومُنح حق اللجوء السياسي في بلاد المغرب وكان موضع تجلّة وحفاوة من ملكها الراحل. قال لي الدكتور الباحث (جليل العطية) نزيل باريس ان عبدالحق عاد الى الوطن وسقط ميتاً على درجات كان يتوقلها ولم يشعر أحد بنعيه وشيع منسياً تماماً. وهكذا يكرّم العباقرة الافذاذ عندنا.

لم يعد هناك من يشرف على تحرير المجلة ويتولى امورها بعد عودة عبدالحق الى الوظيفة واعتزم يوسف ايقافها، الا ان (ذا النون ايوب) اصر على اصدارها في بغداد ونجح في نقلها ليتولى امر تحريرها هناك ووافق ذلك دخولي الكلية فواصلت الكتابة فيها.

وقتئذ وانا في الثانوية واجهت اول تجربة عملية في التحرير والنشر، ففي نطاق الدراسة الثانوية كنت عضواً في الهيئة الادارية للجنة الأدب والخطابة. وأوكل الي أمر تحرير نشرتها ويخطر ببالي اننا اتخذنا لها عنوان «الثمرات الاولى» وكان علي أن أشرف على تنسيق

الكلمات والمقالات التي ستتضمنها والاتفاق مع المطبعة والتصحيح وهي في الواقع مهمة كان المفروض ان نتقاسمها أنا ورئيس اللجنة ابراهيم فيصل الانصاري، وقد تحملت وحدي سورة سخط مديرنا الباطش جراء التأخير لأن (ابراهيم) لم يكن في المدرسة اذ ذاك ونجا.

س: عفواً ان قاطعتك، اتقصد ابراهيم فيصل الذي كان رئيساً لأركان الجيش؟

هو بعينه، كان قد التحق قبل انتهاء الدراسة هو وكثيرون من طلاب صفنا بالكلية العسكرية. زملاء كثار تركوا الدراسة واختاروا الاحتراف العسكري، سميت ببعضهم الرتب وكان منهم الصديق والزميل الوفي اللواء الركن احمد توفيق الصائغ، الذي تولى في حين من الزمن القيادة العليا لقوات المواجهة مع الثورة الكوردية (وكانت تسمى قيادة قوة الميدان). لا انسى قط الجهود التي بذلها ايام محتتي واتصاله الدائم بالأهل مواسياً ومشجعاً. وعلى ذكر هؤلاء العسكريين لايسعني اغفال الصديق العزيز (سليم الفخري) الذي التحق بالثورة الكوردية بعد انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ وخدم فيها بأخلاص وتجرد وعانى في سبيلها ما عانى. ربطتنا صداقة الصبا وحرية الفكر (لا العقيدة) وإرتفعت الى علاقة عائلية صحيحة. كانت علاقة لاتسمو اليها أي علاقة مع من قضى نحبه من زملائي الذين إختاروا مهنة الحرب. وقد اشتط في الخروج عن حدود السؤال، لكن لا املك نفسي من ذكر زميل آخر ادركه الاجل لمجرد علاقة بحكاية تعود الى ثورة بارزان في العام ١٩٤٥، وقد سمت به الرتب الى قيادة فرقة على ما بلغني وهو اللواء الركن محمد نوري خليل وكنا نجلس على رحلة واحدة في الصف الثالث المتوسط.

ذات يوم وانا في مكنتبي للمحاماة، دخل علي محمد نوري هذا وهو بيزته العسكرية وبرتبة رائد ركن يستشيرني في قضية نزاع قضائي معقدة ولحظت على صدره شارة نوط الشجاعة فسألته مجاملاً -ولم يكن بخاطري شيء عن الثورة يتعلق بالامر فقد كان مضى عليها ثلاث سنوات- اجاب قلدت الوسام لسبب موقف وقفته هناك في سفوح جبل پيرس: "فقد كنت أمر بطرية مدفعية واحدق بنا الثوار وسقط من افراد طاقمي قتلى وجرحى وهرب الباقون وبقيت وحدي فما كان مني الا ونزعت عن المدفع الباقي الصالح مغلاقه خشية ان يقع سالماً بيد المهاجمين ولست ادري كيف كتبت لي السلامة وانا اتسلل خارج مدى البندقية"، هذا مارواه لي وما حفظته ذاكرتي ولعل احداً من ثوار العام ١٩٤٥ الاحياء من يوثق هذه الحكاية.

واعتقد ان في الجواب عن السؤال اكثر من الكفاية.

زملاء في الكلية: كامل قزانجي

س: دخلتم كلية الحقوق ببغداد في العام ١٩٣٩ وزاملتم شخصيات عديدة كان لها الاثر الكبير في الحياة السياسية والثقافية العراقية، نرجو ان تتحدثوا عن بعض هؤلاء وعن مواقفهم.

في الواقع كانت كلية الحقوق ملاذي الوحيد وفرصتي الاخيرة في التحصيل العالي فقد رُفض طلبي للدراسة في الخارج على نفقة الحكومة، ولم اكن قط مهيباً ذهنياً لإحتراف الحقوق، حينذاك وخريجو البعثات الدراسية على كل حال لا مؤمل لهم غير التدريس، الا المتخصصين في الطب او الهندسة منهم، في حين تفتتح كلية الحقوق ابواب وظائف ادارية وقضائية لمن فضلها على مزاولة مهنة المحاماة. في جو من الانطلاق الفكري والحرية التي يتميز بها هذا المعهد العالي عن ضبط المدارس الثانوية الصارم، وفي صف اناف عدد طلابه على المائة والاربعين، يصعب عليك الارتباط برابطة صداقة محكم كتلك الرابطة التي يتيحها لك صف لا يزيد عدد طلابه عن العشرين، اقصد تلك الصداقة العميقة الجذور التي ظلت تربطني مثلاً بـ(سليم الفخري)، الا انك ستلقى كما لقيتُ وبصدف غير متوقعة، رفيقاً او خدينا يشاركك الرأي او تطمئن اليه اثر لقاء عابر او حديث قصير او رأي يدلي به فيقع منك موقعاً حسناً وبها تنشأ علاقة وثيقة غالباً ما يكتب لها الدوام. من الاخوان الاعزة. دام هذا الرباط على ما اذكر بالدكتور عبدالله اسماعيل البستاني، الذي اصبح فيما بعد عضواً مؤسساً وبارزاً في الحزب الوطني الديمقراطي واثبت له تاريخ البلاد نشاطاً في الحقل الوطني السياسي، وقد ادركته في العام ١٩٥٩ وهو استاذ في كلية الحقوق فالح علي بالحضور في واحدة من محاضراته وفعلت. وزارني مراراً ايام رئاستي تحرير «التأخي» في ١٩٧٠، الصدفة الغربية جمعتنا معاً. لا ادري اي واحد منا كان اعتراضه على رأي ادلى به محاضرنا في درس الاقتصاد السياسي فاسرع احدنا بالدفاع عن الآخر وعلى اثر خشونة الرد من الاستاذ الذي الجأنا معاً الى الخروج من القاعة احتجاجاً وتلك كانت بداية العلاقة. وعليك ان تعلم ان (عبدالله) هو الاخ الشقيق لكل من عبدالقادر اسماعيل ويوسف اسماعيل من ابرز اعضاء الحزب الشيوعي العراقي المؤسسين.

ومن احتل موقعاً في نفسي الزميل (عبدالامير العجيلي) الذي وجدناه في العام ١٩٦٠ بمنصب رئيس الادعاء العام في العراق وواحداً من المشاركين الثلاثة - كما علم - في صياغة

دستور ١٤ تموز المؤقت. وهناك (يوسف جواد المعمار)^(٢). الذي طحنته دوامة الاعاصير الانقلابية السياسية فراح ضحية محاكمة صحراوية واثقل سنوات سجن طويلة بعد العام ١٩٧٠ وكان يشغل منصب مديرية عامة خطيرة حينذاك. ثم كيف انسى المأسوف عليه الاستاذ عبدالرحيم شريف بهدوئه ودمائة طبعه وعلو خلقه وادبه الجم؟ لا ادري كم من هؤلاء سبقني الى دار الفناء وكم ينتظر منهم القطار مثلي فان احتسبنا المقدر على ضوء الاعمار فليس بين هؤلاء من يزيدني سنوات كثيرة، وربما كان المأسوف عليه عبدالرحيم شريف الذي دفع حياته ثمناً لما كان يؤمن به، وبقي حتى النفس الاخير صامداً شامتاً بجلاديه أولهم، كان توقيعني الى جانب توقيعهم عند تقديمنا طلب تأسيس حزب الشعب وهو اخ شقيق للطبيب الذكر الاستاذ عزيز شريف والسبب في تلك العلاقة الوثقى بكل الوفاء والعطف والاحترام المتبادل بيني وبين هذه الشخصية الوطنية الرائعة صديق الشعب الكوردي الصدوق ورفيق مرحلة خطيرة من مراحل نضاله.

الا ان الشخصية البارزة التي كان لها التأثير الكبير في نهج تفكيري السياسي والاجتماعي. وانعكس على اغراض واتجاهات كتاباتي لم تكن بين هؤلاء لم تكن من اترابي امثال الذين ذكرتهم، بل من يزيدني سنأ بعدة اعوام، وهو موصلني النجاد كعبيد الحق وفي حدود عمره. وها اني اتحدث عن هذا المثقف الكبير وكلي شكر لرئاسة تحرير (خه بات) بسبب اتاحة الفرصة الاولى التي نشدتها منذ زمن بعيد لاتحدث عن المغفور له الاستاذ كامل قزانجي، فالى جانب (عبدالحق) كان هو اقرب الشخصيات اليّ وابعداً اثرأ على تكويني الخط النهائي التي اعتمدته في عالم الكتابة والبحث. ودّع الحياة قتيلاً بيد الغدر على مقربة مني، وخلال ساعات حاسمة بين حياة وموت عشرات مرشحين للقاء عين المصير في واحدة من الحفلات الدموية الجنونية الكثيرة التي مر بها اهل هذه البلاد.

في العام ١٩٣٥ وقع نظري عليه لأول مرة وهو مدرس اللغة الانكليزية وانا تلميذ له في الصف الاول المتوسط بمدينة الناصرية، وعلمت اننا من بلد واحد ومن طائفة مذهبية واحدة، وانه اضطر الى قضاء هذه السنة مدرساً لتوفير ما يؤمن له نفقات المرحلة الاخيرة من دراسته الجامعية في بيروت.

ومرت اربعة اعوام لأراه طالباً معي في كلية الحقوق وكانت مفاجأة لم استعد لها، لم يعرفني كثيراً عندما كنت تلميذاً له. ولا اريد ان ادخل في تفاصيل نمو العلاقة بيننا، وكيف تواصلت مع بعد الشقة اي بعد ختام سني الدراسة وفترة دورة الضباط الاحتياط وما اذكره

(٢) كان هو الآخر عضواً مؤسساً لحزب الشعب.



الأستاذ جرجيس فتح الله
صورة التقطت في مصيف توسكه - اربيل

عن هذه الفترة الاخيرة كيف ان صلابته ومنطقه القوي وعناده وبمظاهرتي له، كان يُخرج الملائم الاول احمد حسن التكريتي سابقاً- والمهيب رئيس الجمهورية احمد حسن البكر لاحقاً- كان يخرجهم عن طوره ويملاً صدره حقداً اذ تجعله مواقف (كامل) موضعاً للسخرية والتندر.

كان ذووه يعدونه لخدمة الكنيسة فادخلوه يافعاً معهداً اكليزيكياً. وانتبه معلومه الى ذكاء نادر فيه فبعثوا به الى دير الكرمل في فلسطين للدراسة في معهد ارقى. وفيه درس الفرنسية والم باللاتينية فضلاً عن وقوف جيد على العربية. الا انه اكتشف بعد بضع سنين بأنه ليس اهلاً لتلك الصناعة فعاد وانتظم في ثانوية الموصل وفي العشرينات كان يسمح للطالب النبيه ان يقفز صفين باداء امتحانين، وبهذا استدرك (كامل) مافات من سنوات ولحق باترايه واهلته درجاته في امتحانات البكالوريا الى القبول ببعثة دراسية في جامعة بيروت الامريكية للتخصص في الاقتصاد السياسي، وحمل بروزه في مجال الدراسة والانشطة اللامنهجية الى اناطة عمادة الجامعة به رئاسة وفد طلابي رسمي الى جامعات سويسرا. كان ذلك في اواخر العام ١٩٣٣، وفي حينه كان مندوب العراق في عصبة الامم يحاول باستماتة ادراء الهجمات المنشالة على الحكومة العراقية وركوب موجة السخط العالمي جراء المذبحة التي اوقعتها حكومة رشيد عالي بالآشوريين العزل في قرية سميل من اعمال مدينة دهوك. واتفق وصول الوفد الجامعي وجود الملك فيصل الاول هناك وعدد من الوزراء وهم يعدون باشراف البريطانيين الرد الرسمي على تهمة القتل الجماعي. وعلم الملك عن طريق الصحف ان عراقياً مسيحياً

يرأس وفداً طلابياً لأكبر جامعة في الشرق الاوسط، فهداه تفكيره اللماح وذكاء اشتهر به هذا العاهل الى استخدام هذا العراقي المسيحي الذي لا يد وان يكون شخصاً غير عادي. فاستدعاه وبعد مقابلة وجيزة كلفه بكتابة تقرير بالفرنسية عن وضع الاقلية المسيحية الاجتماعي والامن الذي تنعم به في العراق، قال كامل: «راجعت كتباً ووثائق في المكتبة العامة وجئت الملك بتقرير ضاف سرُّ به كثيراً فنزع ساعته واهدانيها، الا اني سمعت بوفاته بعد ايام قلائل عند عودتي».

وفي العام ١٩٣٧ فاز بالاولية في اختبار التلاميذ الدبلوماسيين بوزارة الخارجية فلم يكن هناك بد من تعيينه. وكانت أبواب الخارجية وقتذاك موصدة بوجه المسيحيين. وجرى تعيينه بدرجة نائب قنصل في الهند، وما لبث ان اختلف مع القنصل العام آنذاك واظنه تحسين قدري او اخاه احمد قدري- وكلاهما صديق مقرب لنوري السعيد ومن السوريين الذين صحبهم فيصل عند اعتلائه العرش العراقي - فقد اصطدمت استقامة كامل بما اعتبره اختلافاً او سرقة، فجوزي على أمانته بتقرير سري يتهمه بحمل الافكار الهدامة وبخطورة وجوده في السلك الخارجي. وفي العام ١٩٣٩ او ربما في اواخر السنة التي سبقتها كان (كامل) من جملة من قرر نوري السعيد فصله، وهكذا وجدته زميلاً لي في كلية الحقوق.

س: اسمع لي بالمقاطعة: الشائع انه كان شيوعياً؟

لم يكن شيوعياً ولم ينسبه الشيوعيون في اي وقت لانفسهم وربما كان بعضهم يعده من «رفاق الطريق» او هو ينضوي تحت الاسم العام الذي يستخدمونه عادة، فيطلقون على امثاله صفة «ديمقراطي» او «وطني» تفريقاً عن «القومي» مثلاً. الا انه كان من جماعة الاهالي والمشاركين في تحريرها لفترة وهو الذي قدمني اليها في العام ١٩٤٣ فكتبت وترجمت لها ولجريدة الزمان. على انه فقد حريته واثقل بخمس سنوات وارسل الى سجن نقرة السلطان في العام ١٩٥٠ او ربما قبلها بسبب تطوعه للدفاع عنهم في محاكماتهم الشهيرة. وبقي عضواً في الحزب الوطني الديمقراطي حتى خطر بباله ان ينشيء فيه «الجناح اليساري» الذي ادى الى فصله من الحزب. وكان ذلك منه وعلي الاقرار بهذا- خطأ فادحاً من رجل يؤمن بالديمقراطية اللاثورية او الديمقراطية الفابية الذي قام حزب العمال البريطاني على فلسفتها^(٣). واظن ان

(٣) الفابية: إسم أطلقه على أنفسهم أولئك الإشتراكيون الذين لم يكونوا يؤمنون بتطبيق الإشتراكية بطريق العنف أو الثورة بل بالتطور والتشقيف، والكلمة مأخوذة بالأصل من إسم القائد والقنصل الروماني فاييوس ماكسيموس كونتراكتور (Fbious Maximus Contractor) (٢٧٥-٢٠٣ ق.م) الذي قاد الجيوش الرومانية بمواجهة زحف هانيبعل =

تسرع هذا كان بسبب التيار القومي العربي الذي كان يمثله حسين جميل احد الثلاثة الكبار في ذلك الحزب. غريب عنه هذا الذي كان يعتز باعتبار نفسه واحداً من تلامذة الفيلسوف الاشتراكي الشهير «هارولد لاسكي»^(٤). وقد ترجم له كتابه «حقوق الانسان» ايام الحرب بمساعدة مالية من دائرة العلاقات العامة البريطانية التي تأسست في بغداد بعد القضاء على حركة مايس، وقد قمت باصلاح يسير لغوي لمخطوطته على ما اذكر.

اقتصاداً في المال كنت وهو نقتني كتب الدراسة بالمشاركة وتبادلها ونستعين على نفقاتنا في ايام الحرب بالقاء المحاضرات في المدارس الثانوية الاهلية وله الفضل في هذا، اذ كان يوصي بي اينما حل واني ادين له بفضل باق. اذ كان اول من وجه انتباهي الى التعرف العقلاني على القضية الكوردية. وكانت مفاجأة لاعهد لقراءاتي ومتابعاتي الفكرية بملها من قبل عندما وضع بيدي موصياً بالقراءة الجديدة: النسخة الانكليزية من (تقرير لجنة التحقيق عن رغبات الاهالي التي عينتها عصبة الامم) بغية الفصل في النزاع على عائلية ولاية الموصل ذات الاغلبية الكوردية بين تركيا من جهة وبين بريطانيا المنتدبة والعراق من جهة اخرى، وهو تقرير لم تر ترجمة عربية له وجه النور قط. وهداني بجانبه الى قراءة كتب اخرى وهذا جرّ الى ذاك ولم اجد نفسي في نهاية العام ١٩٤٨ الا والقضية الكوردية تحتل جانباً كبيراً من دائرة تفكيري لتؤدي بي الى ما تراني.

س: أكانت هناك حركة تحررية كوردية في الاوساط الجامعية وقتذاك؟

في ١٩٣٩ و ١٩٤٠؟ ان كان هناك مخاض وطني كوردي فانا لم اشعر به خلال هاتين السنيتين وكاد يكون دوامي في الكلية منتظماً اما في السنيتين الاخيرتين فقد قل دوامي كثيراً

= في إيطاليا وأبى مواقعه أو الدخول معه في معركة فاصلة بل كان يحاوره ويداوره بصبر وطول بال أكسبه لقب كونتراكتور حتى أنهكه وأوقف تقدمه ثم تغلب عليه. تأسست هذه الجمعية في حدود العام ١٨٨٤ بلندن. وكان من أهم أعضائها الكاتبان الشهيران باتريس وزوجها سدني ويب وإتتمى إليها أيضاً الكاتب الإنكليزي برناردشو. ومن بين أعضائها في مفتح القرن العشرين رامسي ماكدونالد الذي تزعم حزب العمال بين الأعوام ١٩١١ و ١٩١٤. ومن هذه الجمعية خرج حزب العمال البريطاني.

(٤) هارولد جوزيف لاسكي (١٨٩٣-١٩٥٠) عالم وسياسي ومربّ وعضو بارز في حزب العمال البريطاني. إنقلب الى الماركسية فجأة عندما حاول شرحها في كتاب شهير بعنوان «أزمة الديمقراطية». وقد اشتهرت له كتب ومؤلفات تنم عن تفكير سياسي عميق منها «سلطة الدولة الحديثة» و«أسس السيادة». كان في أثناء الحرب العظمى مساعداً للميجر أتلي الوزير في حكومة چرچل الإنتلاقية رئيس حزب العمال. وأصدر خلال ذلك كتباً ضد الفاشية والنازية منها كتاب «حقوق الإنسان» وكتاب «حليفنا الإتحاد السوفياتي» وقد ترجمهما الأستاذ كامل قرانجي في الأربعينات ونشرهما وقمت بمراجعة لغوية لكليهما في حينه.

لانشغالي بالتدريس. ان الشباب الكوردي الواعي آنذاك كان يتجه بصورة عامة الى اليسار. كنت اعرف مثلاً ان السيدين علي حيدر سليمان وحسن الطالباني كانا في وقت ما من عصبة الاهالي، وما كنت اعرف الاستاذ رفيق حلمي الا وهو مدرسي للرياضيات في الناصرية نقل اليها شبه منفي واذكر انه كان يتندر عندما يُسأل عن سبب ابعاده الى الناصرية فيقول: «لأنني سرقت بطيخاً من بستان فلان!» وبصورة عامة كانت هناك بليلة عامة في الاتجاهات السياسية اثناء الحرب وقد استقطبت وظهرت بشكلها البشع المقرف وآثارها المدمرة على الحركة الوطنية والمسار الديمقراطي في العراق نتيجة لمواقف الديمقراطيات الغربية السياسية المخجلة قبل الحرب. والمتغيرات الفجائية اثناء تلك الحرب. وكلنا قاسى منها: القوميون العرب والديمقراطيون واليسار معاً.

في الاعوام الثلاثة التي سبقت الحرب نشطت الدعاية النازية نشاطاً محموماً بفضل الحرية التي سمح النفوذ البريطاني لممثل المانيا الدبلوماسي في النشاط. بل شجع البريطانيون تغلغل الافكار النازية الشوفينية كوسيلة لمحاربة غزوة العقيدة الماركسية والحيلولة دون انتشارها. كانت الديمقراطيات الغربية (بريطانيا وفرنسا) ترى في العقيدة الماركسية ومصدرها الاتحاد السوفياتي الخطر الاكبر فأبتنت سياساتها الخارجية على الوعد الذي قطعه هتلر على نفسه بالقضاء على الاتحاد السوفياتي في كتاب «كفاحي» وتداولت الايدي في العام ١٩٣٨ ان لم تخني الذاكرة الترجمة العربية لهذا الكتاب التي عملها القومي العربي محمد يونس السبعواوي بحرية وبيركات البريطانيين في العراق في الوقت الذي صدر مرسوم مكافحة الشيوعية والآراء الهدامة المعروف. كانت النازية في ذلك الحين اشبه بدرع وقاية.

الا ان هتلر خيَّب ظن هؤلاء الساسة الغربيين اذ فوجئوا قبل اندلاع الحرب باتفاق مولوتوف- ريبنتروب، وفي الثالث من ايلول ١٩٣٩ اعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا اثر اجتياح بولندا واقتسامها بين الطرفين، وتوجهت الجيوش الالمانية الى الغرب بدلاً من الشرق، ثم بدأت الانتصارات المذهلة وخرت فرنسا صريعة تحت اقدام الفاتح بسرعة مذهلة. كل هذا انعكس على موقف اليسار العراقي والقومي بحدة، ولم يسمع للديمقراطيين صوت بل كان هناك تشف وارتياح لما اصاب المستعمر البريطاني من ذلة وكان هنا تنبوء وترقب بانهيار الامبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس. ونسى اليسار العراقي حربه الضارية للنازية واختها الفاشية، فقد اصدر «الكومنترن»^(٥). وهو المعهد السياسي المشرف على

(٥) تنظيم ال(Comintern مختصر للشيوعية الدولية Communist Internationale) وعُرفت أيضاً بالدولية الثالثة. أنشئت في العام ١٩١٩. يضم الأحزاب الشيوعية في شتى الأقطار تحت سيطرة وإشراف قادة الحزب =

الحركات الشيوعية العالمية، ويوحى من الكرملين تفسيره الواجب الاتباع وهو ان الحرب الدائرة هي نزاع امبريالي بين خصمين امبرياليين رأسماليين معادين للبروليتاريا وضد مصالحها. ووجد اليسار العراقي نفسه في موقف متذبذب يدعو الى الرثاء ايام حركة مايس. قسم كان اميناً على تعليمات موسكو هتف للحركة ونشط فيها مع القوميين العرب الذين وجدوا فيها اعظم تحد للنفوذ البريطاني في البلاد الناطقة بالعربية. وقسم اذهلته الصدمة فبقى هاجعاً دون حراك. ولم يطل الزمن بالجهتين لتنتشع الغيوم فبعد اسابيع ثلاثة فوجيء العالم بالهجوم الالمانى الكاسح على الاتحاد السوفياتي. وعلى اثره دار التفسير الماركسي للحرب القائمة دورة كاملة (٣٦٠ درجة) لتغدو تلك الحرب (الرأسمالية) حرباً تحررية هدفها القضاء على نظام يهدد البشرية جمعاء بمدنيتها وقيمها الديمقراطية.

لم اكن في بغداد ايامذاك فقد عدت الى بلدي بعد اسبوع واحد من قيام حكومة الدفاع الوطني وقيمت حتى بداية العام الدراسي التالي. لاجد مقاعد عدد كبير من الطلاب القوميين واليساريين خالياً في مختلف الصفوف ممن نشط في حركة الكيلائي الموالية للمحور وقد جمعوا ووضعوا في معسكر الاعتقال. اما اولئك المترددون الحذرون فقد نجوا.

ووضعت الحكومات التي جاءت بعد حركة مايس باغضاء وسماح متعمد من السلطة البريطانية صاحبة الكلمة الاولى، اقول وضعت القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٣٨ على الرف وراح الشيوعيون يعملون بحرية ويشاركون علنا في المجهود الحربي واخرج الديمقراطيون رؤوسهم من غرارة التبن، فصرت ارى طاقماً جديداً يتردد الى مكتب تحرير مجلة «المجلة». كان هناك من الشيوعيين المعروفين (داود الصائغ) المحامي و(عبدالله مسعود القريني) بل و(يوسف سلمان يوسف/ فهد) بعينه «في مبدأ الامر لم يتبين في يوسف ذلك الفتى الذي كان برفقة شقيقته في الناصرية حيث كنا نزلاء في بيت اخيه. ثم عرفني فهشّ وبشّ ومنحني واحدة من ابتساماته النادرة جداً. وبعدها اهمل الاحتفاء بي ربما بعد ان علم اني لست شيوعياً»، وكان

= الشيوعي في الإتحاد السوفياتي. ومن عنوانه يُستنتج بأن الغرض من إنشائه فضلاً عما ذكرنا، هو نشاطه بين الفصائل والجماعات السياسية المتعاطفة مع الثورة البلشفية من إنشق عن الأحزاب الاشتراكية والحركات الوطنية فأنشأوا أحزاباً شيوعية على غرار النمط الروسي. والهدف الأخير الذي كان يسعى إليه الكومنترن هو تحقيق الثورة العالمية ضد النظم الرأسمالية. كان مقره موسكو. وله مكتب تنفيذي ورئيس. [زينوفيف ١٩١٩-١٩٢٦] و[بوخارين ١٩٢٦-١٩٢٩] ومولوتوف (١٩٢٩-١٩٣٠) ومانيسكيسكي (١٩٣٠-١٩٣٤) وآخرهم البلغاري جورج ديمتروف (١٩٣٤-١٩٤٣). عقد الكومنترن عدة مؤتمرات دولية. وكان في الواقع أداة سيطرة كاملة لموسكو على سائر الأحزاب الشيوعية في العالم. قام ستالين بحله رسمياً إثباتاً لحسن نيته إزاء حلفائه الغربيين في الحرب.

هناك (قاسم حسن) وهو من طلبة الصف المنتهي في الكلية وقد أصبح سفيراً للمجر او جيكوسلوفاكيا في عهد قاسم. الى جانب هؤلاء كان (حسن زكريا) احد الابادي القديمة في المجلة. وسليم طه التكريتي (وهو من زملائي في الكلية) وخدوري خدوري وهو من اقطاب الحزب الوطني الديمقراطي وزميله (يحيى قاسم) النائب فيما بعد. وكلاهما موظف كبير في مديرية السكك الحديد. «المجلة» باتت تعمل لقضية الحلفاء وكان لها صلة بدائرة العلاقات البريطانية ولا ادري اكثر من انها كانت تنشر احياناً صوراً واخباراً تردها من تلك الدار. واستبعد ان تلقى (ذو النون) منها مساعدة مالية. كان فريق من الشيوعيين المرتادين يختفي احياناً فلا يختلف الى المجلة إلا ليعود ثم يظهر فريق آخر ويشق على المرء ان يعرف من هو منتم الى هذه الجهة او تلك اذ كانوا كتلاً متخاصمة، مع كل هذا فقد غلبت على المجلة المواضيع الماركسية الصميمة ومقالات سداها ولحمتها الاشادة بمنجزات الاتحاد السوفياتي في سوح المعارك ومجالات التقدم التكنولوجي والاجتماعي وقلت مساهماتي فيها. الا ان (ذوالنون ايوب) سلمني ذات يوم ملزمتين منتزعتين من كتاب وطلب مني ترجمتها. كانت جزءاً من الترجمة الانكليزية لرواية «الأم» بقلم الكاتب الروسي "ماكسيم غوركي" (٦).

واذكر ان - سائر الكتاب وقد طبعت ترجمته العربية في جزئين- قد تم تفريق اجزائه على كل من له وقوف على اللغتين وعلمت من المشاركين معي في الترجمة حسن زكريا و ذوالنون نفسه وقاسم حسن وداود الصائغ وسليم طه وغيرهم وقد تمت ترجمته في ظرف ثلاثة اسابيع وهو رقم قياسي. ثم قمت انا وحسن زكريا بمراجعته لغوياً لاستدراك اخطاء المترجمين الآخرين. كان هذا اول عهدي بالترجمة.

الذي كان يدهشني ان الاستاذ كامل قزائجي بقى يناهض نفسه عن هذه التكتلات لاستقلالية فردية متأصلة فيه. وافترقنا بعد تخرجنا وامتهن المحاماة كما امتهنتها ثم التقينا في دورة ضباط الاحتياط. ثم افترقنا ولم نتراسل قط، وكان احدنا يستقي اخبار الاخر من الصحف. واكثرها عنه، لم يكن شيوعياً ولا ماركسياً. واني لاذكر قوله مشتكياً دائماً من «كتابات لينين». يقول انه ضيق الافق بذىء في مقارعة الخصوم بعيد عن النهج العلمي الذي يتمسك بالخلق العالي لاسيما في اثناء رده على الخصوم. وعن الديمقراطية انها عملية معقدة يجب ان

(٦) ١٨٦٨-١٩٣٦ أحد الروائيين الروس، نبع في العهدين القيصري والسوفياتي. وترأس حزباً عمالياً اشتراكياً سرياً أيام القيصرية. إلا أنه جُرف بتيار الثورة البلشفية وكان من أصدقاء لينين. لقيت رواياته وأقاصيصه رواجاً كبيراً وتُرجم بعضها الى لغات عدة. وأشهرها رواية «الأم» التي نوهت بها.

يتعاون عليها الحاكم والمحكوم بتفاهم كامل. ولا يمكن لثورة عنيفة ان تحققها، وربما تبني بعض اسس لها ومبادئ، كان مع هذا ينبري للدفاع عن الشيوعيين في محاكماتهم ١٩٤٦-١٩٤٨ كذلك عن رؤساء الاحزاب في المحاكمات الصحفية الشهيرة التي عقدتها وزارة ارشد العمري، ووقع ضحيتها فقد اثقل كما مرّ بالسجن واودع سجن نقرة السلطان فعزله السجناء الشيوعيون عنهم واذاقوه نكالا^(٧). وقبل ختام فترة سجنه اسقطت عنه الجنسية العراقية الى

(٧) من ناحيتي لم أغدُ شيوعياً ولا ماركسياً بسبب إنفتاحي الفكري الواسع جداً على شتى أبواب المعرفة وإبائي الشديد في أن تقتصر مطالعاتي وتتبعاتي على أفق واحد من دون الإطلاع على ضده وإستخدامي المضاهاة والموازنة المتحررة من أي نوع من فرض أحكام مسبقة. وكثير من الناس والمعارف كانوا يعجبون لموقفي من الموجة الإشتراكية الكاسحة التي طغت على عقول الشباب المثقف في الأجواء التي عشناها خلال الأربعينات. ويتضاعف العجب عندما بقيت أبداً أعتز بصداقة حميمة لعدد كبير من قيادات ماركسية وشيوعيين بارزين. مرت عليّ فترة وأنا ألقب بالمحامي الأحمر لكوني الوحيد بين المحامين الموصليين الذي يندب نفسه للدفاع عن المتهمين بالشيوعية. حتى ظهرت الموسوعة الجنائية التي أصدرتها مديرية الأمن العامة وفيها أسماء الشيوعيين فسحب اللقب من التداول لعدم ظهور إسمي فيها. ولقد نجم عن إنفتاحي الفكري ونفو الإتهام الذي يسير في رفض فرض الأحكام المسبقة رفضاً تاماً، وصولي الحتمي الى ذلك الشاطيء المليء بالصخور حيث تُداس المبادئ بالأقدام. ومحاولات إخفاء الحقائق عن عين التاريخ اليقظة باختراع أوهى الحجج والتعليل وبإستخدام شر المنطق.

ومن ثمرة إنفتاحي هذا سأروي للقاريء فيما يلي أمثلة بارزة جداً من وقائع تاريخ القرن العشرين كان لها التأثير البالغ على النهج الذي لازمني طوال عمري. منذ أن وثب مؤلف كتاب "كفاحي" الى الحكم في ألمانيا العام ١٩٣٣، إتجه الإعلام السوفيياتي وسائر إعلام الأحزاب الشيوعية الدائرة في فلكه الى إبراز الخطر النازي على البشرية. لم تقم دعاية ضد نظام دولة في التاريخ بذلك الحجم وتلك الحماسة وقوة الإستمرار كما حصلت ضد هذا النظام. ووقف (ليستينوث) المندوب السوفيياتي في عصبة الأمم يندد بموقف الديمقراطيات الغربية المتخاذل أمام النازية ويدعو بحنجره تكاد تنشق الى عقد حلف هجومي دفاعي "ضد هذا الخطر المحدق بالإنسانية جمعاء" بل وفي بادرة فريدة من تاريخ الدولة السوفيياتية لا سابقة لها ولا تكرر ألفت بثقلها على الحرب الأهلية الإسبانية في العام ١٩٣٧ الى جانب الجمهوريين إزاء التدخل العسكري النازي. وبهذا الموقف كسبت الإشتراكية السوفيياتية عدداً لا يمكن حصره من كبار رجال الفكر والأدب والفن والسياسة من أمثال جواهر لال نهرو وهارولد لاسكي والليدي أستور الشهيرة واللورد برتراند راسل ورئيس أساقفة كاتدربري وألدوس هكسلي وبرنارد شو من إنكلترا، وأرنست همنغواي والفنان شارلي شابلن من أمريكا. ولويس آراگون وألبير كامو وأندريه مورو وفرانسوا موريك وجان پول سارتر من نبعاء الأدب الفرنسي وبيكاسو الرسام الشهير وگارسيا لوركا من أسبانيا وطائفة كبيرة من كبار كتاب العرب وأدبائهم ومفكرهم أمثال سلامة موسى ورثيف الخوري ومارون عبود وغيرهم. كسب الإتحاد السوفيياتي بموقفه من النازية والفاشية من الأشياع والأنصار أضعاف ما كسبته نظريته الفلسفية القديمة التي أقام عليها نظامه. صُعب هؤلاء جميعاً عندما وقف مولوتوف وزير خارجية الإتحاد السوفيياتي وهو الذي وقّع مع روينتروب معاهدة الصداقة الألمانية السوفييتية في ٢٢ آب ١٩٣٩- ليلقي خطاباً بتاريخ ٣١ تشرين الثاني ١٩٣٩ جاء فيه هذا: =

جانب عزيز شريف وتوفيق منير، وسيق الى الموصل ثم الى زاخو مع توفيق وسلما الى رجال

= «أعلنت الحكومة البريطانية أن هدفها من الحرب التي شنتها على ألمانيا - هو القضاء على النازية ليس إلا. ومعنى هذا أن البريطانيين والفرنسيين أعلنوا على ألمانيا حرباً ذات طابع عقائدي تذكرنا بالحروب القديمة (الدينية؟) في العصور الغابرة... لا يوجد أي تبرير لهذا النوع من الحروب وان بوسع المرء أن يقبل العقيدة النازية أو أن يرفضها كأية عقيدة أخرى. والمسألة هي مسألة آراء. لكن على كل شخص أن يفهم بأنه لا يمكن القضاء على عقيدة بالقوة، ولا يمكن إزالتها بالحرب. لذلك فمن السخف ولغو القول بل من الجريمة أن تشن حرباً كهذه للقضاء على الهتلرية وتمويهها بالوصف بأنها حرب في سبيل الديمقراطية».

وطاشت عقول المثقفين والديمقراطيين بهذا التعليل. وصُدم أنصار الإتحاد السوفييتي أيما صدمة. ثم بدءَ تخريج (ماركسي) لها وتبرير طوال سنتين. فقالوا إنها كانت لمجرد كسب الوقت، وهو ما يدخل في عداد «الوسائل الثورية». أعني أن ميثاق عدم الإعتداء هذا كان تبريراً ثورياً يرمي الى تجميد ألمانيا مؤقتاً بغية كسب الوقت حتى يكمل الإتحاد السوفييتي التسليح وإعداد نفسه عسكرياً للمواجهة. تماماً مثل قيام الإتحاد السوفييتي في العام ١٩٤٣ بحل الدولية الثالثة (الكومنترن) تطيناً للديمقراطيات الغربية المتحالفة. وبقيت هذه الحجة تستخدم وكما سأشرح - دفاعاً عن أي تدابير أو إجراءات مخالفة لمنطوق النظرية الماركسية كمعسكرات الإعتقال. أو إصدار قوانين رجعية شاذة. داخل الإتحاد السوفييتي، أو على صعيد السياسة الدولية أيضاً.

هذه الحجة تستبطن معضلة عسيرة مزمنة: الغاية والواسطة. الغاية التي تبرر وسيلة واحدة أو كل الوسائل. ربما أفادت هذه الميكافيلية البالغة الشراسة والوحشية روسيا السوفييتية من الناحية الواقعية الصرفة. إلا أنها فعلت ذلك على حساب إفساد الحركات الثورية وتشويهها ثم تحطيمها في النهاية، وعلى حساب من؟ على حساب التضحية بأفضل عناصر الطبقة العاملة ومصالحها في أوروبا.

أجل رُفعت أعلام الصليب المعقوف (السواستيكا) على مطار موسكو في إستقبال الوزير الألماني وعُزف النشيد الوطني "ألمانيا فوق الجميع" فرقة الموسيقى للجيش الأحمر. وبقيت القطارات محملة بالأرزاق والمؤن والمواد الخام تفرق عبر الحدود لتفرغ حمولتها في أهراء النازيين الى آخر دقيقة وبعد أن أصبح الغزو النازي حقيقة واقعة. وتلك أمور لو أقدمت عليها الدول الرأسمالية في أي وقت لإعتبرها الكرملين أية في الإنتهازية المنحطة. وهكذا إستقبلت الحكومة السوفييتية إتفاق ميونيخ الذي عقده جمبرلين تفادياً للحرب بإطلاق يد هتلر في چيكوسلوفاكيا. هذه العملية بدت ذات تأثير مختلف عندما مارسها البلد الذي علّق عليه العمال والفلاحون آمالهم.

وعلى هذا فإنه لا يمكن قط قياس الفوائد المتحصلة بالنسبة الى المضار اللاحقة بالإشتراكية بالذات. ولا يمكن تبرير مثل هذه الأعمال بحسابات رياضية صماء. إذ لا يمكن التكهن بنتائجها مطلقاً.

منذ العام ١٩٣٩ حتى ١٩٤١ إتخذ الإعلام الشيوعي عالمياً موقفاً علنياً معادياً للحلفاء في سبيل إرضاء هتلر. وفي العام ١٩٤٣ ألغى (الكومنترن) إرضاءً لچرچل وروزفلت. إلا أنه لا يمكن حل الكومنترن الذي هو حزب العمال الدولي وإعتبره خادماً غير نافع ثم يأتي يوم تالٍ للتعاقد مع خادم آخر. لا يمكن التلاعب بردود الفعل لدى الملايين من مختلف القوميات، والتلاعب بمُثلهم والإستهانة بتضحياتهم الذاتية مثلما يفعل المحاسب بأرقام دفتره.

وفي مجرى الغاية والوسيلة داخل الإتحاد السوفييتي نفسه، لا شيء يبعث القرف والدهشة لجهل المتحمسين المؤمنين =

الامن التركي حيث احتجزا معاً في مدينة (بوزغات) في قلب ارضروم. ذكر لي معاون الشرطة الذي صاحبهما حتى الحدود ان (كامل) انحنى قبل اجتيازها فاحتفن قبضةً من التراب ووضعها في منديل، كما روى لي هو نفسه وقبل اربع وعشرين ساعة فقط من مصرعه انه بقي طوال اربع سنوات النفي لا يكلم زميله (توفيق منير) لانه كان يؤكد له عبثاً بان ستالين ليس الا دكتاتوراً طاغية لا يقل عن هتلر إجراماً، وانه هو الذي قتل الاشتراكية ومَرغ وجهها في احوال الاستبداد والفردية.

قبضوا عليه عشية اعلان الشواف عن محاولته الانقلابية، وادعوه الغرفة التي كانوا يحتجزون فيها الضباط الاخرين، وكنت على مقربة ولم اشهد ساعاته الاخيرة، وانما شهدتها كل من الصديقين الرفيقيين (رشيد سندي) و(يوسف جميل ميران) وهما من الاحياء والحمد لله، كيف اقتاده الرائد محمود عزيز الى حيث اطلق عليه النار قبل هروبه الى سورية، فرمى طاب لهما ان يزيدا شيئاً على ما ذكرت.

وتشاء الاقدار ان يقتص أحد أبناء هذه التربة التي اخذها كامل معه من ذلك القاتل بعد خمس سنوات، اذ انفجر بالقاتل لغم زرعته سرية بقيادة المناضل (حميد برواري) اثناء تقدم رتلته فمزقته اشلاء.

مهنة المحاماة

س: زاولتم مهنة المحاماة، واشتهرتم بكونكم المحامي الذي لا يخسر قضية. هل تذكرون مرافعات عالقة بذاكرتكم الفذة؟

ما اراك الا مجاملاً او مازحاً. المحامي الذي لم يخسر قضية لم يُخلق بعد. وفي القريب العاجل سأحدثك عن أكثر من خسارة حلت بي. الا اني استأذن في التعليق على الفقرة

= بالأسطورة السوفيتية. فتسعة أعشار الذين يقال لهم ان ليس للعامل في روسيا حق الإضراب لا يصدقون. ولا يصدقون تبعاً لهذا إذا قيل لهم ان الإضراب والتحريض عليه يعتبر جناية يعاقب عليها بالإعدام. وان الوظيفة الوحيدة او الحرية أو الحقوق أو سمها ما شئت، للناخب السوفيتي هو ان يصوت بـ(نعم) او بـ(لا) على لائحة وحيدة تتضمن أسماء مرشحين عينتهم الحكومة. بل ولا يصدق انه لا يمكن الإنتقال من مدينة في الإتحاد السوفيتي الى أخرى من غير الحصول على وثيقة سفر وإجازة تشبه جواز سفر الى خارج البلاد ويعين الصعوبة. وهذا الجهل يعود الى تعذر الحصول على معلومات حقيقية من جهة، ويعود من جهة أخرى الى خوفٍ لاشعوري مبعثه خيبة أمل. وهكذا فكلمنا زاد إهتمام الناس بالتجربة السوفيتية كلما بدوا مشمئذين من الكشف عن الحقائق. لان الإيمان بقتل الرغبة في المعرفة وبعبارة أخرى إن المعرفة ليست جزءاً من متطلبات الإيمان.

الأخيرة من السؤال. أنعمت على ذاكرتي بصفة «الغذة» أقول ربما سأخيب ظنك بها. سلني عما كان يتكون منه عشائي قبل اربعة ايام. أما اذا كانت ذاكرتي كذلك في رأيك فلا حيلة لي غير اجهاد نفسي في الاستنجد بها استنجد الممتحن محاذراً الوقوع في خطأ اندم عليه او احاسب عنه او يؤخذ عليّ جريرةً. فتقوم عليّ وعليك القيامة. فانا لا آمن عليك من رذاذها ورعودها. وان صح جزء من رأيك فيها فثقت اني كثيراً ما لعنتها وضقت بها عندما ترحل بي وانا احوج الى الهدوء والراحة، الى مراسح احداث ووقائع معينة يحاول كثيرون نسيان اشباهها خضت اوحالها كارهاً لا راضياً وحملت بسببها اوزار غيري وآثار سقطاتهم وهفواتهم. تعود اليّ بصورها الكالحة فتصيبني بقشعريرة وتهاجمني غير راحمة ولا وجلة على غير موعد فتتغص عيشي وتحرمني ساعات نوم ثمينة. وهذا هو الجانب الكريه من صاحب الذاكرة الجيدة. الا ان الجانب الثاني وهو احتفاطي بمخزون من الاحداث العامة والتواريخ والاسماء نتيجة القراءات والمتابعات الفكرية فهو من باب اولى هبة وفائدة لقرائي.

وليست مهنة المحاماة بمستثناة عن سائر المهن وربما كان ممتنها أكثر تعرضاً للريح والحسار من ممتني الحرف الاخرى. وربما كانت احفلها بمفاجآت الفشل والنجاح. ومن لا يخسر لا يربح. وبراعة المحامي وذبوع صيته لا يتحددان بنسبة ماريحه وخسره من دعاوى. وقد تتوقف شهرته - وربما كانت ضربة حظ - على دعوى او قضية واحدة فاز فيها، فهناك ارادات كثيرة تتحكم في مآل القضية المعقدة المتعددة الجوانب بل الواضحة منها.

وفي زمننا وجيلنا ذاك وانا اقصد ما قبل نصف قرن تقريباً. كان على المحامي الدؤوب ان يلم بجميع القوانين. فالمجتمع العراقي اذ ذاك كان مجتمعاً بسيطاً غير معقد، لا يقتضي تخصصاً في المحامي بقضايا معينة كالذي نراه في بلاد الغرب. في الولايات المتحدة الامريكية او فرنسا او غيرها مثلاً حيث التخصص فرضٌ ولا سبيل للتنكر له ولا غنى عنه.

في ايامنا كانت الحركة الاقتصادية محدودة، والتعامل التجاري اغلبه محلي والخارجي منه ضيق النطاق. والجرائم تكاد تكون واضحة بسيطة لا تتميز بذلك التعقيد والتخطيط الذكي الذي تجده في الافلام السينمائية الامريكية الحديثة مثلاً. لم يكن عندنا شيء شبيهه او قريب الشبهه بالاجرام المنظم الذي تقوم به عصابات تمتاز بتنظيم وادارة محكمة اشبهه بادارة حكومية. وقليلاً ما كانت دوائر التحقيق تحتاج الى وسائل الكشف الحديثة عن الجرائم كالمختبرات والفحوص الطبية الدقيقة واستطيع القول هنا بناءً على تجربتي الخاصة أن أكثر ما كان يستخدم مكتب طبع الاصابع في بغداد هو للقضايا المدنية. في حين كان الأساس في استحداثه في العراق هو للأمور الجنائية أي المساعدة على كشف الجريمة. كانت الجرائم فردية الطابع بمجملها لا تحتاج الى كثير عناية في الكشف عنها. ولا الى التكنولوجيا والعلم

المختبري لدعم الادلة فيها ، وتبعاً لذلك صيغت القوانين العامة ، وأهتتمت الحكومات بالجانب السياسي منها. وبدأ التنقيح والتعديل والاضافة والزيادة فيها كانت من هذه الناحية عملية لانهاية لها تجري على ضوء التجارب المستخلصة من الزخم السياسي ارتفاعاً وشدةً ولاسيما في القوانين التي تمس الحريات العامة، كقانون المطبوعات الذي بدأ طوال ثلاثين عاماً تقريباً وكأنه ملهاة او لعبة تتسلى بها الحكومات لتتناوله بالمراجعة والاضافات والتعديل وكمثيله تلك القوانين المتعلقة بالأجتماعات والتجمعات العامة والتظاهر والاحتجاج الشعبي. ثم جاءت القوانين الملحقة او المعدلة لقانون العقوبات العراقي الذي كان يسمى بالبغدادي في البابين اللذين يتعلقان بأمن الحكومة الداخلي وأمن الدولة الخارجي بسبب تفشي الآراء العصرية الحديثة السياسية وخصها المبادئ الاشتراكية. وتصاعد حركة المطالبة بالأصلاح الدستوري بكل المخاطر التي تهدد الطبقة الحاكمة. ومن اوائلها تلك الضربة القاصمة التي انزلتها حكومة ياسين الهاشمي في العام ١٩٣٥ باشتراعها مرسوم الاحكام العرفية التي هتكت به حرمة القضاء العراقي، واعادت العراق الفتى الى اجواء العهد العثماني البغيض، جئت الى هذا بتفصيل في الجزء الثاني من كتابي (العراق في عهد قاسم) ولا داعي هنا للتكرار واطنك على اطلاع به، وقصدي من التنويه بهذا هنا، هو ان مهنة المحاماة صارت تواجه لوناً جديداً من القضايا هي القضايا السياسية او الجرائم الناشئة عن تلك القوانين المستحدثة الشاذة.

كانت طبقة المحامين ورجال القانون تكاد تهيمن تقريباً على النشاط السياسي المعارض. وكثيراً ما وجدنا المحامي يدافع عن زميله المحامي المتهم، لاسيما في جرائم النشر والعقيدة. ومهما يكن من أمر فبراعة المحامي عندنا كانت تتجلى في القضايا المدنية، لا في القضايا الجنائية. ففي هذه الأخيرة لم تكن تفيد بصورة عامة لودعية المحامي وقوة عارضته وكفاءته الخطابية في تحويل قاضٍ منفرد او هيئة من ثلاثة قضاة تزن الأدلة وتصدر الحكم ببرودة دم ونجوة عن المؤثرات العاطفية. ولا يجد المحامي لنفسه مجالاً امامها للمناورة والحرية الواسعة لأستجواب الشهود وإيقاعهم في فخاخ التناقض كتلك التي نجدتها في المرافعات الجنائية الغريبة التي تستند في تقرير البراءة او التجريم الى نظام هيئة المحلفين (الجوري - JURY).

وبالنهاية كان الوضع القضائي بصورة عامة يرغم المحامي على الالمام بكل القوانين وان يكون دوماً على استعداد لولوج باب اي قضية تعرض عليه. وهذا لايعني حرمان المحامي من حرية اختيار قضاياه طبعاً، وكثيراً ما تراني كما ترى غيري اخرج من مرافعة في دعوى شرعية تتعلق باثبات بنوة، لألج قاعة محكمة اخرى تنظر في قضية نزاع على ارض او تصفية شركة ولأخرج بعدها الى محكمة ثالثة وكيلاً للدفاع عن متهم.

وفي مثل هذه الحال كنت اضع مقولة رائعة للمحامي الفرنسي الشهير (روجيه مارتان)، اذ سئل مرة عما يجب أن يتحلى به المحامي فأجاب: «على رجل القانون ان يعرف القليل من كل شيء، وايضاً القليل من القانون!».»

ولهذا كان بعض أسباب تمكّني من مهنتي تتبعاتي العلمية وكثرة مطالعاتي في منتج الفكر الغربي عتيقها وحديثها في مختلف ابواب المعرفة وبوقوف أفر به على اسرار اللغة العربية الرائعة والمامي بلغتين عالميتين (الانكليزية والفرنسية) والاسلوب الكتابي المبسط السليم الذي افادني في كتابة اللوائح القانونية والمذكرات. وعليه الاعتماد وهو يفوق المرافعات القولية أهمية.

وعليّ وقد بلغت هذه المرحلة من الاجابة وجوب التنويه بدور القاضي الرئيس المتسمم. القاضي الجاهل او المعرض الضعيف الذمة يكون مصدر همّ عظيم للمحامي النابه، قدر ما يكون المحامي المهمل القليل الادراك والحرص على مصلحة موكله مصدر نفرة وضيق ان لم يكن مصدر استهانة واحتقار القاضي النابه، وقد مر عهدي بمجموعة من انزه القضاة وأكثرهم علماً ومتابعة فقهية. ومن عجب ان تجد الجهاز القضائي في بيئة حكومية معيبة كهذه وقد سلم تقريباً من الفساد، وابى رجاله أن يكونوا خدماً لأغراض الحكومات لاسيما في القضايا التي تكون السلطة طرفاً. واعني بالضبط القضايا السياسية خصوصاً.

س: هل لي أن أفهم من هذا أن يد السلطة بقيت مكفوفة امام الجهاز القضائي، ومن المعلوم ان انتقاء القضاة يتم من قبل الحكومة؟

الجهات الحكومية تجهل طبعاً من سيكون قاضياً طبعاً مستجيباً عندما يطلب منه، والحكومات في تغيير سريع مستمر. ثم ما ان يتسلم القاضي الجديد منصبه حتى يستولي عليه شعور طاع بخطورة مهمته وبمسؤوليته الضميرية الثقيلة ولا استثنى من هذا اولئك الذين وصلوا الى القضاء بطريق الوساطة، أو بسبب انتماءاتهم العائلية.

وفي زمني -ولا ادري ان كان هذا المبدأ اليوم سارياً- ان يقدم كل قاض احصاءً سنوياً بالدعاوى التي حسمها الى وزارة العدل. وقد يتعرض للعزل ان زادت نسبة القرارات التي نقضت له عن ٤٠ بالمائة من مجموع ما نظره.

اؤكد ان عراق ايامي كان يحفل بمجموعة من القضاة ضرب بعلمهم ونزاهتهم المثل. يزينون اي نظام قضائي في أي بلد قطع شوطاً بعيداً من المدنية العصرية والتقدم في ميدان المفاهيم والمبادئ الديمقراطية.

تبدو قلة حيلة الحكومات العراقية ازاء هذا الجهاز الذي صعب عليها تطويعه، في استئناها القوانين الاستثنائية التي يكون من شأنها استلاب القضاء سلطانه وصلاحيته في النظر بناحية من أهم النواحي التي خلق لها وهي تلك التي تتعلق بحرية التعبير والمعتقد والتنظيم الحزبي والاجتماع وما اليها. فأصدرت مرسوم الادارة العرفية ومن شأنه أن ينقل سلطة القضاء كلياً او جزئياً الى الجهة العسكرية في الوقت الذي تشاء حكومة ما ذلك. واصدر نظام دعاوى العشائر الذي نقل سلطة الفصل في النزاعات الجزائية والمدنية الى الاداريين. وقانون المطبوعات الذي استلب حق الفصل في حقوق الفرد بالنشر والتعبير عن الضمير بايداع مصير المطبوع يد الادارة وهكذا. من جهة اخرى، عمدت الحكومات الى تشويه وجه القضاء بارغام القضاة والمحاكم على تطبيق القوانين الجائرة التي تشترعها في هذا الباب عندما لاتكون الاحكام العرفية معلنة -وبحكم وظيفتها - ولم يفتنا قط ملاحظة مجهودات اولئك القضاء للتخفيف من غلاظة احكامها وقسوتها باختراع كثير من وسائل التخفيف وغيرها من الوسائل الشرعية للأباحة ضمن حدود الأصول.

ومن بين ما لايزيد عدده من القضاة عن المائتين في الجهاز القضائي، ذاعت اسماء قلة سيئة السمعة لايعتد بها كما هو في كل زمان ومكان حرصت تلك القلة ربما ابتغاء ترفيع او حظوة او سعياً وراء البقاء في مناطق قضائية مريحة، كانت السلطة تعرف هؤلاء فتنديهم حيثما تسنى لها ذلك للمجالس العرفية او تضعهم في المراكز والحاكميات التي تنظر القضايا السياسية خصيصاً. واذكر هؤلاء الاربعة الذين عرفنا نحن معشر المحامين فيهم هذا العيب. اولهم عبدالعزيز الخياط الملقب بالأعرجي قاضي جزاء بغداد الاول ومثيله وخلفه خليل امين المفتي. ومن زبائن المجالس العرفية في الشمال عبدالباري توفيق، ومحمود نديم اسماعيل. لم يفلح أي منهم في الوصول الى الدرجة العليا في سلم القضاء مع ذلك، الا ثالثهم ويعملية وساطة مفضوحة رخيصة. الا انه لم يبق في عضوية محكمة التمييز كثيراً وازيح متقاعداً بما يشبه الطرد.

الجهاز القضائي في العهد الملكي

س: وماذا عن الطائفة الاخرى من اعضاء الجهاز القضائي الذين جئت الى التنويه بكفءاتهم، قد يكون للتنويه ببعضهم هنا بعض فائدة؟

بل نوعاً من التكريم اللاحق. فكلهم الا واحداً او اثنين -سأذكرهم- طواهم الردى، دون ان يخلفوا فوق رمال الحياة اثراً حتى لأقدامهم، تركوا لنا ثروة من القرارات القانونية المبدئية

البارعة، ستبقى منسية مطوية في الملفات والاضابير، دون ان تجد اليد التي تنتشلها وتخرجها من ظلام المخاأن والقماطر الرسمية. واذكر بهذه المناسبة ان محاولة جريئة، باشرت بها لجنة من المحامين لنشر القرارات الهامة التي تصدرها المحاكم في السنتين الاخيرتين من عمر العهد الملكي، الا انها ماتت بموته. ولا ادري ان عقبتها محاولة مماثلة وان وجدت ثم محاولة فانا أجهلها لبعدي الطويل عن الوسط القضائي، لكنني مع هذا آسف لأقول ان البلاد بقيت تفتقر الى ما يمكن أن يطلق عليه الادب القضائي او تأريخ القضاء والقضاة. وفي تراث العرب والاسلام وهنا مصدر العجب مؤلفات عديدة في هذه الباب وصلتنا طائفة منها. وابلغتنا اخبار الطائفة الاخرى مصادر تأريخية معتبرة، وهذا جانب هام من جوانب الثقافة العامة والمهنية في البلاد المتمدنة.

كان القضاة العراقيون (واظنهم كذلك الآن) يخضعون الى التنقلات الدورية بخلاف ثبات القاضي في محله المعين له طوال حياته الوظيفية في البلاد الاخرى، الا اذا ارتفع الى منصب قضائي اعلى. وبهذا تيسر لي ان اخالط واتعامل مع طائفة كبيرة من القضاة وان اصاحب بعضهم وانشئ مع بعض من خلال صلة المهنة علاقات صداقة حميمة دائمة. ومعظمهم بلغ بهم علمهم ونزاهتهم وصلابتهم اعلى منصب قضائي في البلاد وهو العضوية في محكمة التمييز العراقية وهي المحكمة العليا او محكمة النقض والابرار.

ويقف على لساني منهم الاستاذ (وديع جرجي) الذي عرفته الاوساط الحكومية بسعة اطلاعه في القوانين الاجنبية والنظريات العامة في القانون، فرشح للعضوية في محكمة العدل الدولية. وكذلك الاستاذ محمد فهمي الجراح الذي عرفته رئيساً لمحكمة استئناف الموصل، واصبح فيما بعد رئيساً لمحكمة التمييز. ضربت بنزاهته وصلابته الامثال. فانترعه نوري السعيد في العام ١٩٥٦ لينصبه رئيساً للجنة التطهير الشهيرة، التي استحدثها هذا السياسي بقانون خاص لأجراء التحقيق في سلوك المواطنين مهما علت منزلتهم. (مدراء عامون، جنرالات، متصرفون) والايصاء بطردهم من الوظيفة. ان الشيء الوحيد الذي كان يعتز به هذا القانوني هو انه كان الوحيد بين القضاة الذي لم يقدم طلباً رسمياً لتعيينه قاضياً وانه فوئح فقبل -بخلاف ما وجب واعتاده طالبو الانضواء الى سلك القضاء -ولي ذكرى عزيزة عن الاستاذ عارف علي اصغر (جياووك)، التواق النهم الى المطالعة والافادة العلمية، تلوح مقدرته العجيبة في الوصول الى المعنى المقصود الصحيح من المواد القانونية عند التطبيق في القرارات الاستئنافية او التمييزية التي يشارك فيها. كان يدهشني منه ذلك دوماً: فأقول له مازحاً، من اين لك هذا والعربية ليست لغتك الام؟. كانت صحة تفسيره للمواد الغامضة الصياغة في قانون معين لاسيما في القضايا المعقدة فريدة في بابها. ولطالما

انقذ حضوره في هيئة استئنافية او تمييزية حقوقاً كانت ستضيع لولاه.

هناك زميل الدراسة الاستاذ ضياء شيت خطاب ابن بلدي. وصديقي الذي بلغ به علمه وتتبعاته الفقهية وحماسته في احقاق الحق-! اعلى منصب قضائي في البلاد. ادركته ورايته آخر مرة في العام ١٩٧٠ وانا اقوم بزيارة للفقيد عزيز شريف ايام قيامه باعباء وزارة العدل. وكان ضياء يومها نائباً لرئيس محكمة التمييز كل ما اتمناه ان يكون الآن في قيد الحياة، وأن يصل اليه نبأ ما سأحدث به القراء عنه بعد قليل.

والصديق الوفي! -جوهر عزيز دزئي^(٨) وهو الحي الوحيد الباقي اطال الله عمره الذي كان عضواً في اللجنة التي الفها (قاسم) لصياغة مواد قانون الاصلاح الزراعي، أهم ماجاء به انقلاب هذا العسكري ان كان للأنقلاب ما يحمد عليه.

هناك من بين القضاة اللامعين الذين احدثوا اثراً في سمعة القضاء العراقي الاستاذ ابراهيم وصفي رفيق وقد ادركته في العام ١٩٧٠ عضواً في محكمة التمييز وهو من اتراب الاستاذ عبدالحق فاضل ويوسف الحاج الياس وابراهيم احمد وقد تخرجا معاً في سنة واحدة، في كلية الحقوق. ولن انسى من هذه الباقية الفواحة، الاستاذ احمد جعفر الاوقاتى وهو خريج تلك الدورة ايضاً. والاستاذ الصديق الوفي علاء الدين الوسواسي، وقد وجد كلاهما وهما في ذروة عملهما القضائي أن مواهبهما القانونية قد تجد لها مجالاً ارحب في عالم المحاماة فاستقلا وزاولاها. وقد تطوع ثانيهما ايفاء بالمودة التي ارتبطنا بها للدفاع عني في احد المجالس العرفية العسكرية، أتمنى أن يكون في قيد الحياة.

وان كان بين هؤلاء الذين نوهت بهم - من اعده نموذجاً ربيعاً للقضاء العراقي - فهو الاستاذ المغفور له (محمود خالص) الذي كان رئيساً لمحكمة تمييز العراق ايام حكم عبدالكريم قاسم. لا اذكره الا ويتجسم امامي كل معاني النبيل والعلم والنزاهة وعزة النفس وقد جريت منها الكثير فيه، مما يعجزني البحث عن مثال اشبهه به.

كان رئيساً لمحاكم الموصل في اول مزاولتي المحاماة وهو العام ١٩٤٤. وكل محام مستجد كان لا بد له ان يمر بسنوات ضنك قاسية بالاعتماد فحسب على ما يفتح له الله من قضايا صغيرة، هذا أن وجد صاحب قضية تبلغ به الجرأة الى حد المغامرة بايداع قضيته الى محام غير معروف. ولاحق لي فرصة ذهبية لسد هذا العجز المالي في سنتي الأولى بانتدائي لتدريس

(٨) لم يكن هو الوحيد الباقي. فقد أنبأني شخصياً بوسيلة ما، أن صديقنا الآخر القانوني الضليع الأستاذ ضياء شيت خطاب رئيس محكمة التمييز هو الآن في قيد الحياة وأنه مازال نشيطاً يلقي محاضرات قانونية في أحد المعاهد العلمية ببغداد.

اللغة العربية والتأريخ في مدرسة الموصل الثانوية الاهلية، وواجهتني معضلة التوفيق بين الدوام المدرسي والحضور في مرافعات الدعاوى التي يلقي بها الحظ في احضاني وهي قليلة. قال لي مدير المدرسة واطنه كان يعرف (محمود خالص) شخصياً: «اذهب اليه فابسط امرك وسيجد لك مخرجاً».

دخلت عليه متهيئاً، ففاجأني بالوقوف احتراماً وهو شيء كثير على محام صغير لا مقام له في مجتمع حفل بالتقاليد والپروتوكول وهش لي بش. كنت اعلم ان ما سأطلبه مخالف للأصول القضائية فاحتبستُ كلماتي ثم القيت برجائي بانفاس لاهثة وكان يصغي بأناة وتشجيع. طلبت منه أن يؤذن لي تأجيل المناذاة عليّ الى ما بعد الثانية عشرة بسبب ارتباطي بالتدريس. وسألني عن المواضيع التي ادرسها. فأجبتة فبانث عليه الدهشة لصغر سني كما يبدو واستدركت فقلت اني كنت ادرس المادتين في بغداد خلال سنتي الاخيرتين من الكلية. وادرك الامر فوراً وقال: «تدري ان رئاستي للمحاكم هي ادارية صرفة، وكل قاض هنا مستقل في تنظيم جدول مرافعاته، مع هذا سأكتب تعميماً لسائر المحاكم حاثاً على تحقيق طلبك وانت تفهم». ما اظن شيئاً مثل هذا حصل لغيري وقد تبينت مدى اجلال سائر القضاة له باحترامهم رجاءه هذا.

ثم بدأت اعرف هذه الشخصية الرائعة طوال سنتين او ثلاث قضاها في الموصل. كم كان متواضعاً من جهة عزيز النفس من جهة. لذلك لم اعجب قط حينما انهي اليّ امر تلك الوقفة العنيدة التي وقفها بوجه تحكم قاسم ملقياً فوق منضدته مفاتيح بناية محكمة التمييز الجديدة.

في العام ١٩٤٥ وجهت الدعوة لحضور حفلة استقبال للملك عبدالله ابن الحسين والوصي عبدالاله من قبل بلدية الموصل في بهو البلدية واذكر اننا نحن صغار (الوجهاء) الجدد اقتعدنا متحلقين طاولة قريبة من الباب. ومضى اغلب الوقت واذ (بمحمود خالص) يدخل متلصصاً ويجلس معنا وبالقرب مني مشييراً ان لاننهض له. الا ان عيني محافظ اللواء (عبدالله القصاب) لمحته فاقبل عليه وراح يعاتبه بقوله: «بحثنا عنك ليلة امس بطولها وجمالة الملك ينتظر لتلاعبه اشواطاً». وشدد عليه بلزوم المجيء تلك الليلة. اجاب (محمود خالص): «اني لست معتاداً مجالسة الملوك ولن آتي مهما كلف الامر فتدبر الامر»، قال هذا وانصرف حالاً.

بقيت هذه الواقعة تشغل بالي سنوات وبرغم علاقتي به وزياراتي له كلما حظّ بي الرحل في بغداد لم اجد في نفسي الجرأة على سؤاله تفسير موقفه فقد كان واحداً من اشهر لاعبي الشطرنج في العراق. وكذلك عرف الملك عبدالله بادمانه تلك اللعبة. ثم وبعد مرور ثمانين

سنوات تقريباً القت بنا الصدف معاً في مصيف صلاح الدين، وكنا نلتقي معاً يومياً صباح مساءً. يأتي (الغازينو) متأبطاً رقعة الشطرنج مع صديقه المحامي عبدالرحمن زيور واقدم انا بصحبة كتابي فيتنازل لي عن (قلعتين) ويلاعيني فيغلبنني دوماً.

وفي خلال صحبتنا هذه سنحت لي فرصة الاستفسار منه عن موقفه في بهو البلدية من طلب الملك. وكانت دهشته عجيبة لبقاء الحدث ملازماً لي طوال المدة فقال: بلغني عن الملك عبدالله انه ما كان يطيق ان يقر لاحد بالغلبة عليه في لعبة الشطرنج وانه يعمد الى قلب رقعته بحركة يتعمد ان تبدو غير ارادية، ما ان يلوح له تفوق خصمه وان الخسارة محتومة عليه، فكرهت ان اعرض نفسي الى مثل هذه المهانة.

لا انسى قط كيف كان حينذاك يجلس اليّ جلسة تلميذ ليتلقى عني كتابة الارقام بلغة عربية سليمة وهو ما يعرف في علم النحو (بالتمييز العددي). اذكر اني قصدت داره المتواضعة القريبة من نصب الجندي المجهول برفقة الاخ جوهر دزئي احد اعضاء محكمته كما ذكرت وكان قد رقي حديثاً للمنصب. وفي مجلسه كنت تجد الوزير السابق والقاضي المتقاعد الى جانب عدد من اساتذة لعبة الشطرنج. كان مستغرقاً في شوط مع وزير ملكي سابق. الا انه ترك الرقعة واقبل علي وجلس بقربي بكل تواضع ورقة يسألني عن احوالي ويشجعني على الاحتمال وكنت اذ ذاك معرضاً لسخط النظام القاسمي وملاحظته.

وقد انتشرت قصة خلافه مع عبدالكريم قاسم وموقفه انتشاراً واسعاً ومع اني افتقر الى تفاصيل معينة، لكنني استطعت التأكيد انها كانت بسبب حرص (محمود خالص) على استقلال القضاء في الفصل بما ابقت له محاكم (قاسم) الاستثنائية من صلاحيات ومما قيل ان هذا الدكتاتور استاء من قرارات معينة اصدرتها محكمة التمييز ومنها تحديدها قرار وزير الداخلية الذي رفض اجازة تشكيل حزب تقدم به اصحابه باسم الحزب الاسلامي-وبموجب قانون الجمعيات الذي اصدرته الحكومة في ذلك الحين (١٩٦٠) استخدم المؤسسون حقهم في تمييز القرار فنقضت المحكمة قرار وزير الداخلية وقضت بمشروعية تأليفه معللة قرارها على اغلب ظني - بان منهاج الحزب لا يتعارض مع المباديء الديمقراطية وانه لم يثبت ان لمؤسسي الحزب علاقة بأي جهة خارجية.

كان قراراً قانونياً لادخل للعاطفة والميول الخاصة فيه بدليل ان المحكمة عينها ايدت قرار وزير الداخلية برفض اجازة حزب اسلامي آخر باسم (حزب التحرير).

وكانت الحكومات الملكية السابقة قد باشرت ببناء صرح لمحكمة التمييز في الاعظمية وقد انتهت البناية في السنة الاولى من عهد قاسم وسلمت المفاتيح لرئيس المحكمة. الا ان (قاسماً) لم يسمح بالانتقال اليها وكانت ثم مقابلة في ختامها القى (محمود خالص) مفاتيح

البنابة على منضدة قاسم قائلاً انه يستطيع ان يعقد جلسات هيئات محكمته بين بساتين النخيل او في الهواء الطلق لو تطلب الامر وقذف بوجهه كتاب استقالة اعده. ولم يقدم (قاسم) على شبيء وآثر الانتظار ليبلغ محمود خالص سن التقاعد. وهذا ما بلغني وهو قمين بانسان مثله ولم تتح لي الظروف لسؤاله عنه وربما كان للاخ جوهر الخبر اليقين.

وفي العام ١٩٧٠ شرفني بزيارة وانا بمكتبي في صحيفة (التآخي). وقد حرصت على ارسالها اليه كما حرصت على ان ابعث اليه بجريدتي الموصلية من قبل وبكل ما اصدره من كتب وبينها كتابان في القانون^(٩). وهو يمطرنى برسائل شكره وتمنياته ولا يغفل مناسبة مهما صغرت للكتابة. جاء يخفره اثنان من المحامين متوكأ على عصا. وغالبتني العاطفة وعلاني الخجل الشديد فأسرعت اليه قبل ان يضع قدماً على اول درجة لكنه ابتدرني قائلاً: "جئت ارد زيارتك العديدة واهنتك بالسلامة" وكان هذا آخر عهدي به.

المجالس العرفية العسكرية في العهد الملكي

س: قبل ان اطالبك بالجزء الاخير. ربما أفدتنا بشئ عن تجربتك في المجالس العرفية العسكرية ولا أقصد محامياً بل متهماً؟

واجهت ثلاثة مجالس عرفية عسكرية متهماً لا وكييل دفاع ولم اغش احدها قط بهذه الصفة المهنية. واولها كان في العهد الملكي فقط. والحديث عنه يصلح تضمينه السؤال. في العام ١٩٤٨ اعلنت الاحكام العسكرية العرفية في جميع انحاء العراق. بمناسبة سوق قطعات صغيرة من الجيش العراقي الى فلسطين. وبحجة حماية ظهره في الوطن من عناصر التخريب وصيانة مؤخرته من الجواسيس والعملاء. كانت حجة مثيرة للسخرية ومثاراً للتندر. اي شكل هذا هو الجيش الذي يحتاج الى محاكم لحمايته من المواطنين الذين كانوا مصدره ونواته؟. الا ان السبب الحقيقي كان لاجل السيطرة على نتائج الانتخابات النيابية وهي وقتذاك على درجتين. في ذلك الحين كانت رئاسة البوليس منوطة برجل تتجسم فيه الغلاظة

(٩) أولهما كناش طبع في العام ١٩٥٦ بعنوان "تحليل الشخص المعنوي اليميني في مقررات محكمة تمييز العراق" وثانيهما "قصة المحلفين: دراسة قانونية تاريخية". وهو يقع في ١٣٦ صحيفة من القطع المتوسط. ط. مطبعة الهدف في الموصل. العام ١٩٥٨. كنت وأنا في السويد أعتقد بأنني أملك النسخة الوحيدة من هذا الكتاب فصورت منها نسختين. إلا أنني فوجئت بعد عودتي الى أرض الوطن بمن أكد لي وجود أربعمئة ونيف من النسخ لا تزال في صناديقها. والتي أعتزم جلبها وتوزيعها على طلبة كلية الحقوق هنا. والموضوع الذي يتصدى له الكتاب هو شرح نظام هيئة المحلفين القضائي الذي يطبق الآن في أمريكا وأوروبا.

والقسوة والطموح الى الترقية عن طريق تطبيق خطة الحكومة في انجاح مرشحيتها -كلها اجتمعت فيه -لتجعل منه ضيقاً كاسراً. اسرع فاخرج قائمة (المشبهين) السياسيين المعادين للسلطة الذين يخشى منهم التأثير على الانتخابات الثانوية وبعث بها الى قائد القوات العسكرية في كركوك حيث المجلس العرفي العسكري واستحصل منه امراً بتوقيفهم جميعاً. وكان لا بد من بناء قضية واختراع تهمة لكل موقوف ووجدت نفسي محالاً الى المجلس العرفي العسكري وفق المادة ٨٩أ. وكبست داري وكان من المواد الجرمية المضبوطة كتابان او ثلاثة. وترجمة طلبها احد الناشرين لرواية (انطون جيكونف) المؤلف المسرحي والقاص الروسي الطائر الصيت المتوفي في ١٩٠٤. الى جانب مجموعة من الرسائل الخاصة من القاص (ذو النون ايوب) تدور حول نقدي لمؤلفاته. وكان احد المرشحين للنيابة على قائمة المعارضة وقد جيء به من بغداد موقوفاً وزج معنا في السجن محالاً الى المجلس العرفي العسكري. من بين عشرات بل مئات من الموقوفين كان هناك المرحوم الصديق صالح اليوسفي معتمد الحزب الديمقراطي الكوردستاني في الموصل وهو اذ ذاك بوظيفة الكاتب الاول لمحكمة الموصل الشرعية. وفريق عقراوي العضو في الحزب وهو محام ناشئ.

لم يجد مدير الشرطة تهمة تبرر له القبض على هذين الاخيرين -كما يبدو -فالصق بهما تهمة قد تصل عقوبتها الاعدام هي: (تهريب البنزين العراقي الى الصهاينة في فلسطين)!! وكان من حسن الحظ ان تغييراً جوهرياً طرء على تشكيل المجلس العرفي اخرج بموجبه العضو المدني الحاقد وحل محله الاستاذ رشاد عارف وهو واحد من ابرز القضاة واطنه ارتقى الى العضوية في محكمة تمييز العراق عندما نصبه (قاسم) عضواً في مجلس السيادة اثر وفاة خالد النقشبندي في ١٩٦١. ومما اذكره بهذه المناسبة انه وبعد صدور قرار البراءة بحقي، لحق بي الاستاذ رشاد عارف. وقال لي قرأت ترجمتك للرواية واستمتعت بها سنعيدها اليك. ثم طلب مني وثيقة تاريخية تتعلق بوقفية الحاج حسين باشا الجليلي والى الموصل في ١٧٤٣. وقد اثبتت قضايا عديدة حولها اثر صدور قانون تصفية الوقف الذري وكان يدري بشكل ما بأنني كنت واحداً من المحامين الكثر في هذه القضية الشهيرة. وسقط (ذو النون الحاج ايوب) من عيني عندما اعلن وهو موقوف خروجه من المعركة الانتخابية متخاذلاً.

اجل كان قضائنا يتحدون الحكومة كلما يتيسر لهم ذلك وتقف الحكومة احياناً مكتوفة اليدين ازاء قراراتهم. واني لا اذكر جيداً قضية احد الزملاء المحامين محمد بابان ففي الخمسينات حبس جواز سفره وحيل بينه وبين السفر الى الخارج لحضور اجتماع سياسي فاقام الدعوى المدنية على وزير الداخلية ونجح في الحصول على قرار يفرض على الوزير منحه الجواز والسمة واضطر الوزير الى الانصياع. ما اظن امراً مثل هذا قد حصل او كان يمكن يحصل في

تلك العهود التي سميت بعهود الجمهورية.

س: مرافعات معينة لكم عقلت بذاكرتكم، هذا هو الجزء الاخير من السؤال على ما اعتقد.

اي شخص مارس صناعة القانون، محامياً او قاضياً يتعذر عليه ان يخرج من دائرة ذاكرته قضايا معينة، اختارتها لتستقر فيها وتنفذ عميقاً لتغدو جزءاً من ذكرياتها لا يتجزأ. والاعتزاز بها او الكره لها ليسا بشرط ولا بسبب يدعو الى رسوخها في الذهن لكنها تستمد حياتها الطويلة فيه اما لطرافتها او لغرابة نتائجها او لطبيعة المختصمين وذوي العلاقة فيها او بمدى ما خلفته من آثار في ضمير الرأي العام او بما خلفته من آثار قانونية كسوابق. وسأصدقك الخبر. فقد بدأت افكر فيما ساخنته قبل ان اصور في ذهني هيكلًا للجواب على هذا السؤال وادركتني الحيرة فهناك الكثير والكثير مما لم يبرح المخيلة. خصوصاً وقد كان من سوء طالعي ان اعالج قضايا معقدة لتغدو بالنتيجة سوابق قضائية يُستند إليها فيما بعد بقضايا مماثلة. والاختيار على اية حال يعتمد على ذوقي ولا مجال هنا لاستخراج رأيك سامعاً، او رأي الآخرين قراءً. وقد قر رأيي على اختيار هذه الثلاث. واولها قضيتان مزدوجتان في الواقع الا انهما التحمتا في اعطائي درساً خلقياً عظيماً اجمله بهذه العبارة: "ان الاستقامة وسمو الخلق قد تجدهما احياناً فيمن لا تتوقعهما عنده مطلقاً. وان الحطة الخلقية والحسنة قد تراهما فيمن لا تتصور ان يصوره لك خيالك يوماً ما. وان مكارم الاخلاق لا تتحدد بوضاعة منبت او كرامة محتد او بخمول مركز اجتماعي او صعوده».

سأحاول التبسيط واجتناب المصطلحات القانونية باعتذاري المسبق لرجال القانون والاسرة القضائية.

(س.ا) صاحبة ملهى او كباياريه أو ما يطلق عليه من اماكن اللهو الليلية. استخدمت للعمل في ملهاها غانية او (فنانة) شهيرة بموجب عقد كتابي موقع ودفعت لها مبلغاً قدره ثلاثمائة دينار مقدماً. لكن الفنانة نكلت ولم تباشر عملها بل زاولت العمل في مكان آخر. طلبت مني (س.ا) بحسب وكالتي عنها اقامة الدعوى على الناكلة لاستعادة المبلغ. وهو مبلغ كبير آنذاك وباعتبار قوة الدينار الشرائية، بإمكانك ان تجعله ثمناً لسيارة جديدة صغيرة.

قضية بسيطة جداً لا تعقيد فيها بدت كذلك عندما اقر محامي (الفنانة) بصحة توقيعها على العقد. الا انه ادعى بانها وقعت العقد من دون ان تتسلم المبلغ. وكان على المحكمة اذ ذاك وبصراحة وحكم القانون ان توجه اليمين القانونية لـ(س.ا) على انها سلمت المبلغ فعلاً.

وطلب القاضي احضار موكلتي لتحليفها اليمين وجئت بها وافهمها القاضي بالصيغة.

ولدهشتي وعجبي وجدتها ترتد خطوتين الى الوراء مستنكرة. وعيشاً حاولت مع القاضي افهامها بضرورة حلف اليمين ان شاءت المحافظة على حقها. فأبت الى الاخير قائلة للقاضي: ها انت ترى حالي يا سيدي. لا اريد ان افقد بقية ديني الذي يمنعني عن حلف اليمين مطلقاً. وخسرنا الدعوى. لم اكن انتظر مفاجأة كهذه. لكن كانت مفاجأة اخرى في انتظاري يوم الغد فقد جاءتني موكلتي باسمه منتصرة ووضعت مؤخر اتعابي على المكتب وهي تقول: «جاءتني الفنانة باكية وجثت امامي وراحت تقبل يدي طالبة المغفرة مؤكدة بأنها لم توغز لمحاميها بتوجيه اي يمين». ثم ردت الي المبلغ كاملاً. بقيت حتى الساعة اعجز عن المفاضلة بين نبل المرأتين. واولاهما مسيحية وثانيتها مسلمة.

ولاكمال هذه الصورة للامثولة التي بسطتها دونك نظيرتها: (ن.ج) اكبر اثرياء المنطقة وربما كان من الخمسة الأغنياء الكبار في البلاد كلها. عظيم القدر عظيم النفوذ، بعيد عن السياسة لكنه صديق حميم لمعظم رؤساء الوزارات المعروفين. يبدو دائماً منشغلاً ببناء امبراطوريته المالية. من المشاريع التي استحدثها مصنع لصنع (اليشماغ) يشتغل فيه عدد من العمال يتراوح بين ثمانين ومائة وعشرين تبعاً لطلب السوق على الانتاج. ولايعبأ مطلقاً بتطبيق قانون العمل والعمال الساري لاسيما بخصوص ساعات العمل واحتساب الساعات الاضافية ولا بالعطل المفروضة لشغاليه.

في تلك الفترة. فترة نشاط الاحزاب لاسيما مجهودات الشيوعيين في تنبيه العمال الى حقوقهم. ولذويوع خبري في اوساطهم بالتزامي الدعاوى التي تتعلق بتلك الحقوق راجعني واحد من عرب الضواحي مدعياً بانه سرّح من ذلك المصنع وان له خدمة قدرها كذا وانه كان يعمل اثنتي عشرة ساعة. ولم يعط اجرة الاسبوع المقررة قانوناً لدن تسريحه وطلب مني اقامة الدعوى بما يستحقه. واحتسبتتها فكانت شيئاً يقارب الثلاثين ديناراً. ومثله هو مهر زواج واكثر. اقامت الدعوى فكأنني احدثت زلزالاً وواجهت في المرافعة الاولى بطرية تتألف من ثلاثة من ابرع المحامين واغلاهم اجراً. كانت مظاهرة قانونية لاشك فيها استخدم لها كل حيلة قانونية متصورة لدفع الدعوى وتعاقبت التآجيلات والاعتذارات القانونية عن الحضور في الاوقات المخصصة للنظر في الدعوى. وكانت دلائل اثباتنا دفاتر الخصم وسجلاته. ما ان طالبنا بابرزها حتى قامت القيامة، وبدا الخوف الاكبر من الكشف عن الطريقة التي يصادر الوجيه الكبير صاحب المصانع حقوق عماله. ومضت سنة كاملة وبضعة اشهر على المرافعات. ورتبت خلالها على عجل سجلات لا يبدو للعامل صاحبها فيها اي ذكر. وكان (آخر الدواء) وسيلتنا الوحيدة هو توجيه اليمين لصاحب المعمل. وهو طلب لتفسيده في درئه وساطة ولا

اعتذار. أمر القاضي باحضاره وبدأت سلسلة لانهاية لها من المرافعات ثم الموانع عن الحضور مزودة بتقارير طبية. وعندما طلبنا ان تقصد المحكمة قصره الباخذ لتحليفه اليمين جيء باستشهاد رسمي بانه سافر للاستشفاء في مدينة تركية تقع على البوسفور، ولا يعلم موعد لعودته.

وطلب محاموه ارسال صيغة اليمين الى القنصلية العراقية في اسطنبول لادائه امام القنصل هناك. فتم ذلك. وورد الجواب بانه حلف اليمين فعلاً، وهو ما استبعده.

هذه القضية المزوجة ذات الطابع الاخلاقي كانت في سنواتي الاولى من مزاوله المهنة. ويخطر ببالي ان اعرض قضية اخرى ذات طابع سياسي وتتجلى فيها مصداقية قوله المحامي الفرنسي (روجيه مارتان) التي اثبتناها في صدر حديثي. اذ كان لمطالعاتي الادبية في حسمها القول الفصل.

قبضت شرطة الأمن على طالب ثانوية كان تحت التعقيب زمناً لاشتباهاها بنشاط شيوعي له. وداهمت منزله فعثرت على اجزاء اربعة او خمسة مسلسلة لترجمة رواية «الحرب والسلام» الشهيرة للمفكر والروائي الكبير «ليون تولوستوي» المتوفى في العام ١٩١٠. بالنظر الى دوائر الامن كان كل مطبوع يمت الى كاتب روسي هو مطبوع شيوعي والى جانب هذا كانت ثمّ شهادات لرجال الامن.

احيلت القضية الى المحكمة الكبرى. وكان لدي ترجمة انكليزية لهذا الاثر الفني العظيم الذي لم تبق لغة حية الا وكان للقصة ترجمة لها فيها. وتذكرت ان مكتبة المعهد الثقافي البريطاني بالموصل تحوي ترجمة انكليزية اخرى لها. فسعيت الى مدير المعهد (روس توماس) واستاذنته باستعارة النسخة ولم يكن مسموحاً بالاستعارة الخارجية على ما اذكر فتردد قليلاً لكنني قضيت على ترده عندما صارحته بان القضية تتعلق بحرية انسان ولم ادخل في التفاصيل لكنه ادرك واستنتج ونزل عند طلبي.

جئت مسلحاً بالكتاب وعليه شعار المعهد وختمه يزينه التاج البريطاني. وكانت مرافعة قصيرة وبكلمات موجزة لفظت المحكمة فوراً حكمها بالبراءة من دون مداولة ولا اختلاء ولا سماع شهود.

والقضية الثالثة تتعلق كما حكمت الصدف بحقبة تاريخية لوجه من اوجه الكفاح الوطني الكوردستاني. بآثار نجمت عن الثورة التي قادها ملا مصطفى في العام ١٩٤٥ وقد اخترتها وهي من صغائر القضايا- لا بسبب من هذا- وانما لما يؤدي اليه التعاون الوثيق بين القاضي العادل الفقيه، وبين المحامي الحريص على شرف المهنة من نتيجة طيبة في سبيل الوصول الى الحقيقة.

ربما كان ذلك في اواخر العام ١٩٤٨ او فاتحة العام التالي. جاءني احد حراس السجن بوريقة كتب مرسلها فيها انه من العشيرة البارزانية وقد اثقل بالاشغال الشاقة المؤبدة لا لسبب الا لان اسمه يطابق اسم محكوم آخر غيره في المجلس العرفي العسكري. ذلك ان عمره ايام قيام الثورة لم يكن يزيد عن اثني عشر عاماً.

قمت بمواجهته في اليوم التالي. لم يكن يعرف العربية ولم اكن اعرف الكوردية. ولم يكن يعرفني غير ان اسمي كان مألوفاً في هذا الوسط التي يعيشه بوصفي ذلك المحامي الذي يتولى الدفاع في قضايا مماثلة دون ان يسأل عن اجر.

لم اكن بحاجة الى اكثر من نظرة واحدة اليه لأتأكد من صحة قوله. لانسى قط مقابلتي الاولى له. بدا خائفاً وجللاً مذعوراً كالقط الحبيس، ممتلئاً املاً وثقة بالرجل الذي هبط عليه من حيث لا يدري ليعيد اليه حريته السليبية.

واريد هنا ان احيد عن الحكاية قليلاً لأخذك معي الى خلفيات لا بد منها وبغاية الاختصار. نزلت العشيرة البارزانية واحلافها بعد ختام الثورة الى ايران ومكثت حتى اوائل العام ١٩٤٧ حين قرر ملا مصطفى اللجوء باتباعه الى اراضي الاتحاد السوفياتي وارتأى اخوه الشيخ احمد العودة الى الاراضي العراقية بسائر العشيرة. فاسكنوا مخيمات ومعسكرات مؤقتة.

وكان المجلس العرفي العسكري الذي شكل في حينه في اربيل قد اصدر احكاماً غيابية في قضية واحدة او عدة قضايا. على ما بلغ مجموعته (١١١) متهماً بعضهم بالاعداد شنقاً وبينهم ملا مصطفى واخوه الشيخ احمد والضباط السبعة الذين التحقوا بالثورة الى جانب ستة وعشرين آخرين ونال الباقي احكاماً مختلفة تتراوح بين الاشغال الشاقة المؤبدة وبين الحبس الشديد.

ووجدت الشرطة فرصتها في عودة العشيرة بالبحث عن المحكومين فراحوا يطوفون في المعسكرات وبايديهم مذكرات الحبس الصادرة من المجلس العسكري فوقعوا على هذا الفتى الذي اصبح رجلاً. وكان اسمه طبق اسم محكوم من مقاتلي البارزاني الذين رافقوه في المسيرة. فاخذ واودع السجن.

استهوتني المسألة بقدر ما تهولت عنصر الغدر والظلم فيها. وفي اليوم التالي تقدمت بطلب الى حاكم التحقيق الاستاذ (ضياء شيت خطاب) وهو زميل الدراسة الذي نوهت باسمه في صدر حديثي. مطالباً باطلاق سراح السجين توفيقاً للمادة ٢٨٣ أو ٢٨٦ (ان لم تخني الذاكرة) من قانون اصول المحاكمات الجزائية. ولا اتذكرها نصاً واظنها مستنسخة من القانون

الانكليزي العام Common Law الموغل في القدم وهي القاعدة القانونية التي يسير عليها القضاء هناك والقضاء الامريكي المعروفة باسم habeas corpus فحواها بقدر ما اذكر "انه اذا بلغ الى علم حاكم ذي سلطة (قاضي تحقيق او قاضي جزاء) بأن شخصاً ما قد سجن او اعتقل بدون وجه حق او بدون ان توجه اليه تهمة او يرتكب جرمًا. فعليه بعد التحقق من ذلك ان يأمر باطلاق سراحه".

وكنت عالماً بشوق (ضياء) الى تناول ما قد يعد من قبيل السوابق القضائية بالعناية والاهتمام. كان دائماً يفخر بانه تلميذ الدكتور عبدالرزاق السنهوري القانوني المصري الطائر الصيت وله معه مراسلة.

طلب اولاً احضار السجين لمعاينته وضبط اقواله وبعد ان تأكد من صحة الادعاء احواله الى لجنة طبية لتقدير عمره. واتفقنا على العمل بهدوء وعقلانية لتعلق القضية بثورة منظمة كلفت السلطة كثيراً من السمعة والتغطية الاعلامية. لاسيما تلك الانباء المزعجة التي كانت تداع عما يدبره البارزانيون اللاجئون، وعن النبأ المختلق بان السلطة السوفياتية قد منحت ملا مصطفى رتبة جنرال وانها تدرج رجاله الخ....

قدرت للجنة الطبية عمره الحالي بثمانية عشر عاماً كحد اقصى. وكانت الخطوة الثانية الاطلاع على ملف المحاكمة العرفية المحفوظ في وزارة الدفاع للتثبت من هوية المحكوم الحقيقي الغائب. ولم تستجب الوزارة الى الطلب واحتجت في واحد من ردودها بان الملف هو من اسرار الدولة ولا يمكن اخراجه. ومرة الاسابيع بين اخذ ورد وضاق صدر (ضياء) وهدد برفع المسألة الى وزير العدالة. وفي ذات يوم استدعاني ففزعت اليه فاعز الى حاجبه باغلاق الباب وعدم السماح لاحد بالدخول. ثم اشار الى ملف سمكه يقارب خمس بوصات قائلاً: انهم ارسلوه صحبة ثلاثة ضباط من ركن الادارة وهم ينتظرون في الغرفة المجاورة «خذ منه ما تراه وسجل على عجل لاعيده اليوم. اما انا فقد فحصت الشهادات وتأكد لدي ان الشخص المحكوم الاصيلي كان احد قادة فصائل الثوار بعمر يزيد عن الثلاثين ولا يمكن قط ان يكون سجيننا هذا وقد أثبت ذلك».

كان يعرف اهتمامي ومتابعاتي السياسية لاسيما في القضية الكوردية عموماً. دفع بالملف الى يدي. ولا اظيل عليك فقد نقلت كل ما استطعت نقله واذكر اني ركزت على نقل بعض الرسائل التي كان يبعث بها ملا مصطفى الى المسؤولين العراقيين والبريطانيين وعلى عدد كبير من التقارير السرية. وعلى رسائل ضبطت موجهة الى زعماء ورؤساء كورد قبل القيام بالثورة. وقد شاءت المقادير ان انتفع بما استنسخت، بعد ثلاث عشرة سنة كما سأتى اليه بعد قليل. ولا اظيل فقد اصدر قاضي التحقيق قراره باطلاق سراح موكلي. الا ان مدير السجن لم

يعبأ ورفض التنفيذ، فطلبت تأييد قرار القاضي من المحكمة الكبرى بصفتها الاستينافية وحصلت على المصادقة أيضاً. كان كلانا يرقب نهاية هذه المعركة القضائية الفريدة في تاريخ القضاء العراقي ففي حين اصرت ادارة السجون على الاحتفاظ به سجيناً آل الامر الى استطلاع رأي ديوان التدوين القانوني في وزارة العدل. وطال انتظار القرار حتى بدا وكأن القضية ضائعة. ثم حصل ما لم يكن في حسابنا. ففي اواخر العام ١٩٤٩ جرى حفل افتتاح بناية المحاكم الجديدة ودعي الاستاذ حسين جميل وزير العدل اذ ذلك بالمناسبة. لم اشعر الا والاستاذ ضياء يلكنزي ويهمس في أذني قائلاً: «الحق بالوزير وهو يعرفك واعرض عليه الامر» ففعلت، قال الاستاذ جميل: «ماذا لو جئت الى بغداد؟» قلت «اذن على وزارتك ان تدفع نفقاتي» فضحك وتناول دفترأ وقلمأ من جيبه، ولم يمر اسبوع حتى ورد قرار ديوان التدوين القانوني القاضي باخلاء سبيل السجين. وكان قد قضى سنتين وبضعة اشهر. وقر السنون سراعاً لاجدكم خدمني استنساخي المعلومات من ملف المحاكمة العرفية.

في الاشهر الاولى من العام ١٩٦١ كانت الاجواء مكفهرة وعبد الكريم قاسم يتهبأ لانزال ضربته بالحزب الديمقراطي الكوردستاني وقد مهد لها بالهجوم المبطن على شخص رئيسه البارزاني. شعرنا بذلك عندما انتهز فرصة زيارة له الى مقر الفرقة الثالثة او الرابعة فالقى خطاباً تناول فيه شخص البارزاني بالعيب وصفه في عداد العملاء وخدم الاجنبي دون ذكر الاسم الا انه ذكر اسماء بعض المسؤولين البريطانيين الذين وجه البارزاني رسائله اليهم. فلم يبق مجالاً للشك فيمن يستهدفه الدكتاتور. وتداولنا في (خه بات) في الموقف والرذ فاستبقت وقلت «هذه حصتي فدعوا الرد لي» وكان لي ذلك وفي صبيحة اليوم التالي او بعده، واجه قاسم على صفحات خه بات من الرد ما يستأهل تحديأ صريحأ وعقوبة ادبية لمن تعود على اعتبار اقواله آيات بينات.

في حزب الشعب

س: بدأت حياتكم السياسية والحزبية بالانتماء الى حزب الشعب الذي رئسه المناضل المعروف (عزيز شريف) ثم قدمتم استقالتكم منه وانتميتم الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني متى كان ذلك وكيف. هل لك ببعض تفصيل؟

بالاحرى كنت واحداً من المؤسسين العشرة او نحوهم الموقعين على طلب الاجازة، لامن المنتمين بعد الاجازة. كان ذلك زمن انبعاث الحياة الحزبية في العراق. وقد منحنا الاجازة في اوائل شهر نيسان من العام ١٩٤٦.

وكنت لتويّ قد انهيت خدمة الضباط الاحتياط وعدت الى مزاوله المهنة. خلال مدة وجودي في الحزب كنت معتمد الفرع في مدينة الموصل. ولم انتم الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني فور استقالتي بل مرت فترة تقارب السنتين.

س: اسباب الاستقالة ونشاطكم السياسي خلال فترة عضويتكم؟ ماذا عن رفاقكم المؤسسين. يمكن تزويد القراء بصورة عن الجو السياسي العام الذي كان يسود العراق اثناء قيام الاحزاب ماهر مصير الحزب بعد استقالتمكم؟

لم يعيش حزب الشعب بشكله العلني الا فترة قصيرة لاتزيد عن سنة واحدة وبضعة اشهر وعندها اصدرت حكومة (صالح جبر) قراراً بالغاء اجازته واجازة حزب الاتحاد الوطني الذي كان يرأسه (عبدالفتاح ابراهيم ومحمد مهدي الجواهري). وبخصوص استقالتي، تم ذلك بالاتفاق مع (عزيز شريف) وبعد حديث مستفيض. ومما اذكره ان الاستاذ عزيز ادرك تماماً وجاهة اسبابي في حينه حتى انه شق عليه ان يصدر كتاباً بتوقيعه بقبول الاستقالة وبحكم تلك العلاقة الصميمة الرائعة التي شدتنا بعضنا الى بعض وارتقت طوال السنين لتغدو علاقة عائلية. صداقة متينة لم تقو الايام على النيل منها رغم البعد الزمني والاختلاف العقائدي. قليلاً ما التقينا خلال نصف القرن الذي عقب لقائنا الاول. فاذا التقينا فكأننا كنا معاً يوم امس. لا اريد التحدث عن الاستاذ (عزيز) هنا باكثر من هذا خشية ان يخلو وطابي مما ادخر من كلام عنه عند الاجابة على السؤال التاسع من حواركم وقد عينتموه لي بالاسم.

واما بخصوص رفاقي الذين شاركوني التأسيس. سواء منهم الموقعون وغير الموقعين. فهناك الزميلان المحاميان (عبدالرحيم) وهو اخ (لعزيز) شقيق. و(توفيق منير) وهو ابن عم وصهر لـ(عزيز) زوج اخته. وهنا اود الاشارة الى الظاهرة الملفتة للنظر لتأثير الرابطة العائلية في الحياة السياسية العراقية. بل حتى رابطة الجيرة في المجتمع الضيق. وبهذا المآل كنا نعد السيدة (نورية) زوج عزيز من المؤسسين ايضاً وكذلك الاستاذ (عامر عبدالله). وكان الى جانب (عامر) من المؤسسين غير الموقعين زميلنا كمال عمر نظمي والمدرّسان حسين عبدالعال. وعبدالجبّار وهبي الذي خرج فجأة الى الحياة العامة في عهد قاسم بمقالاته المحكّمة النسيج في جريدة (اتحاد الشعب) متخذاً له توقيع (ابو سعيد)، بعد الرابع عشر من تموز مباشرة، هؤلاء بخلاف زوج (عزيز) وجدناهم يتحولون بعد انحلال الحزب الى المعسكر الماركسي لبيتبأوا مناصب قيادية في الحزب الشيوعي العراقي المتحد. واظنك تجد الكثير عنهم في كتاب (حنا بطاطو) الشهير الموسوم: « The old social classes and Rovolutionary Movements of Iraq الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية العراقية ».

س: اسمح لي بمقاطعتك هنا ، مادمت قد نوهت بهذا الكتاب الذي اثار اهتماماً كبيراً
وضجة ولاسيما بعد ترجمته الى العربية. ما هو رأيك فيه؟ كتبوا كثيراً من
التعليقات والتصويبات له. واثنوا عليه بالمقابل وسيكون من المفيد ان يتعرف
قراء خه بات على رأي فيه ذي وزن كرايك. وان كان هذا سيحيد بنا عن السؤال
الاصلي.

في العام ١٩٧٣ كنت مقيماً ببيروت. اواظب يومياً تقريباً على الحضور في مجلس
المأسوف عليه الاستاذ هاشم جواد وزير الخارجية حتى نهاية حكم قاسم وهو وقتذاك مدير دائرة
الشرق الاوسط التابعة لمنظمة الامم المتحدة بمقرها في بيروت. كنا نجتمع في مقهى يعرف
بمقهى (العم سام) المقابل لمباني الجامعة الامريكية، فينضم إلينا صفوة من رجال العلم ولفيف
من اساتذة الجامعة. ذكر لي الاستاذ (جواد) يوماً ان مؤرخاً عربياً كان قد قضى في العراق
مدرساً سنوات عدة وهو الآن استاذ لتاريخ الشرق الاوسط في جامعة برنستون في الولايات
المتحدة يعكف على جمع مواد لكتاب تاريخ سياسي اجتماعي عن العراق وانه اشار عليه بان
يتصل بي لهذا الغرض. ولم اجد مانعاً وضربت له موعداً. وهيأت نفسي للاجابة عن اسئلة
ماكنت اتوقع غيرها -اعني مايتصل بالحركة الوطنية الكوردية. والاستاذ هاشم يعرف موقعي
فيها معرفة جيدة-. عندما حصل اللقاء في الفندق الذي كنت احل فيه راح الاستاذ (حنا
بطاطو) يسألني عن شؤون بعيدة كل البعد عما كنت اتوقعه. ولم اجده يبدي اهتماماً عندما
حاولت ان اعرج به على ماهياته له. فرجحت اما ان يكون على اطلاع كبير بهذه الناحية بحيث
لايحتاج الى مزيد، واما ان التأليف الذي ينتويه ليس بتلك السعة والضخامة التي ظهر بها
بعديئذ. الخلاصة لم يكن اللقاء مثمراً وختم بعد اقل من ساعة. بعد حوالي عشر سنوات سمعت
بصدور كتابه فاسرعت باقتناء نسخة منه وانا في ايران. كان كتاباً ضخماً يقع في ١٣٠٠
صفحة تقريباً وقرأته برمته. واصدقك القول -مع اعجابي به - انه خيب ظني من جانب الثغرة
الكبيرة فيه. لم يتحدث عن المسألة الكوردية بتفصيل وجدية بل بشكل استطرادي هامشي،
او بمنحى جانبي عابر. ورغم اهمية الكتاب العظيمة كمرجع رئيس من مراجع تاريخ هذا
القطر، كتب بروح حياد وتجرد من اي غرض عقائدي او عاطفي معين. الا ان القارئ الملم
المتابع سيبقى يفتقد فيه عنصر الموازنة في تصنيف الاحداث والوقائع ووضع كل واحدة في
المنزلة التي تستأهلها بين الوقائع الاخرى وكذلك فعلاً بالنسبة الى تحليله الاشخاص وذكر
سيرهم اولئك الذين اهتم بهم بنوع خاص.

يوسف سلمان يوسف "فهد"

س: هل يخطر ببالك مثال؟ لا بد تعلم ان الكتاب ترجم برمته الى العربية وان كثيراً من المثقفين الكورد يأخذون عليه هذه النقيصة.

اظنهم محققين في هذا وهو ما لفت نظري كما قلت وقد علمت من جهات تتصل به انه أقرّ بخطئه الكبير في عدم ايلائه المسألة الكوردية حقها في تاريخه وبلغني انه كان يعد العدة لاستدراك ذلك في طبعة ثانية كان ينتويها الا ان الموت عاجله. لايحضرني كثير من الامثلة على قصور فيه من هذه الناحية. فالنسخة التي كنت قد سجلت ملحوظاتي على هامشها ليست تحت يدي الان لكنني اذكر شيئاً من ناحية فقدان الموازنة بقيادة البارزاني وحره وحياته مثلاً كانت اعتمق اثرًا في تاريخ العراق من حياة وسيرة (يوسف سلمان يوسف) (فهد) سكرتير الحزب الشيوعي في فترة قصيرة مثلاً. لم يحظَ الزعيم الكوردي منه في الكتاب غير عبارات منتشرة هنا وهناك فيما حظي (فهد) بسيرة ينتظمها فصل كامل ان لم تخني الذاكرة. وليته كان ملماً اماماً جيداً ايضاً بسيرة هذا القائد الشيوعي رغم كل الجهد الذي بذله في ذلك. مثلاً ومما علق بذهني. لم يكن يدري ان احد الكتاب الانكليز الف عن فهد كتاباً يتراوح بين القصة الروائية والمساجلة السياسية وقد طبع في انكلترا وتسلفت منه نسخ الى العراق وعنوانه بالانكليزية: (فهد بين العشب Leopard In The Grass) والظاهر انه كان حصيلة لقاءات عديدة بين الكاتب وبين فهد بالذات في بغداد وفي وقت ما من ايام الحرب وان اللقاءات كانت في احدى المقاهي المطلة على دجلة في شارع ابي نواس كما اذكر.

ولم يكن (حنا بطاطو) ايضاً يدري بان لفهد شقيقاً رابعاً يدعى (طارق) نجح في اخفاء علاقة الاخوة هذه عن السلطة ايما نجاح. فقد بقي (طارق) هذا موظفاً في القلم السري بدوائر الشرطة الى الاخير دون ان يفتن اليه احد. وعلى اية حال. فان كتاب (حنا بطاطو) هو كتاب مرجعي لا يستغني عنه اي متتبع لتاريخ العراق الحديث.

س: شكراً. ولنعد الى اصل السؤال. واطننا وقفنا عند حد استعراض لزملائك مؤسسي الحزب.

ظهر فيما بعد ان البقية وهم اكثرية المؤسسين، ليسوا ماركسيين وربما كانوا مثلي ذوي نزعة ديمقراطية اشتراكية. ثلاثة منهم زملاء دراسة ومحامون. وهناك المحامي عبدالامير ابو تراب الذي ترك العمل السياسي على ما اظن والاستاذ عبدالرزاق الزبير الذي خرج فجأة الى ميدان العمل السياسي بعد الرابع عشر من تموز وعين ان لم تخني الذاكرة عضواً في اللجنة

التي قامت بصياغة قانون الاصلاح الزراعي ولا ادري اكان بعد تعطيل الحزب ضمن تشكيبه السري ام لا .

قبل قيام فكرة تأسيس الحزب بأكثر من اربعة اعوام . كان استقطاب الحركة الديمقراطية حول (صوت الاهالي) قد تقطعت اسبابه بفرقة لالقاء بعدها بين الثلاثة الذين قدر لكل منهم فيما بعد -اي عند اجازة الاحزاب- . ان يتأسس واحداً من الاحزاب الديمقراطية الثلاثة المجازة . ووجه المفارقة هنا اني كنت على معرفة وعلاقة بكل من الاستاذ كامل الجادرجي وعبدالفتاح ابراهيم قبل ان تكون لي اي معرفة او علاقة بالذي كنت سارتبط به سياسياً وعاطفياً زمناً طويلاً اي (عزيز شريف) .

عرفت الجادرجي في اوائل السنة الدراسية للعام الثالث وقد قدمني اليه (كامل قزانجي) . ولفت نظره مرة اسلوب في ترجمة مقال نشر في صوت الاهالي ، ومدح لغتي السليمة . اما حظي من عبدالفتاح فقد كان اكثر من هذا وللصدف هنا احكامها . عرفته لماماً بتردده على (ذوالنون ايوب) . وبلغ مصدر اعجابي بكتابه «مقدمة في الاجتماع» ان خيل لي اني استطيع فرض اوليات من موضوعاته بله قراءات فيه لطلاب الصف المنتهي في مدرسة الامريكان الاهلية التي كنت والاستاذ قزانجي ندرس فيها في العام ١٩٤٣ . وكان عبدالفتاح مدرساً في المتوسطة الغربية (او الشرقية) الرسمية التي لاتبعد كثيراً عن مدرستي في حي (السنك) . لادري كيف زين لي ان انمي في اذهان مجموعة متنافرة من الطلاب اهتماماً بالنظريات الاجتماعية الحديثة . وكثير منها يبدو للكبار -والذين اوتوا حظاً من العلم- من قبيل المعميات . وكانت دهشة (عبدالفتاح) ولاشك بالغة عندما طلبت تزويدي باكثر من اربعين نسخة من هذا الكتاب ووضعت اثمانها امامه .

والذي يعرف الاستاذ لاشك في انه يتفق معي بأن وجهه الصخري المعروف كفل له دائماً اخفاء مشاعره الجياشة . وهو بطبيعته نزر الكلام . ويدا محتاراً وكأنه يريد القول شيئاً عن طيش وتهور لهذا ابن العشرين الذي يجراً ان يجعل من طلابه مالم يجراً هو نفسه حتى على التفكير بعمل مماثل مع طلابه . الا ان المبلغ المدفوع كان كبيراً والعرض غير قابل للرفض . وكنت احمل العشرة والعشرة من النسخ وهو يأتيني بها تباعاً الى المدرسة فانقلها وبهذا الشكل وثقت صلاتنا . ومرت ثلاث سنين قبل ان التقيه ثانية وهو رئيس لحزب الاتحاد الوطني بالضبط رئيس لجنته السياسية) .

ولم اتعرف الى الاستاذ عزيز خلال سنوات الدراسة . وانما عرفته قبل اشهر قليلة من تأسيس الحزب . وكانت وسيلتي زميل الدراسة الصديق (عبدالرحيم) شقيقه . ونحن نمضي آخر ايام التدريب في دورة الضباط الاحتياط . هناك فقط فاتحني بنية تأسيس حزب الشعب . وقد

انتشر في الجو السياسي نبأ اعتزام الحكومة على بعث الحياة الحزبية اثر خطاب القاہ الوصي وبه وعد بذلك. ولأكونن في غاية من السماجة وسوء الذوق ان لم انتهز هذه الفرصة لاقول شيئاً عن هذا الانسان النبيل الذي أنست بصحبته الدائمة خلال تلك الفترة وراعتني منه دماثة وهدوء ورقة قد لاتعهدها الا نادراً عند ذوي العقيدة الراسخة باندفاعهم الحماسي في ترويج آرائهم. كان كالبحر الهاديء في هدوئه ولطفه، ولم الحظ قط ان صوته ارتفع او بان عليه هياج في مثار نقع جدال سياسي كنا ننجر اليه في احيان كثيرة. وقد اكبرت فيه بعد ما اتضح لي اتجاهاته العقائدية، ذلك الصبر والاناة اللذين كان يتلقى بهما نقدي الجراح احياناً بما كان يمس عقيدته الماركسية في الصميم. عندما جاءني نبأ ميئته الشريفة وانا في معتقل انقلابي الثامن من شباط ١٩٦٣ لم يدركني العجب فقد كنت مدركاً من اي معدن صب هذا الانسان. إن لدي صورة له مع الاستاذ ابراهيم احمد وهما سجينان اخذت لهما في سجن بغداد المركزي ويوسفني اني خلفتها ورائي في السويد والا كان من دواعي سروري ان اطلعك عليها.

التيارات السياسية إبان حركة مايس

س: بودي لو حدثنا بشئ عن تلك التيارات السياسية التي سبقت تجربة العام ١٩٤٦ الحزبية. فقد كان هناك حزبان مجازان آخران خلاف الاحزاب الاخرى، قرأنا كثيراً عنها لكنك عشتها وواكبتهما. وهي بالتالي من صلب السؤال.

كان الجميع (وطنيين) اتحدوا في مقارعة الانتداب ثم النفوذ البريطاني بعد الاستقلال المتجسم في نبذ المعاهدة ومهاجمة الحكومات العراقية بسبب تفريطها بكرامة الاستقلال وبمصانعتها النفوذ البريطاني. كانت شعارات ونداءات عامة تستمد قوتها وضعفها من ماجريات المشاكل الداخلية والعلاقات الخارجية لهذه الحكومة او تلك وبكل ما تخللها من انقلابات عسكرية متتابعة استقطبت اخيراً بحركة رشيد عالي المسماة بحركة مايس ١٩٤١. وفيها او على اثرها بدأ الانشطار المبدئي. وظهرت صفة (قومي) الى جانب صفة (وطني). كان من سوء حظ اولئك الذين عرفوا بالقوميين، ظهور النازية والفاشية على المسرح الدولي وحينئذ بدت المعادلة عند القوميين في غاية البساطة النازية تعادي اليهود. واليهود يزاحمون عرب فلسطين ويريدون: اقامة كيان يهودي او صهيوني في بلاد عربية. والنازية تشن حرباً غايتها القضاء التام على الامبراطورية البريطانية التي تشجع اليهود على الاستيطان وتفردت بحقوق اهل البلاد العرب. وهي مُدلة العراقيين بسيطرتها الغاشمة على الحكومات العراقية. ولم يكن لاولئك الذين سميانهم (بالوطنيين) من سلاح او حجة تقوى على هدم هذه المعادلة، المنطقية فهم ايضاً يشاركون القوميين في عدائهم للبريطانيين. كانت الموجة النازية العاتية في

عراق حركة مايس لا يقف امامها سدّ. بلغ التحمس اقصاه بالانتصارات الميدانية الحافظة التي كانت تحققها الجيوش الالمانية. ليس بامكانك ان تتصور حالة الجنون والهستيريا التي انتابت سائر طبقات الشعب وشاركها فيها طائفة كبيرة من المثقفين، ولم يكن بعجيب قطّ ان يستغل الضباط الانقلابيون ورشيد عالي ورهطه من السياسة، ذلك الشعور العام ليركبوا الموجة الكاسحة ويصرف النظر عن الدوافع، أكانت شخصية او بدافع المصلحة العامة أي الحرص على أن يكون العراق الى جانب المنتصر في ذلك الصراع العالمي الدائر^(١٠). يصعب عليّ أن أقدم وصفاً لتلك الحال، فلا أجد مندوحة او بديلاً الا برواية حادثين شهدتهما بعيني.

عافت نفسي ما رأيت في بغداد خلال الاسبوع الاول من شهر مايس فتركتها وعدت الى الموصل. وفيها وجدت الهستيريا التي سادت بغداد تأخذ هنا شكلاً هزلياً بالغ الطرافة: انتشر المتطوعون في كل شارع وزقاق لاصطياد الجواسيس الذين يتصلون بالعدو البريطاني واتفق ان

(١٠) وجدت بين أوراقى فقرة من كتاب سولبرغر: الإستعدادات الألمانية في الشرق الأوسط من ٦٦٣ مقتبس من مطبوعات وزارة الخارجية البريطانية (١٩٤٢-١٩٤١-٢٠) وهو من محفوظات وزارة الخارجية بني على رسالة كتبها بالعربية شخص مجهول لم يفصح التقرير عن اسمه حول الدور الذي كانت تقوم به المفوضية الألمانية ببغداد لإثارة الشعور بالكراهية واليغضاء ضد الإنكليز والفرنسيين واليهود. ويحصر التقرير الطرق التي كانت تلك المفوضية تلجأ إليها بخمسة:

(أولها): توثيق صلات شخصية بكل الزعامات السياسية وتمتين عرى صداقة معهم. وتشجيع الناس للقيام باعتداءات على اليهود وقد بلغت حداً صارخاً في حوادث يومية من ضرب وإهانة. وتشجيع القوى الفلسطينية ومدهم بالمساعدات المالية كمنح ياسين الهاشمي الفلسطينيين مبلغ عشرين ألف دينار. وتعاون حكمت سليمان ويكر صدقي مع الألمان. وعقدتهما صفقة سلاح كبيرة.

(ثانيها): إثارة المشاعر القومية بين الشباب العراقي من خلال المدرسين الألمان الذين إستخدموا لتعليم اللغة الألمانية في الثانويات والمعاهد العالية ونشر الدعاية النازية بانتقاد مخططات الفرنسيين والبريطانيين والصهاينة للبلاد العربية. وفي زمن وزارة المدفعي سافر وفد من الشباب العراقي الى برلين لحضور مهرجان الشبيبة الهتلرية في نورمبرك (١ أيلول ١٩٣٨) عندما بلغت أزمة (السوديت) شأوها الأقصى. ورُتب أن يستقبل هتلر الوفد شخصياً ويلقي فيهم خطبة.

(ثالثها): إثارة شعور الكراهية عند العراقيين ضد اليهود. ومحاولة إقناع السلطة بإستئذان قوانين تحد من نشاطهم المالي والإقتصادي، بتأميم النقل وتأسيس بنوك عربية لإحتواء السيطرة المالية والتجارية اليهودية.

(رابعها): إستغلال المظلمة العربية في فلسطين لصالح الألمان بتوثيق صلات قوية مع اللجنة العليا للدفاع عن فلسطين في بغداد التي كان يرأسها الفريق طه الهاشمي منذ العام ١٩٣٨ ودعمها مادياً وأديبياً. وقد نجحت المفوضية الألمانية أيضاً في كسب الصحافة العراقية الى جانبها من خلال علاقاتها الحميمة بمديرية الدعاية والنشر.

(خامسها): النجاح في عقد إتفاقيات بين المفوضية الألمانية ومديرية الدعاية والنشر على إنشاء وكالة أنباء برقية في دمشق لغرض تكوين مركز إستعلامات ولتبادل الأخبار مع الوكالة الرسمية الألمانية للأتباء (دي.إن.بي)

Sulburger: German Preparations in the Middle East: (Foreign Affairs)

طحان البرغل (شابو) الذي لم يكن يملك غير سروال داخلي كتاني واحد، اشار على زوجه فغسلته له ونشرته على عمود في سطح الخان الذي يسكن احدى غرفه والخان مشرف على شارع نينوى فصارت الريح تعبث به عندما جفّ فتملاؤه وتميله يمناً ويسرة فبات يبدو اشبه بتلك القماشة الاسطوانية المجوفة التي تنصب عادةً على سارية في المطارات لتعيين اتجاه الريح. واتفق ان لاحظته احد صيادي الجواسيس.. رأيت طحاننا هذا بالصدفة وهو مغلول اليدين بين اربعة من الشرطة مع مفوض يحمل الاداة الجرمية (سرواله) التي كان يعطي بها الاشارات الى الطائرات البريطانية!

بل وانكى من هذا: جار لي معلم في مدرسة ابتدائية يقاريني سنأً أو يزيد قليلاً، انسان دمث طيب المعشر الا اذا انقلب وحشاً كاسراً حين يذكر أحدهم (هتلر) أمامه باستخفاف. بلغ به الهوس القومي والرهان على خلاص العراق من الهيمنة البريطانية انه كان يعقد الاجتماعات الليلية مع لفييف من شركائه في العقيدة ليصغوا جميعاً بخشوع ورهبة الى عبارات المذيع (يونس بحري) التحريضية من راديو برلين، وكثيراً ما كنت اغشى مجلسه قليلاً للترفيه والتسلية محاذراً جرح مشاعره، واتفق -في منتصف شهر مايس- ان حطت في مطار الموصل طائرات المانية، حملت خلا الطيارين عدداً من الخبراء والميكانيكيين. ولأدري كيف توصل معلمنا هذا اليهم وكم بذل من الجهد ليحصل منهم على علبه من اللحم المحفوظ. جاء بها وكأنه عشر على كنز ودعا اصحابه كافة الى حفلة فتح العلبه والمشاركة في تناول ما تحويه. كنت بين المدعويين وتم فتح العلبه بوقار وإحترام وراح الكاهن الأكبر يدور عليهم واحداً بعد واحد يناولهم ملء ملعقة. اعتذرت عن المشاركة طبعاً. لأنني كنت اكره لحم الخنزير، ولا ادري اكان صاحبي يعرف ذلك، وهو وجماعته مسلمون - أم انه جهل الحقيقة؟ اما انا فلم اقل له.

وانحسر التيار بتصفية حركة مايس وسوق الاعداد الكبيرة من النشطين فيها الى المعتقلات التي فتحت خصيصاً لهم. ثم افرغت تدريجياً بعد القضاء على النازية وانتصار الحلفاء. وخرج القوميون وهم في نهاية الضعف وانتشرت الافكار التي اتخذت لها الاسم العام (التقدمية) وهو اسم صيغ في معامل الاتحاد السوفيتي خصيصاً ليتخفى به الماركسيون وليطلق ايضاً على الديمقراطيين ومن يتوسم الماركسيون والشيوعيون فيهم رفاق طريق. وبقي القوميون فترة قصيرة يفتقرون الى ايدولوجية وهدف، لتأتي المسألة الفلسطينية جرةً مقوية وركيزة صلدة يمكن بناء قضية مركزية عليها الى جانب رفع شعار الاصلاح والتقيد بأحكام الدستور ولم تكن المعاهدة البريطانية وقتذاك تحتل جانباً من الضمير القومي، بحكم الظروف. وبدا التكتل القومي واضحاً في شخصيات مؤسسيه وبالأسم الذي اختير له «الاستقلال»

وهو أسم أثري في الواقع قبل ان يكون عملياً مطابقاً. فالبلاد مستقلة وآية استقلالها عضويتها في الأمم المتحدة وسائر الهيئات المنبثقة عنها. اما اذا كان مؤسسوه يريدون التذكير بأن الاستقلال غير كامل وان النفوذ البريطاني باق. فهذا شيء آخر. وقد احسنوا صنعاً باختيارهم محمد مهدي كبه رئيساً له. فهو انساني قومي نظيف ذو ماضٍ وطني لا تشوبه وصمة، وهو الذي اختير بعد الرابع عشر من تموز عضواً في مجلس السيادة الثلاثي.

وحزب الاحرار الحزب الخامس وهو من الاحزاب التقليدية التي شكلت في اوائل الثلاثينيات والعشرينات، كان رئيسه المرتقب توفيق السويدي بعينه رئيس الحكومة وقتذاك.

وقدم لقيف من الماركسيين والشيعيين طلباً لتأسيس حزب بأسم حزب التحرر الوطني ليكون واجهةً، فرفض الطلب.

كادت الشخصيات -التي استقطبت حولها كيانات الاحزاب - تكون معروفة وشرعت الاحزاب تعمل وكأنها اجيزت قبل صدور الترخيص الرسمي وبعد قيام الحكومة بمنح امتيازات لمن لا يملك من تلك الكتل.

ومما اذكره بهذا الصدد، اننا طلبنا امتيازاً لجريدة الحزب باسم «الشعب» وارتوي ان يكون الامتياز باسم الشخص الثاني الذي يلي (عزيز) مقاماً في الحزب وهو السيد «يحيى قاسم» وكنت قد نوهت في الحلقة الاولى من هذه المقابلة بأسمه، كان موظفاً كبيراً في مديرية السكك الحديد فاستقال وبدأ يزاول المحاماة انتظاراً لأجازة الحزب، مثلما فعل (عزيز) بتركه القضاء. لا ادري ما حصل بعد صدور الجريدة فقد كنت في الموصل. وكل ما عرفته ان صاحب الامتياز هذا كان يببب نيةً سوء فقد افتعل خصاماً وابتعد نفسه عن الحزب واستأثر بالجريدة لنفسه، لتغدو كسائر الجرائد الفردية اللاحزبية وأظنه افاد بهذا اذ كان يسخرها للحكومات على امل اسناده في دورة انتخابية وبعد سبع سنين اسعده الحظ ففاز بالنيابة عن مسقط رأسه الموصل وهذا هو المجلس النيابي الشهير الذي لم يرض عنه نوري السعيد لوجود تسعة او عشرة من النواب كان يكره ان يسمع صوتهم في المجلس ولم يكن (يحيى قاسم) منهم. فقام بحله بعد جلسة واحدة فقط. وأظنه فاز بنيابة اخرى في آخر مجلس للنواب ولم يستمتع بالنيابة طويلاً فقد كنسته ثورة تموز.

اذكر يحيى قاسم اثناء ترده الى مجلة «المجلة» في ١٩٤٣ اذ كان اعلى الاصوات وأكثرها لهجاً بالنظرية الجدلية أي الماركسية. واختفى اسم (يحيى قاسم) من الحياة العامة وأظنه ترك العراق بعد الرابع عشر من تموز. ثم ظهر اسمه فجأة في الاعلام الدولي في اوائل الثمانينات، مقترناً بحادث اغتيال «عبدالرزاق النايف» وهو الضابط الذي اسند لنفسه منصب رئيس الوزارة بانقلاب السابع عشر من تموز ١٩٦٨. فقد اتهم في لندن -حيث جرى

اغتيال الضابط- بأنه هو الذي قاده الى حتفه مسهلاً مهمة القتلة.

واضطر عزيز شريف الى استصدار امتياز جديد لجريدة الحزب بأسم «الوطن» وقد سُدت والغي امتيازها بالغاء اجازة الحزب. اننا لم نكن عاطلين فكريباً فالى جانب الجريدة. اصدرنا ربما قبل الاجازة سلسلة من الكتب او الرسائل متخذين لها العنوان الذي قد يبدو غريباً الآن «رسائل البعث». وساهمت (نورية) زوج عزيز بترجمة كتاب. كما ساهم (عزيز) بكتاب اظنه عن القضية الفلسطينية وساهمت انا بترجمة كتاب تاريخي سياسي لمؤلف انكليزي عن الحركة العمالية للمؤلف الانكليزي الاشتراكي أ.و. كامبل عنوانه «الاصول التاريخية لحركة العمال العالمية». غيبتُ اسمه في قائمة الكتب التي كانت توضع في اواخر طبعات كتبي، لأجده في آخر ما يخطر بالبال. اذ كنت قبل ايام في مكتبة أحد الوراقين هنا بمدينة اربيل ووقعت يدي على كتاب انيق التجليد والطباعة كتب عليه اسم دار طباعة لبناني وتاريخ ١٩٨٢ بالعنوان الغريب «معجم الاسماء المستعارة واصحابها ولاسيما في الادب العربي الحديث» صنفه الببليوغرافي المعروف «يوسف اسعد داغر» فأجتذب عنوانه اهتمامي واقتنيته. ورحت اقلب صفحاته على غير هدى وتعيين لأجد أسم مؤلفه الى جانب حرفي (ج.ف) وهو البديل لأسمي الذي ارتأى الاستاذ عزيز وضعه عليه. والمؤلف (داغر) كان يشير الى ان مصدر هذه المعلومات هو «معجم المؤلفين العراقيين» الذي صدر في العام ١٩٦٩ بمجلدات ثلاثة للأستاذ غورگيس عواد لكن كيف توصل هذا المصدر الاخير الى اسمي الحقيقي. اذ قال ما نصه:

[ج.ف: توقيع الكاتب العراقي جرجيس فتح الله الخ...] وكنا قد حرصنا على الكتمان؟

بالإختصار لأدري او بالأحرى لاتسعنفي الذاكرة لأقطع بصدور غير هذه الكتب الثلاثة تحت عنوان «رسائل البعث».

الإستقالة من حزب الشعب

س: بهذه المناسبة، وبحسب ما بينت سابقاً ان هذه الأحزاب ولنطلق عليها اسم

(الأحزاب الديمقراطية) كانت متقاربة المناهج والديمقراطية قاسمها المشترك، الذي

يربط قياداتها او اشتراكية النزعة كما تنظرها الحكومة. هل جرت محاولات

لتوحيدها في حزب واحد بعد أن منحت الاجازة بالعمل رسمياً؟

بخصوص الحزب الوطني الديمقراطي لم يكن هناك اي أمل في لقاء مع أي من الحزبين لا عن طريق التوحيد ولا على صعيد التنسيق. لأن الصدع الذي حصل في كتلة الاهالي في

اوائل العام ١٩٤٢ كان ايديولوجياً وتعبوياً في عين الوقت. الجادرجي ومعه محمد حديد وحسين جميل كانوا يرون في (صوت الاهالي) وسيلة لتثقيف الرأي العام وتوجيهه سياسياً فحسب. في حين كان عزيز وعبدالفتاح يجدان في صوت الاهالي والعصبة المنتفخة حولها اداة تجمع حزبي أنني لايمكن تأجيله وان تكون سياستها سياسة مواجهة صريحة مع الطبقة الحاكمة. والجادرجي هو من طينة اولئك الرجال الذين يفكرون كثيراً وطويلاً قبل الوصول الى قرار معين ومتى وصل اليه يصيح نقاشه فيه او محاولة اقناعه بغيره من قبيل المستحيلات، فهو شديد الاعتزاز برأيه.

أما بخصوص الحزبين الآخرين -وانا لا اريد الاطالة في هذا- فقد شرع فعلاً في بحث امكانية توحيد الحزبين في واحد بعد شهرين او ثلاثة من الاجازة واتخذت خطوات عملية وجرت مفاوضات. وجدت نفسي ممثلاً في احداها بصدفة وجودي في المقر وفي اثناء زيارة (محمد مهدي الجواهري) للأستاذ (عزيز). انهى زيارته وكانت تدور حول موضوع التوحيد. وكان (عزيز) يعلم عن صلة لي بالأستاذ (عبدالفتاح) فذهبنا سوياً (الجواهري) وانا الى مقرهم. كل ما يعلق بذهني من تلك الجلسة ان عبدالفتاح كان يحتكر الحديث. وان الجواهري كان يرى التجاوز عن بعض المواقف والتركيز على نقاط اللقاء. والحاصل ان المحاولات ظلت مستمرة متراوحة آنأ بين الدمج الكلي وأنأ بين اقامة الوحدة السياسية والتنظيمية بابقاء هيكلية الحزبين. وقد شعر رئيسا الحزبين بضرورة ذلك عندما وقعا تحت وطأة التسلسل الشيوعي في نسيج الحزبين التحتي بأمر صريح من قيادة الحزب الشيوعي العراقي اثر فشله في الحصول على اجازة الحزب الواجهة كما نوهت به قبلاً. وربما كنت وانا في الموصل اول من تلقى الصدمة التي أدت الى استقالتي من الحزب.

س: أتعني ان البداية كانت في الموصل؟ وأنت معتمد الحزب هناك؟

ليس هذا بالضرورة. لاشك في ان اللجنة المركزية في بغداد كانت على علم والبداية ولاشك كانت هناك والغزو لم ينفرد به حزب الشعب بل شمل الحزبين الآخرين. وأرى من الضروري للجواب أن اعود الى الوراء قليلاً لأقدم لقرائكم خلفية للشخصية التي قادت المحاولة الانقلابية في الموصل.

الاستاذ محمد توفيق حسين صديق الدراسة الصدوق منذ المرحلة الدراسية المتوسطة. ما كنا نفترق الا لنأوي الى الفراش ندرس معاً، نبتاع الكتب الادبية والدواوين وتبادل قراءتها. ينظم الشعر وانظم وتتزاور عائلتيماً. افترقنا بعد الثانوية وارسل في بعثة دراسية للجامعة الامريكية ببيروت ويقينا نتراسل ويرسل اليّ كل ما استجد من الكتب مقتطعاً من مرتبه

المحدود المخصص له. ثم أرسل الى انكلترا ليكمل درجة الماجستير ثم عاد ليعين في مدرسة الملك فيصل على ما اتخطر وهي المدرسة التي فتحت خصيصاً لقبول ذوي المواهب والخريجين المتقدمين فما لبثت ان سدت لتفشي (الافكار الهدامة) فيها على ما وصفت. تبين لي فيما بعد ان محمد توفيق وهو يدرس ببيروت انضم الى الحركة التقدمية في فترة الانفتاح السياسي والنشاط الفكري العقائدي اثر سيطرة الحلفاء على سورية ولبنان. وكانت مستقطبة حول مجلة "الطريق" التي قامت باصدارها جمعية ادبية (في الظاهر) تألفت في بيروت العام ١٩٤٢،

وضمت فريقاً كبيراً من مشاهير رجال الفكر والقلم. ذكروا في اعدادها الاولى ان غاية الجمعية هي "الاقرار بالجميل لتلك الشعوب التي انقذت بلادنا من احوال الحرب. بصمودها امام العدوان النازي" او شيء من هذا القبيل. ومن المقالات التي كانت تنشرها المجلة وكان (محمد توفيق) يبعث بها اليّ تباعاً. عرفت الشخصيات التي كانت تنتظمها تلك الجمعية وبينها ما ظهر انه شيوعي فيما بعد وهي اسماء لأعلام من المؤلفين البارزين ورجال الفكر السوريين واللبنانيين امثال (عمر فاخوري) و(كامل عيساد) و(يوسف ابراهيم يزبك) مؤلف كتاب (النفط مستعبد الشعوب) الشهير. و(رئيف خوري) صاحب المؤلفات الادبية النقدية. و(اميل البستاني) الماليّ الكبير الذي احدث مصرعه في حادث طيارة وبظروف غامضة رجحة في اعلام الشرق الاوسط وواساطه المالية. و(قديري قلعجي) المؤلف الكبير الذي خرج فيما بعد عن الحزب الشيوعي اللبناني وكان من قياديه. والاديب والسياسي (انطون ثابت) وغيرهم.



محمد حديد

كانت اللغة مشتركة تقريباً بين اولئك المحسوبين على المعسكر الديمقراطي لايعرف من هو الشيوعي حامل بطاقة الحزب او الماركسي او الاشتراكي الثوري، او الاشتراكي الفابي، او الديمقراطي الدستوري او الديمقراطي فقط. بالاختصار كل من تحسس خطر الافكار النازية. وفي اوائل الصيف عندما قدم (محمد توفيق) من بغداد لقضاء العطلة بين اهله. رحبت به في المقر. وابدت ارتياحاً كبيراً عندما عرض القاء محاضرات على انصار الحزب واعضائه وتركت له الميدان حراً.

كنت قد زودت ببطاقات انتماء وينسخ من منهاج الحزب (وتجده مثبتاً برمته في الجزء السابع من تاريخ الوزارات العراقية).

لم يكن في المنهاج شيء يربطه بالماركسية من بعيد او قريب قدر ما كان منهاج الحزب الديمقراطي الكوردي الذي شكل سراً بعده بقليل قريباً من تلك المصطلحات بل وصريحاً في اعتماده الاخذ بالنظرية الماركسية العلمية والاستهداء بها والافادة منها. وقد بقيت حجة قياداته الاولى كما علمت فيما بعد انه وكغيره من الاحزاب الثلاثة المجازة لم يسلم من التسلل الشيوعي. فاختر ان يضمّن هذه الفكرة منهاجه ليجتذب حسبما ادعى واضعوه اكبر عدد من الشيوعيين اليه اي بعكس عمل تلك الاحزاب التي كانت تقف حائلةً دون التسلل.

اعود لأقول رجعتُ الى الموصل بعد عقد المؤتمر الاول (والاخير) للحزب ومعني كمية من بطاقات طلب الانتماء. وبدا لي الاقبال على طلب العضوية عاصفاً كاسحاً بين الاوساط الشعبية. ومع ان الطلبات كانت ترسل الى المقر مع التزكية المفروضة بالنظام الا ان الطالبين كانوا يتصرفون وكأن قبولهم امر مفروغ منه.

لا ادري ماذا كان يدفع هؤلاء البسطاء الفقراء وبعضهم لا يحسن القراءة والكتابة الى هذا التهافت. اكانوا يحسبون في الانتماء الى الحزب نهاية لتناعيهم وضمانة لازالة الغبن الاجتماعي عنه بمجرد انخراطهم فيه؟ لم اكن املك اذ ذاك النضوج السياسي المتكامل وبدأت اشعر بثقل المسؤولية والورطة ان شئت الدقة. في عين الوقت صرت ادرس بالتدريج تأثير الزعامة الحاسم في الحركة الجماهيرية ازاء ضعف الايدلوجية. بمراقبتي تأثير محاضرات صديقي محمد توفيق وقصائد (بشير مصطفى) فيهم وبكيفية انقيادهم العاطفي الذي كان احياناً يبلغ مبلغ الحماسة واني لأقول جازماً بأن معظم هؤلاء السامعين لهما ما كانوا على درجة كافية من الوعي والادراك ليفقهوا اكثر مما يلقي عليهم. وتلك هي بذور الزعامة والقيادة. وقد اخرجت أشطاءها حين جاءني (محمد توفيق) مع ثلاثة آخرين لمفاتحتي بلهجة الواثق من موافقة تلاميذهم التامة بانهم يرون ضرورة اشراكهم في المسؤولية جميعاً عن طريق تأسيس مكتب للحزب يتألف منهم ومني عضواً مثلهم. ولم اكن بحاجة الى كثير من التفكير لأدرك النية في احداث انقلاب متطرف. فاستمهلته للاتصال بالمقر العام وكتبت مشدداً على ضرورة قدوم رئيس الحزب فخف (عزيز) مسرعاً. وعقد اجتماعاً دام عدة ساعات مع رؤوس الانقلاب اكد فيه ان الحزب ليس حزباً ماركسياً ولا هو واجهة شيوعية وانما هو حزب ديمقراطي صرف ويبيّن بصراحة رفض الحزب اي تيار يناقض بأي شكل الاسس والمباديء المسطرة في منهاجه وما الى ذلك. وتظاهر المستمعون بالاعتناع. وعاد (عزيز) ظافراً بما ابداه الانقلابيون من خضوع الا ان الامر لم يكن كذلك.

مع ذلك كان وضعي في مركز المسؤولية اكثر مما يتحملة ابن الرابعة والعشرين بقله تجربة سياسية وخبرة في الحياة الحزبية، وجهل او تجاهل يكاد يكون فاضحاً بالوسط المحافظ الذي اعيش فيه. فقد كان هناك فضلاً عن هذا الضغط الداخلي، الضغط الخارجي العظيم المتمثل في السلطة المحلية وفي فرع حزب الاستقلال الذي خصني مسؤولوه بالعداء السافر الى حد الاعتداء الشخصي. واحدة منها اذكرها بتفاصيلها كأنها وقعت امس، ومرسحها غرفة المحامين في الموصل. لا ادري كيف بدأ ذلك. كان هناك جدال صرت فيه هدفاً لاهانة ومحاولة اعتداء. واتفق ان كان الطيب الذكر (سليم الفخري) وزميله (غضبان السعد) في الغرفة زائرين او لشأن من الشؤون فتدخلوا وهما ببزتهما العسكرية الى جانبي وكاد الامر يفضي الى تلاحم وتماسك بالايدي. حينذاك وحينذاك فقط ادركت ان كان يقف (سليم) ووجه المفارقة في الامر هو ان رأس المعتدين كان من اقربائه وانسباء عائلته!

واستغلّت رحلة استطلاع لحقول زراعية قمت بها في قرية نينوى على الضفة اليسرى وانا بصدد الكتابة عنها لصحيفة الحزب. فعُدّت السلطة عليّ ذلك اجتماعاً غير قانوني ادى الى اعتقالي اسبوعين واحالني احد القضاة الذين ذكرتهم في الحلقة الماضية بوصفهم زبائن للمجالس العرفية. بتهمة وفق المادة ٨٩- فقره (أ) وهي جناية ولم ينقذني الله من غوائلها غير تأليف وزارة جديدة كان من اعمالها غلق الدعاوى السياسية التي اقيمت على رجال الاحزاب قيد النظر ومنها تلك المحاكمات الصحفية الشهيرة لكل من عزيز شريف وكامل الجادرچي وناظم الزهاوي وعبدالفتاح ابراهيم وغيرهم.

س: الا ترى ان يكون للعامل الديني اثره وفي مدينة الموصل التي تقطنها اغلبية متعصبة وواقع كونك مسيحياً؟

ربما كان هذا في مقدمة الاسباب او واحداً من العوامل الرئيسية. ولم اكن قد اسقطته في حسابي مطلقاً. الا اني كنت واثقاً بأن الهجوم لن يأخذ هذا الاتجاه علناً على الاقل لوجود وسيلة اكثر وقعاً وتأثيراً، وهي اتهام الحزب بالاحاد والتبشير بالاراء الهدامة التي يحرمها الدين الاسلامي. بهذه المناسبة ومصدقاً لافتراضك هذا. اود ان اشير الى ما وجدته عني وعن حزب الشعب في كتاب (تاريخ الوزارات العراقية). ففي الطبقات الاولى والثانية والثالثة من هذا الكتاب الثمين الفريد من نوعه. اتى الاستاذ عبدالرزاق الحسيني الى ذكر اسماء مؤسسي الحزب من دون تعليق. الا اني وجدت في طبعته الخامسة والسادسة ما هو اشبه بالكفارة عن مواقفه اللاقومية في طبعات كتابه الاولى التي تمت ايام العهد الملكي وایام عبدالکریم قاسم. فقد تفضل رحمه الله بالتنبيه في هاتين الطبعتين الى انتمائي الديني فكتب الى جانب اسمي كلمتي التعريف (المحامي المسيحي) وزيادةً للتدليل على قوميته وعروبته بحكم الظروف،

رأيناه في هاتين الطبعتين ايضاً (١٩٧٨ و ١٩٨٠) يقدم المؤسسين بهذه العبارة السمجة:
«وقدّم جماعة من المحامين والكسبة الاحداث الذين لا يعترفون بثقافة غير الشقافة
الماركسية طلباً باجازة....». ما اظن الحسنى كان يعلم ان صديقه في العام ١٩٧٠ وما قبله
هو عين ذلك الذي نبه قراء كتابه عليه بأنه مسيحي. وهكذا ترى ان لرأيك هذا نصيباً كبيراً
من الصحة.

بقي عليّ ان اكمل حكاية الانقلاب الداخلي ومآله وكيف عجل ذلك باستقالتي. خيم فتور
على نشاط الفرع وحزّي في نفسي ان تسرى عدواه الى رابطة الصداقة والعاطفة وتوافق الاذواق
التي جمعتنا في مقتبل العمر. ووجه الغرابة في الامر وكما اتضح لي بعد سنوات عدة ان
(محمد توفيق) لم يكن عضواً في الحزب الشيوعي مطلقاً ولم تطاله الملاحظات والنكبات التي
مني بها هذا الحزب فيما بعد. وقد عرفته الاوساط العلمية بترجمة كتاب طريف بالاشتراك مع
الاستاذ (نبيه امين فارس) رئيس قسم التاريخ في الجامعة الامريكية. ولفت اليه الانظار
بكتابه الصغير الحجم الكبير الفائدة «نهاية الاقطاع في العراق». وتولى منصب مدير الارشاد
العام لفترة ما ايام حكم قاسم. لم يكن بين هؤلاء الذين ذكرتهم غير واحد عضو في الحزب
الشيوعي. كان قد بلغ في العام ١٩٥٨ مركز مرشح للجنة المركزية.

بدء إهتمامي بالقضية الكوردية

س: هذه بداية النهاية، متى كانت الاستقالة وكيف تم انضمامك للحزب الديمقراطي
الكوردستاني؟

قدمتها في اواخر صيف العام ١٩٤٦، وبالشكل الذي بسطته لكم في مستهل الاجابة عن
السؤال الاصل. في اثناء نشاطي الحزبي نشأت صلات ودّ بيني وبين (صالح اليوسفي)
الكاتب الاول لمحكمة شرعية الموصل وكان كثير التردد والزيارات لمكتبي ومقر الحزب. وقد
عرفت فيه اديباً كوردياً يعالج نظم الشعر. ذات مرة ادركني العجب للشكل الذي التقاه -
صديقنا وصديق الاسرة (صالح بك ميران) - وكان زائراً - كانا يتحدثان حديث صديقين قديمين.
وكنت على معرفة بصلة (صالح بك) بثورة العام ١٩٤٥ الكردية. قال لي بعد خروج
(اليوسفي) انه من جماعتنا. وروى لي عملاً بطولياً يتسم بالتضحية الحارقة اقدم عليه
اليوسفي اثناء الثورة بنقله رسالة من بغداد الى ملا مصطفى مخترقاً خطوط الجيش
ولاتساعفني الذاكرة بتفاصيل الحكاية.

في تلك الآونة وبعد استقالتي من الحزب توفر لدي خلال سنتين المزيد من الوقت للمطالعة.

وبدا اهتمامي وأنا في آخر اشهر دورة الاحتياط ضابطاً في اللواء الخامس بوظيفة مدع عام عسكري. موقوتة بعودة القطعات العسكرية من كوردستان. وبحكم معالجاتي القضايا التي نجمت عنها ومخالطتي الضباط الذي شاركوا في الحركات الفعلية.

وبدأت تدريجاً أشعر وليس بقليل تأثير من تجاربي في حزب الشعب بشدة الصلة بين المسألة الكوردية وبين مسألة الاقليات العرقية والدينية في العراق. ولاسيما وحدتها المصرية ازاء الاتجاه القومي العربي العمومي المتشدد، وكثيراً ما ادعته الحكومات العراقية بكل امزجتها المتقلبة واسلوب معالجاتها القمعي الفظ لشكواها، وهذا بالتالي جزء لا يتجزء من ازمة الديمقراطية في البلاد. وبدء عجبي يزداد ويتصاعد من معارضة الاحزاب الديمقراطية الثلاثة لاي تنظيم سياسي قومي كوردي في حين لم يكن ثم اي اعتراض لها على اجازة حزب قومي صارخ اللون كحزب الاستقلال؟.

ثم حصل ما لم يكن في الحسبان. فخلال الفترة التي نوهت بها كلفني صاحب امتياز جريدة ادبية نصف اسبوعية بالاشراف على تحريرها فقبلت متطوعاً متبرعاً ارضاء لهواية ومنطلقاً لقلمي. ولفت نظري مرة كتاب حديث صدر في بيروت يتضمن نماذج شعرية مترجمة عن مشاهير الشعراء. ووجدت فيما وجدت مقطوعتين شعريتين للشاعر الكوردي (بيره ميرد) اعجبتاني فنشرتهما بمقدمة كتبها لهما (صالح اليوسفي) فكأنني فجرت بركاناً. احدث نشر هاتين المقطوعتين ما يشبه الصعقة الكهربائية في اداء الكورد الناشئين فراحت المقالات والقصائد تنال على الجريدة من الموصل نفسها ومن دهوك والعمادية واربيل بل ومن كركوك وزاخو فصرت اختار ما استحسنته واقوم لغته العربية وانشره. كثير من المقالات والقصائد كانت تحمل طابعاً وطنياً. وزاد الطلب من الخارج على الصحيفة وكانت باسم (الروافد).

واعتبرني (اليوسفي) من اصدقاء الحزب الاعزاء اولاً وقد علمت منه بتأسيس الحزب الديمقراطي الكردي فلم اسأله منهاجاً ولا نظاماً ولم اطلب منه تعريفاً ولا اسماً لمؤسسيه. بل سألته من انتخبتم له رئيساً. قال البارزاني. قلت البارزاني الذي هو في المنفى؟ فأوما بالايجاب. قلت: يمكنك ان تعدني من الآن عضواً في الحزب الجديد مرهوناً بالموافقة على طلبي. وفي ذهني امر واحد لاغير فبصرف النظر عن شخصيات القيادة للحزب الجديد. كان اهتمامي بذلك الذي نصب "زعيماً" له غيبياً. وسلم له بالزعامة عن بعد في حين لم يكن يسمو خيال احد الى احتمال عودة له من المنفى. هذه زعامة حقيقية.

س: اصدرتم في مدينة الموصل جريدتي «الروافد» و«الحقيقة» ورئستم تحريرهما. ماذا كان طابعهما؟ وكيف تقومون تجريتم بعد مرور تلك السنوات. ماذا كان تأثير الجريدتين على الحياة السياسية في الموصل وخارجها آنذاك؟

«الروافد» لم تكن جريدتي. وإنما سلمت رئاسة تحريرها اليّ. لكن صحيفتي «الرائد» ثم «الحقيقة- راستي» اختها كانتا بامتيازي ورئاستي. وبين «الروافد» و«الرائد» كانت هناك صحيفة اخرى اسمها «الجداول» بامتياز الدكتور (م.موسى) نزيل الولايات المتحدة اليوم. كان زميلاً ثم ترك البلاد ونال درجة الدكتورية في انكلترا وهو الآن رئيس قسم التاريخ في احدى جامعات ولاية بنسلفانيا وربما تقاعد. تعاونت على اصدارها ونشرت فيها كثيراً من مقالاتي الادبية والعلمية مثلما نشرت في صحيفة «الروافد» واطن ان واحدة من هاتين كانت ضحية مرسوم نوري السعيد الذي اصدره في العام ١٩٥٤ وقضى به على اكثر من اربعمائة صحيفة ومجلة ونشرة دورية ووضع قيوداً كبيرة وكثيرة على طالبي الامتيازات الجديدة.

كان الحنين الى العمل الصحافي يحتل جانباً في فكري دوماً، رغم اتساع عملي المهني ومتابعاتي الكتابية التي كانت تميزت باصدارتي جملة من التأليف والترجمات في الادب والعلم والتاريخ والقانون. واني لاذكر جيداً ذلك اليوم الذي وردني من دار التجليد النسخة الاولى من «تراث الاسلام» وانا اصغي الى الموسيقى التي كانت تبثها موسكو معلنة وفاة ستالين واحد من شرّ طغاة التاريخ البشري، وبما كان يتخلل تلك الموسيقى من اوصاف ونعوت تضعه في عداد الملائكة الاطهار وتحشره في عداد اعظم المصلحين الاجتماعيين في كل زمان ومكان وهي من المفارقات. اني هنا اكاد اعجز عن وصف ماشاع في نفسي من غبطة عندما اصّر الصديق المناضل عبدالعزیز طيب وزير التربية في حكومة الاقليم على اصدار طبعة خامسة لهذا الكتاب بعد صدور اول طبعة له في الموصل قبل حوالي نصف قرن. ثم طبع ثانية وثالثة في لبنان وطبع رابعة في مصر. وكان مرجعاً هاماً لا يستغنى عنه حال صدوره في مدارس الحضارة الاسلامية ومقدار ما ساهمت في بناء المدينة العالمية. واذكر بالمناسبة ان الفضل في اهتمامي بنقل هذا الكتاب من طبعته الانكليزية الرابعة عشرة، يعود الى الطيب الذكر (عزیز شريف) فقد رآه مرة في مكتبتي. و اشار عليّ بصورة خاصة بترجمة فصل القانون والمجتمع فيه. فاذا بي لاكتفي بترجمة الكتاب برمته، بل عمدت كذلك الى تذييله بكثير من التعليقات والابحاث من قلبي.

واتسعت دائرة نشاطي الفكري حتى خيل لي اني شفيت من مرض مزاوله الصحافة. ظهرت لي ابحاث علمية وتاريخية -لاتتسع لها صحيفة دورية - ووجدت المجال رحباً في امهات المجالات العربية كمجلة المجمع العلمي العراقي والمجمع العلمي السوري. ونشرت في مجلة «الكتاب» المصرية وهي ارقى المجالات هناك على الاطلاق حينذاك وظهرت ابحاث لي الى جانب اسماء عمالقة الفكر والادب هناك من امثال عباس العقاد، ومحمود تيمور، وشوقي ضيف، والدكتور هيكل وتوفيق الحكيم.

س: كل ذلك فضلاً عن عضويتك في الحزب الديمقراطي الكوردستاني؟

اصدقك القول ان هذه العضوية لم تأخذ اي جزءٍ من وقتي آنذاك. كنت عضواً خاملاً ان صح القول. إلا لقاءاتي المتواصلة مع (اليوسفي) وتبادل المعلومات العامة ولاسيما عن مسيرة الحزب من دون ذكر الاسماء طبعاً. لم يكن الحزب يصدر نشرات كثيرة باللغة العربية ولم اصرّ من جانبي على معرفة اعضاء القيادة. واكتفيت باسم البارزاني كما ذكرت سابقاً. وكان

اليوسفي الطيب الذكر يدرك اوضاعي وقد تابع الاثار التي نجمت عن مسؤوليتي القيادية في حزب الشعب وابى ان يزجني في نشاط يختلف عما الفتته. كما كان يدرك مدى نفرتي من العمل السري، والعبث في محاولة استخدامي لتجنيد اعضاء. وكان يشدد على ان وجودي في الحزب هو رصيد وقوة كامنة قد تتاح له الافادة منها في مستقبل الايام. اما الآن فهو حزب سري ملاحق حكومياً. لم اجد في نفسي حتى ذلك القدر من الفضول لاسأل عن تزويدي بمنهاج له او نظام. وكنت اذ ذاك اعرف اثنين او ثلاثة وجوهاً وطنية كوردية لا بوصفهم قياديين حزبيين، واكاد اجزم

انهم عرفوني فحسب عضواً مؤسساً لحزب الشعب. وربما كان (صالح) اكماً للسرية لم يعرف احداً باستقالتني منه. لانها لم تدع كما اسلفت وقد لمست ذلك بمناسبة فريدة وكان ذلك في العام ١٩٥٤ و١٩٥٥ او بعده، اذ حكمت الظروف ان ضممني مجلس هنا في (صالح الدين) الى لقيف من قادة الحزب اذكر منهم السادة حمه آغا زياد كويسنجق وكان الوحيد الذي ربطتني به علاقة سابقة وجمال الطالباني، وعوني يوسف وعلي عبدالله. اذ ذاك عرفتهم مناضلين ووطنيين، ولم اكن اعرف مراكزهم الحزبية. الا اننا كنا آنذاك نتكلم لغة مشتركة. كان ينضم الينا بين الفينة والاخرى كل من المرحومين الاستاذ عبدالمجيد حسن مدير معارف اربيل احد زملائي في التدريس بثانوية الموصل الاهلية (١٩٤٤) وزيد احمد عثمان المحامي.



من اليسار الى اليمين ادريس البارزاني، مسعود البارزاني، صالح اليوسفي

ويخطر ببالي موقف طريف في هذه المناسبة سارجي الحديث عنه عندما احقق رغبتك في الحديث عن السيد كامل الجادرچي.

عود الى الصحافة وحلف بغداد

ولم يتح لي دور في نشاط الحزب حتى العام ١٩٥٧، عندما عاودني الحنين الى الصحافة، مع ثقتي باني سانهج في الحصول على امتياز بوجود اللواء (سامي فتاح) وزيراً للداخلية. وكنت على معرفة جيدة به بواقع كوني وكيلاً قانونياً لطائفة من اقربائه وانسبائه وكلهم تقريباً ممن «لا يمكن ان يرفض لهم رجاء». ومن لا يمكن ان يرفضوا لي رجاءً» كالحصول على امتياز جريدة والتوسط لي بها.

واخترت اسم «الرائد» للصحيفة وانهيت تخطي جميع الموانع والعقبات التي وضعها مرسوم المطبوعات في سبيل صاحب الطلب إلا واحدة وهي اهمها وعليها يتوقف كل شيء. كان الوزير يستطيع ان يتجاوز امرها ويصدر قراره بمنح الامتياز نفسه في موقع مسؤولية كبيرة. وتلك هي وثيقة تشهد بسلامتي من عدوى الافكار اليسارية الهدامة وتعرف رسمياً بشهادة حسن السلوك. ويجب ان تصدر من مديرية الامن العامة. وان تحمل توقيع مدير الامن العام (بهجت العطية) والوزير لا يستطيع ان يرغم رؤوسه هذا على اصدارها.

سبقتني الى (العطية) مكالمة تلفونية من الوزير. وقصدته صحبة شخصية خطيرة. هو نسيب للوزير نفسه. كان للرجل مقامه الكبير وصلته وثيقة بالبلاط الملكي (والعطية) يعرف ذلك وقد تلقاه على الدرج. رجل ذو نفوذ واحترام متأت من سمعة عالية وعزوف عن المناصب الكبيرة. ويعلمي الخاص ان نوري السعيد عرض عليه المشاركة في الوزارة مرتين فأبى اذ كان يولى كل اهتمامه بزراعته الواسعة. وكنت وكيله العام القانوني.

هيأت نفسي للجواب حول انتمائي الى حزب الشعب. وكانت السلطة حين اصدرت قرارها بالغائه قد وضعته في قائمة الاحزاب الماركسية سيما بعد انضمام بقية اعضائه الى تنظيم شيوعي. لم يكد يستقر بنا المقام حتى دخل مدير امن بغداد واسمه ان لم تخني الذاكرة (رفيق). ووضع ملفاً امام (العطية). مشيراً فيه الى وثيقة معينة.

كنت مخطئاً في حسابي لم يسألني (العطية) عما جال في ذهني بل اشار الى توقيع لي على مذكرة لانصار السلم. كنت قد نسيت امرها تماماً.

ساورد هنا باختصار مادونته عن المقابلة في الجزء الثاني من كتابي «العراق في عهد قاسم» ويقدر ما وعته الذاكرة.

قلت: القانون لم يكن يعتبرها جريمة وقت توقيعي. ولست بعلام الغيوب ولا بمن خص بنبوذة ليوحي اليه ان قانوناً سيصدر بها. والمبدأ الذي جرى عليه قانوننا انه لامؤاخذة على عمل لم يكن القانون يعتبره جرماً. ثم اذفت انكم اصدرتم خمسة كتب حوت اسماء الشيعويين والمنظمات التابعة له كمنظمة انصار السلم.

قال: «هذا صحيح. ولكن توقيعك ها هنا. لكن اكراماً لمقدم (فلان) سأوضح موقفني وهو ما يعد سراً. نحن مقيدون باتفاقات وبروتوكولات سرية ملحقمة بالمعاهدة المركزية (حلف بغداد) بخصوص مكافحة الآراء الهدامة وبموجب اتفاقاتنا التركية التي سبقت المعاهدة تم وضع الخطط والتدابير للتعاون المشترك من خلال اجتماعاتنا. ومن جملة هذه التدابير التي اتخذت للمكافحة استحصال قرار نبذ لها من كل من حكم عليه او اشتبهه بصلة او كان على صلة بمنظمتها. وانا لست بقاض اطبق قانوناً خلال محاكمة. فهذه تعليمات ومقررات ادارية واتفاقات دولية».

قول (العطية) لم يعد الحقيقة. فمنذ التوقيع على ميثاق التحالف مع تركيا في العام ١٩٥٤. وهو الميثاق الذي قامت ضده قيامة احزاب المعارضة، اذ كان النواة لحلف المعاهدة المركزية -اخذت تظهر في مختلف صحف العاصمة اعلانات بتوقيع شيعويين سابقين او من تفترض السلطة انهم كذلك- يعلنون فيها تبرؤهم او نبذهم للعقيدة وكانت تلك الاعلانات بصيغة واحدة لا تتغير، وهي لاشك من وضع دائرة الامن وكان الامر من الخطورة بمكان لان من تستهدفه السلطة بالطلب فيأبى، عرض نفسه لاسقاط الجنسية العراقية عنه وترحيله الى بلاد عضوة في ذلك الحلف لتبقيته عندها سجيناً حتى وفاته. حتى ذلك الحين كنت اعتبر البراءة مجرد اجراءات داخلية لا جزء من مقررات سرية لهذا الحلف. وان ترحيل الاستاذين قزائجي ومينير في العام ١٩٥٤ انما كان باتفاق خاص مع السلطات التركية لاغير.

كان الموقف واضحاً بما فيه الكفاية. وتساءلت في سري ايسوى طلب امتياز جريدة ان يكذب الانسان على نفسه فيعترف ضمناً بشيء لم يؤمن به عن طريق نفيه؟

وكنت اتمنى ان يعلن صاحبي وقد بدا عليه الإشمئزاز واضحاً ان يعلن انتهاء الزيارة وقد لحظ في عزمي. وكان (العطية) بدرجة من الذكاء بحيث حزر مايجول في ذهنينا. واظنه كره ان يخيب رجاء شخصية بارزة. او انه قد يتحدى رجاء لرئيسه الوزير، فابتدرونا قائلاً. «لاول مرة ولاأعتقد اني ساكرها ساتخطى هذه التعليمات والاتفاقات واكتفي بشهادة الوزير. سألغي صيغة البراءة المطلوبة. ولكن عليك ان تكتب لنا تعليماً قانونياً كهذا الذي تحدثت به، بهدوء ودون تجريح ولمجرد حفظه في ملفك فقط. لن اطلب منك براءة».

وصدر امتياز جريدة «الرائد» باسمي، صحيفة غير سياسية.

وحوكم بهجت العطية كما تعلم بعد تموز امام محكمة استثنائية الفَت بقانون ذي اثر رجعي. يخالف المبادئ القانونية الحديثة. وحكم عليه بالموت. وتابعت وقائع محاكمته والشهادات التي جمعت ضده. فلم اسمع من خلالها من زعم بان هذا الرجل شوهد او سُمع يأمر او يُقدم بنفسه على تعذيب انسان ونفذ به الحكم. لكن الارهاب الذي مارسه دائرته والخوف الذي اشاعته بقي عالقاً في الجو بعد ان تسلمها الضباط الاحرار بل زادوا تفننا باقتباس ما ابتكره واجازه نظام جمال عبدالناصر من طرق التنكيل بالخصوم السياسيين. اني لاتخيله وحبل المشنقة ملتف حول عنقه بشفتين منفرجتين عن ابتسامة شامتة ساخرة، تتحير فوقها عبارة ان لم يقلها هو فقد قلتها انا مراراً «صبراً قليلاً. وسيأتىكم من يجعلكم تذكرون (بهجت العطية) ودائرته بحنين واسف».

س: أيعني هذا انك ترى في ماجوزي به هذا الرجل الذي اشتهر بالقسوة والصرامة في ملاحقة العقائدين والمواطنين المخلصين غبناً وتجاوزاً على القيم الانسانية؟

يؤسفني ان اجرّ الحديث عن جريدة الرائد الى هذا المأزق. ومادمت قد بلغت به هذه المرحلة فلا اظن قارئ سيغفر لي الوقوف به عند هذا الحد. اريد اولاً ان اخبرك بأني من دعاة الغاء عقوبة الموت في سائر القوانين ومهما كانت الجريمة، وانا عضو في الجمعية التي تأسست في انكلترا منذ العام ١٩٥٥ للدعوة الي إلغائها. ومساهمتي فيها كانت بكتابة مقالات صدرت لي في مجلة القانون التي كانت تصدرها نقابة المحامين في بغداد وبترجمة نشرتها لكتاب الاديب الفرنسي الشهير (فكتور هوغو) واسمه «آخر يوم لمحكوم بالموت» بالمناسبة. وقد طبع في تلك السنة.

هذا من جهة الا اني في اجابتي هنا لن انطلق من هذه الزاوية بل ربما طراً على رأيي هذا تغيير جذري بعد حوادث الارهاب العقائدية التي تقوم بها فئات لاتصلها بالبشر السوي صلة متسترة تحت الغيرة على الدين. اني انطلق هنا من وجهة نظر المؤرخ المتأمل في الوقائع والمضاهي بالنظائر والمشابهات، واليك بعضها:

في العام ١٩٥٦ والتاريخ محفور في ذاكرتي وهو الرابع والعشرين من تشرين الثاني الغت حكومة من حكومات العهد الملكي سجن (نقرة السلمان) الرهيب الصحراوي واخلته تماماً من السجناء السياسيين وغيرهم. وبعد اربع سنوات فقط قامت حكومة ثورة الرابع عشر من تموز بفتحه مجدداً وراحت ترسل اليه بالعشرات ثم بالمئات ممن هتف وصفق للنظام الجديد وكلهم تقريباً من زبائن بهجت العطية القدماء ومن كان يقع ضمن دائرة اختصاصه.

ثم هل سمعت ان احداً من الشيوعيين في عهده قتل تحت التعذيب ثم اذيت جثته في

حامض النتريك؟ كان هذا مصير الاستاذ «فرج الله الحلو» زعيم الحزب الشيوعي السوري من نظام «عبدالناصر» الثوري في ١٩٥٩ أو ١٩٦٠. ألا فلتعلم إنني لست في مقام ادانة او تبرئة هنا. ولست ادافع عن حلف السنسو، وصانعوه وهو حلف كريبه لكن الأثم هو الحرب الباردة. والتأريخ يدين بها معسكري الشرق والغرب على السواء فهي التي سلقت بناها ظهور مناصري الجهتين. وكل عمل او اجراء مفروض بالقوة مهما ضؤل شأنه يهدف الى احتواء حرية المعتقد والتعبير هو الأثم الأكبر في نظري.

ليس بوسعي أن أجد الآن العبارات القمينة بوصف حالي ساعة قرأت القرار بأسقاط الجنسية العراقية عن ثلاثة اعزاء من الحلان ورفاق نضالٍ مذيلاً بتوقيع صديق آخر طالما أكبرت فيه المرؤة والنزاهة وسمو الخلق.

ولأعد الآن لوصل ما انقطع حول «الرائد». صَدَرَ الامتياز في العام ١٩٥٧ ربما بعد قيام جبهة الاتحاد الوطني بقليل. علمت مبدئياً ان الحزب الديمقراطي الكوردستاني لم يكن بعيداً عن هذا التنظيم وهو ليس حزباً، وأذكر بهذا أن أحدهم دسّ بيدي بياناً يحمل توقيع الاحزاب السرية والمعتلة الأربعة. الحزب الوطني الديمقراطي والاستقلال والبعث العربي الاشتراكي والشيوعي العراقي ولم أجد بينها اسم [الديمقراطي الكوردستاني] فاستولى عليّ العجب وكنت اذ ذاك فقد إفتقدت الصلة بنقل (اليوسفي) الى محكمة زاخو. لأدري كيف علمت وأنا أعد العدة لأصدار الجريدة- بأنّ (الپارتي) لم يقبل في هذه الجبهة شريكاً تامّ العضوية. وان قيادة الحزب ارتضت لنفسها بالدرجة الثانية في هذه التشكيلة المعارضة، فحز ذلك في نفسي. ثم علمت بأنه دخل الجبهة بوصفه تابعاً للحزب الشيوعي وعبر لي احد الشيوعيين القياديين عن الكيفية بهذه العبارة او بما هو قريب منها. قال: ان الحزب الديمقراطي الكوردستاني ينسق مع الجبهة من خلال حلف بينه وبين الحزب الشيوعي العراقي! وسألت عن السبب، فقال ان حزب الاستقلال والبعث العربي الاشتراكي رفضا مشاركة الپارتي لأنه حزب قومي بالدرجة الاولى، قلت لكن هذين الحزبين قوميان ايضاً!

تعذر عليّ فهم الموقف وطلبت تزويدي بمنهاج (الپارتي). وعند قراءته وانعامي النظر فيه، ادركت كيف سهل على قياديه الارتضاء بهذه المنزلة رغم الجماهيرية والشعبية التي نالها الپارتي خلال عمره القصير بالمقارنة مع الاحزاب الاخرى وبعضها لايزيد عن هياكل قيادات غابرة. أو كأشباح مّوارة في غسق ليل مُدلهم. كنا نعرف ذلك جيداً. لكن ما العمل؟ ومعظم قيادي الپارتي آنذاك كان ممن يُدلّ ويفخر بماركسيته.

وقررت لنفسي بمقابل هذه المهانة موقفاً ثأرياً بالجريدة نفسها وكنت قد اعتزمت أن اجعلها في خدمة جبهة الاتحاد الوطني بقدر ما يمكن ان تنجزه صحيفة غير سياسية في مضمار

التوعوية والتثقيف. واعلمت ممثلي الاحزاب المشاركة في مدينتي، بنيتي هذه وقد عرفوا بانتمائي الحزبي منذ زمن. كان هناك صديقنا السيد عبدالغني الملاح معتمد الحزب الوطني الديمقراطي. والسيد غربي الحاج احمد المحامي معتمد حزب الاستقلال الذي استدعي يوم الرابع عشر من تموز ليتولى منصب المدير العام للدعاية والتوجيه ثم اصبح وزيراً في احدى حكومات عبدالرحمن محمد عارف. وهناك الاستاذ شاذل طاقة أحد مثقفي حزب البعث البارزين في الموصل. سمت به المراتب في الفترة الثانية من حكم البعث ليغدو وزيراً للخارجية ثم سفيراً للاتحاد السوفياتي وقد اعتبط مأسوفاً عليه وهو في اول الكهولة. عرفته انساناً طيب المعشر وادعياً لين العريكة اديباً وشاعراً رقيق الحاشية محكم النظم. كان يرحى له مستقبل ونبوغ في عالم الشعر لولا السياسة. كان مدرساً للغة العربية في احدى ثانويات الموصل ك(يوسف الصائغ) أحد المثقفين من حملة بطاقة الحزب الشيوعي. وقد شدت بين الإثنين عرى صداقة متينة فكادا لايفترقان. يجيئان اليّ يومياً تقريباً سوياً ويغادران سوياً. صار مفهوماً للجميع ان «الرائد» وهيئة تحريرها بهذا القوام هي ليست جبهة الاتحاد الوطني بتشكيلها الذي وصفته قبل قليل وان الكلمة النهائية في سياستها هي لي وكلمتي فيما ينشر ويهمل لا تقبل نقاشاً.

كان الجميع مسروراً بطبيعة الحال. فالجبهة لم تكن تملك شمال البلاد صحيفة مسخرة لها. والى جانب جريدة الحزب الوطني الديمقراطي في بغداد لا اذكر لها صحيفة اخرى تعبّر عن وجهات نظرها وتنطق بلسانها. لم اقلق بالي بالناحية المالية فيها. فقد سلّمت كل ما يتعلق بطبيعتها وتوزيعها للأخوة الثلاثة اصحاب امتياز جريدة (الروافد)، متنازلاً لهم عن كل وارداتها من بيوعها وبدل المشاركة والاعلان وغيرها وكما قلت في البداية كان الكسب المادي آخر ما فكرت فيه بل لم افكر فيه مطلقاً.

س: سأقاطعك هنا لو سمحت، رأيتك من خلال اجاباتك انك تستخدم لفظة (ماركسي) تارة و(شيوعي) تارة اخرى، اليس هما مترادفين لمسمى واحد؟

كلا. الماركسي بمنطلق عام هو المؤمن بأن النظرية الجدلية او المادية الجدلية قد تؤدي تطبيقها او الافادة منها الى حل مشاكل المجتمع البشري او معظمها، كالقضاء على التمايز الطبقي في خاتمة المطاف وهذا ببسط ما يمكن قوله. مجرد عقيدة نابعة عن فلسفة خاصة. ولا يمكن ان يطلق صفة الشيوعي الا على عضو في حزب او تنظيم يؤمن بهذه الفلسفة وسيلةً وغايةً ويعمل على تطبيقها عملياً. (فماركس) صاحب هذه النظرية هو واحد من جمهرة الفلاسفة الذين نقرأ عنهم وعن فلسفاتهم في الكتب والموسوعات العلمية. مثل ديوجينيس وارسطو وافلاطون والفارابي وديكارت وهيكل وعشرات آخرين. كل منهم زوّد البشرية

بنظريات وآراء تهدف بمحصّلها السّعي الى ايجاد الوسائل الناجعة للقضاء على البؤس البشري والوصول بالإنسان الى الحياة المثالية السعيدة وكلهم كان يحده شعور عميق بوجود خلل في بنية المجتمع ومساوئ في علاقات البشر. وهم في كل هذا لا يدعون النبوة او الصلة بالوحي.

كان (ماركس) واحداً منهم الا ان فلسفته تفردت عن سائرهم بأن وجدت سبيلها الى التجربة والتطبيق العمليين وهو ما عزّ على سائر الفلسفات التي سبقتها.

وظهر لنا بالواقع انه ما كلّ من حمل بطاقة الحزب الشيوعي وشارك في ادوار التطبيق كان يفترض فيه ان يحيط علماً بجوانب تلك الفلسفة. وان ذلك ليس بشرط لقبوله في الأخوية الشيوعية وقد وجدت كثيراً من الشيوعيين البارزين وبينهم من وصل درجة القيادة يعجز عن ان يقوم بدور المعلم المتفقه فيها، في معظم الاحيان كان الايمان، مجرد الايمان بها كوسيلة لصالح المجتمع كافياً لتزكية العضو.

والذي دفعني الى دراسة النظرية بعمق وجدية كان على ما اذكر مناسبة صغيرة فيها بعض طرافة. ففي العام ١٩٤٣ كان (داود الصائغ) المحامي وهو كما ذكرت واحداً من محرري مجلة «المجلة». يترجم لها بحثاً مطولاً نشر تباعاً بحلقات عنوانه «فائض القيمة» وهذا الموضوع هو واحد من الركائز الثلاث التي يستقر فوقه القدر في المطبخ الماركسي. سمعته مرة يشكو صعوبة فهم ما يترجمه! وما يعانیه جرأً ذلك في الترجمة بصراحة راهب الدير المعترف. ثم قال انه صار يفهم بالتدرج ما يترجمه بعد الحلقة الثالثة، وكان عجبني شديداً.

فهذا المُقرُّ بالعجز الماركسي كان عضواً في واحدة من لجان الحزب الشيوعي المركزية الأولى. كما انّ عبدالكريم قاسم كان قد خصه باجازة تأسيس الحزب الشيوعي العراقي عندما زين لعقل الدكتاتور بأن الحزب الشيوعي العراقي بحاجة الى صفقة على القفا.

والماركسية هي الفلسفة الوحيدة التي كان يقتضي لتطبيقها استخدام (القوة) او يفترض أن تأتي بصورة عنيفة. وهكذا كان. لكن ما أن نجح تلامذتها في فرضها على المجتمع نظاماً للحكم حتى تبينوا انهم لا يستطيعون الاستغناء عن القوة في ما دعوه بالنضال والعمل على تحقيق الوطن الحر والسعادة لأبنائه. لم تكن قوة اعتيادية بل قوة باطشة مجردة عن الاحاسيس الانسانية فيما ادعوه بعملية القضاء على استغلال الانسان لأخيه الانسان. وانتهوا بعملهم هذا الى تدمير ركيزة رئيسة من الركائز التي تقوم عليها الماركسية تأكيدها «بأن الانسان أثنى رأسمال» وقد رأينا كيف بدأ هذا الانسان لبناء النظام الماركسي والاشتراكي ارخص سلعة، بل ارخص بكثير من اسعار اولئك الذين سخرهم فراعنة مصر قبل اربعة آلاف عام لبناء قبورهم الهرمية. وشهدت بذلك معسكرات العمل والسخرة في «كوليمبا»، وفي

«ارخبيل الغولاك» بسببيرييا.

مع ذلك، وبكل ما قرأت عن الكوارث التي صيها تلاميذ الماركسية القياديون على رؤوس من قصدوا اسعادهم بقيت -والشيء بالشيء يذكر- حتى الساعة يلازميني اعجاب واكبار للشيعوي العراقي، اعجاب بذلك الاستعداد اللامتناهي للتضحية والبذل والاستماتة، هؤلاء الذين ما كانوا يعرفون عن الماركسية. كثيراً ما رأيناهم يرتقون درجات المشنقة بثبات وبأبتسامة شامتة بجلاديههم. وسمعت بعضهم يهتفون بحياة حزبيهم وبحتمية انتصاره على قوى الظلام والطغيان بصوت ثابت وحبل المشنقة يستل آخر انفاسهم. فأعود أسأل نفسي: بهذه الروح الوثابة غير الهياية وبهذا الاستعداد للتضحية اما كان وجه العراق سيبدو غير الوجه الذي نراه اليوم لو كانت سبيل هؤلاء الوطنيين سبيل الديمقراطية الصحيحة التي يسلكها اليوم كل احزاب اليسار وبينها الاحزاب الشيوعية نفسها؟.

ولهذا وجدتني -وقد علمت وقتذاك بتغلب النزعة الماركسية على اعضاء قيادة الپارتى- لا أخشى منها على المسيرة الديمقراطية والتحرر القومي الذي رسمها المنهاج وبشكل واضح لايقبل تأويلاً. وكان لتفسير السكرتير العام له، وجهة في حشر مادة فيه تشير الى استهداء الحزب بالنظرية الماركسية (العلمية في المنهاج)، بأنها انما وضعت لتحويل الشباب القومي الكوردي عن الانضواء الى الحزب الشيوعي. ففي ذلك الزمان بدت الماركسية لدى المثقفين المهتمين بشؤون البلاد وكأنها (مودة) العصر والدليل على الثقافة القمينة بالأدعاء والفخر. وعلى هذا الأساس بنيت تعاوني مع اجنحة جبهة الاتحاد الوطني في صحيفة الرائد.

س: لكن الجريدة كانت غير سياسية كما قلت، فكيف نقلتم فيها رسالة الجبهة؟

ورثت (الرائد) المؤازرين والكتاب الذين جمعهم اليها نهج صحيفتي (الروافد والجدول). ثم ان هؤلاء الاربعة الذين كانوا يمثلون احزابهم في «الرائد» كانوا يدركون تمام ادراك اهمية المحافظة عليها من غوائل السلطة ورقابيتها المحكمة. مقدرين مبلغ ما يلتزم من الحذر في (تهريب) ما يمكن تهريبه من آراء سياسية مقنعة او مكتسبة برداء أدبي وكثيراً ما تسلل بهذه الطريقة مقالات وتعليقات سياسية خطيرة من «الملاح» و«غربي» أو قصائد أو تعليقات سياسية من «شاذل طاقة» وزميله «يوسف الصائغ» فيتحدث بها القراء وتتداولها المجالس الوطنية الخاصة. ثم كانت هناك لعبة اتقناها وبلغنا بها الغاية من النجاح: كنا ننتقد اجراءات للحكومة من غير اثاره غضبها باستغلال ذكي للتناقض القائم ابدأ بين افراد الطبقة الحاكمة نتناول بالنقد والتذكير موقفاً معيناً لوزارة سابقة اعضاؤها أو رئيسها ليسوا على صلة طيبة بالحكومة الحالية لنخرج عرضاً الى موقف تعسفي للحكومة الحالية مخففاً وعلى طريق المقارنة

والمضاهاة بحيث لا تستطيع السلطة ان تحمله محمل الهجوم المباشر.

ومن الناحية الكوردية كنا نكتب في التاريخ عموماً لتجد القضية القومية سبيلاً خلاله. وكذلك فسمح المجال لترجمة قصائد وطنية كوردية عن الجزيري، وخاني، وگوران، وپيره ميرد وغيرهم. وكلها أمور لاعهد للمجتمع الموصلية بها في صحافته. كانت صحيفة لا عهد للموصل بمثلها.

ويثبت تاريخ الصحافة العراقية «للرائد» انها كانت الجريدة العراقية الوحيدة التي صدرت يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، من دون سائر صحف القطر، في حين كان التردد والترث لإنجلاء الموقف قد الجأ كل الصحف اليومية وغيرها في بغداد والمدن الاخرى الى الاحتجاب يوماً واحداً على الاقل. وظهرت في هذا العدد وبعده بوجهها الجديد.. لم تعد أدبية. بل جريدة سياسية.

س: كان هناك جريدة الحقيقة، فيما بعد وهي خلف للرائد. ماذا تم من امتياز الرائد؟

حكاية الغاء امتياز جريدة الرائد هي حكاية الفوضى الفكرية والتناحر الحزبي الذي ساد حكم عبدالكريم قاسم. كان (غربي الحاج أحمد) بناءً على اقتراح محمد صديق شنشل -أحد قادة حزب الاستقلال- قد اسند اليه منصب مدير الدعاية العام. في ذات اليوم أي الرابع عشر من تموز ترك الموصل صحبة كل من (محمد حديد وصديق شنشل وناظم الطبقجلي) الذي عين قائداً للفرقة الثانية في كركوك نقلاً من أمرية اللواء الخامس في الموصل، ونزل القائد الجديد في كركوك حين استأنف الثلاثة سفرهم الى بغداد. بالمناسبة انبأني (عبدالغني الملاح) انه وسائر ممثلي الجبهة بذلوا جهداً كبيراً لأقناع الطبقجلي بالالتحاق بمنصبه وأنه بدأ حائراً متردداً بعد علمه بهوية القائمين الرئيسيين الاثنتين بالحركة وقد عزاها (عبدالغني) الى تشكك الطبقجلي بنجاح الانقلاب.

أما أنا وللخبرة التي اكتسبتها في خدمتي بالجيش فقد قررت وبمعرفة لخلق الطبقجلي ووزنه في المؤسسة العسكرية العراقية. انه لم يكن يتوقع ان يقوم هذان بتغيير النظام والأستئثار بالحكم. وثانيهما عبدالسلام كان واحداً من الضباط الذين عملوا تحت امرته رداً من الزمن.

بعد مرور اسابيع قلائل وانا اتهيأ للسفر الى اوروپا. حمل اليّ البريد رسالة رسمية مذيلة بتوقيع (غربي الحاج أحمد) بوصفه مديراً عاماً للدعاية والتوجيه. تتضمن انذاراً غير مشروط -بوصفي صاحب امتياز الرائد- ووفق قانون المطبوعات السبيء الصيت الذي كان هدفاً لواحد من مقالاته في الجريدة. مؤداه ان الجريدة وهي ادبية بالأصل قد تجاوزت الغرض الذي وجدت له. وطلب الانذار ارسال نسختين من آخر عددين للجريدة.

ادركت فوراً أن عمر «الرائد» أشرف على الختام وأيامها معدودة والقرار بالغاء الامتياز سيصدر بعد ارسال النسخ المطلوبة، ولم يكن السبب بخاف، فالصراخ والزعيق بوجوب انجاز الوحدة الفورية الذي رددته الحناجر في بغداد لم يكن يعني «الرائد» في شيء. وان المعسكر الذي خندقت فيه ليس وحدوياً ولا عروبياً. وقد آل شمس الجبهة الى الغروب ان لم تكن قد أفلت فعلاً.

وحزمت امري على ابقاء المديرية بانتظار اعداد الجريدة، كسبياً للوقت، وتأخيراً لساعة الاحتضار ثم رحلت الى بغداد قبل موعد اقلاع الطائرة بأسبوع. وفي بغداد كان بانتظاري مفاجأة غير متوقعة قط. كنت اعتقد ان (عبدالسلام عارف) هو الذي اوعز باتخاذ الاجراءات ضد الجريدة. لكنني علمت أنه بعيسد على الاقل عند توجيهه الانذار وان «غربي» الآن من المغضوب عليهم. فقد اخذ عليه (عبدالسلام) تصرفاً معيناً في مديرية الأذاعة والتلفزيون بناءً على اخبار او وشاية، فشارت ثأثرته بل غيرته على الدين الحنيف واقدم في ثورة غضب على واحد من تصرفاته الشاذة التلقائية التي لا تجد لها تفسيراً: أقصى «غربي» عن الأذاعة والتلفزيون واستدعى المقدم الركن (سليم الفخري) الذي كان قد اعيد الى الجيش ليخلفه فيها وكانت الأشاعة ان (قاسماً) هو الذي انتدب (سليماً) للأذاعة. فقصدته اولاً فيها ووجدته بشياب مدنية، مؤكداً تعيينه. ثم عرجت على (غربي الحاج احمد) وكانت دائرته في (السراي) تبدو عليها الوحشة فلا زحام ولا زوار.

سألته رأساً وبدون مقدمات كيف طاعته يده على وضع توقيعه بالقضاء على صحيفة كانت له فيها حصة؟ وارتد انقاذ الموقف فاردفت «أهو عبدالسلام الذي أمر بذلك». أجاب: «كلا». وعقب قائلاً بلهجة رسمية: انه اجراء اصولي. الجريدة خرجت عن الغرض الذي وجدت له.

واشفقت عليه من الموقف وختمت الزيارة. ثم اسرعت رأساً الى الفندق واتصلت بعبدالغني الملاح لأنبهه بنهاية «الرائد» الوشيكة وسألته عن مواد العدد الأخير فقال: «ربما وافقت على انزال فقرات من تصريحات (المجادرجي). فقلت لا بل كلها نصاً وحرفاً ولو استغرقت الجريدة بكاملها، فستكون مسك الختام».

وكان المجادرجي قد ادلى بحديث جريء صريح تعرض فيه الى الحكم العسكري وابدى المحاذير من انحدار الثورة الى برزخ تفتقد فيه الديمقراطية والحياة البرلمانية. وامور اخرى لا اذكرها بالضبط. وهكذا كان. وخرج آخر عدد منها بتصريحات الجادرجي الكاملة وانا في الخارج.

كانت الرائد اول جريدة ترحب بالرابع عشر من تموز. واول جريدة يغتالها حكم الرابع عشر من تموز.

جريدة الحقيقة = راستي (في أعقاب حركة الشواف)

س: متى أصدرتم صحيفة (الحقيقة- راستي)؟ ابعتها مباشرة؟ وكيف كان ذلك؟

كان ذلك بعد القضاء على محاولة العقيد الشواف الانقلابية مباشرة. لا أريد الدخول في تفاصيل تلك المحاولة البائسة التي كلفت الشعب العراقي الغالي من الدموع والدماء. وخلفت ندوباً غائرة بل جراحاً ناغرة ما زالت تنزف دماً وقيحاً بفضل جمال عبدالناصر وببركاته.

راودتني فكرة استحصال الاذن الرسمي بمعاودة اصدار «الرائد». وكان (غربي الحاج احمد) قد أخرج أو أقيلاً بخروج محمد صديق ششل من الوزارة. وعين في محله (ذوالنون ايوب) وهو الذي جاء ذكره في الحلقات الاولى. حاولت الاتصال به من منزلي وكان ذلك متعذراً وفشلت عدة محاولات ثم اقتضى امر لا يمكن دفعه الذهاب الى مقر اللواء في الغزلاني وبصحبتي الصديق الشهيد ملا انور المائي الذي كان قد انحدر من العمادية في وقت سابق على المحاولة الانقلابية وحل ضيفاً عليّ. في العقيد الجديد الذي ارسله (قاسم) آمراً للواء الخامس بديلاً للشواف تبينت ذلك الطالب الكبير السن الذي درس فترة في متوسطة الناصرية في الصف المنتهي منها مع (ناجي طالب) وذكره بي اخوه الذي كان معه آنذاك وهو زميل وصديق وكنا معاً في الصف الاول. التفت بعد الترحيب الي (ملا انور) وكان بلباسه الكوردي فقدمته له. فقال له أنت الذي قدت المظاهرة بمحاولة اقتحام الشكنة الحجرية لانقاذ المعتقلين؟

وكان كما بدا على علم بالمحاولة. فاوماً (انور) بالايجاب فأسرع العقيد حسن عبود الى درج في مكتبه وأخرج مسدساً أو توماتياً من نوع براوننگ وقدمه لصاحبي قائلاً هذه هدية الزعيم (يقصد قاسماً). بعدها بسطت له ما جئت لاجله وفيما نحن في الحديث رن جرس الهاتف وكان المتكلم قائمقام (زاخو) يستجير ويستنجد قائلاً أن مظاهرة مسلحة تحدد بدار الحكومة وهي تنادي بسقوط الخونة».

كنت اعلم ان (صالح اليوسفي) هو مسؤول الحزب في المدينة والمنطقة وان مكاتب المحكمة في عين البناية. فخطرت لي خاطرة وقلت للعقيد حسن وهو يفكر فيما يتخذ «سل القائمقام هناك عن موظف في المحكمة اسمه (صالح اليوسفي) وليدعه يخرج على المتظاهرين ويحدثهم باسمك وانا اضمن النتيجة».

بدا العقيد برهة كالمتشكك الا انه نقل الاقتراح. وبقينا ننتظر النتيجة زهاء نصف ساعة. ثم جاء صوت القائمقام واليوسفي يعلنان بعودة الهدوء الى المدينة وتفرق المتظاهرين. ويظهر ان القائمقام كان قد سبق فاتصل بوزارة الدفاع. اذما ان استقرت آلة التلفزيون في محلها حتى

رن الجرس ثانية. وكان المتكلم (طه الشيخ احمد) بعينه يسأل عما اتخذ من تدابير لزاخو. قلت للعقيد دعني اكلم (طه) بعد فراغك وانبئه بوجودي فنحن معارف. وفعل رحمه الله. وكانت دهشة العقيد طه واضحة بوجودي في تلك اللحظة. قلت له اريد امتياز جريدة. قال ما الاسم الذي اخترت لها قلت (الحقيقة) قال سيأتيك الامتياز بالبريد وابعث بالطلب الرسمي فيما بعد ان شئت فباشر بإصدارها اليوم على بركة الله».



العقيد عبدالوهاب الشواف

وبهت العقيد حسن. لكنه استبشر اذا ان الموصل بقيت دون صحيفة طوال اسبوع. وقد اختفت الصحيفتان المحليتان المتعاطفتان مع حركة الشواف.

هكذا ولدت جريدة «الحقيقة» من دون تقديم طلب كتابي ودون حاجة الى وثائق. ولدت بدون اشهر حمل ولامخاض وربما تفردت بهذا في تاريخ الصحافة والصحف العراقية. وفي هذه المرة كانت واحدة من جرائد الحزب الديمقراطي الكوردستاني في كل شيء، خلا الاشارة الصريحة.

في حينه لم اكن مدركاً ماسيعةترضنا من صعوبات في تنضيد القسم الكوردي. لادري كيف

تغلبننا على هذا. فجميع مطابع الموصل كانت عربية الاحرف، ولاستطيع ان اتذكر تفاصيل ذلك. كان يشرف على القسم الكوردي كل من السيدين انور المائي وملاحمدي، ولم تقطع الجريدة شوطاً الا وكان عدد المساهمين في تحريرها قد تضاعف عشر مرات. ومن ناحية التوزيع بدت «الحقيقة» خلفاً للثلاث السابقات. رحنا نرسلها بديلاً لجريدة الرائد، فلاتفرض وكانت هناك قائمة طويلة باسماء اصدقاء الحزب واصدقائي ترسل لهم على سبيل الهدية. وكان بعض المشاركين الاغنياء المتحمسين وهو يدرك مصاعب الصحف المالية يأبى الا ان يرسل بدل المشاركة مضاعفاً وهو امر لادخل لي فيه فقد اودعته جماعة المطبعة كما فعلت في مناسبة «الرائد».

س: كيف كان رواج «الحقيقة» بهذا الشكل الجديد؟

تقصد بصدورها بلغتين؟ بقدر ما تساعفني الذاكرة بلغنا حدود السبعمئة والخمسين وربما

نطحنا الالف، وربما بدأنا بالخمسمائة وهو عدد كبير نسبة الى جريدة محلية لاتصدر في العاصمة.

الامر الملفت للنظر -وربما كان ذلك لأول مرة في تاريخ الصحف الموصلية -ان اخذ اصحاب المكتبات والوراقون في الاقضية الكوردية يطلبون نسخاً يعرضونها في دكاكينهم للبيع وهو ما لم يتح لاية صحيفة موصلية.

ليس من حقي ان اضيف شيئاً آخر الى ماقلته عن «الحقيقة» وقد كفاني الامر الدكتور (عبدالفتاح علي بوتاني) من جامعة دهوك، بكتابة تأليف كامل عنها وهو بعنوان «الحقيقة: اول جريدة كوردية تصدر في الموصل» وطبعه في دهوك قبل اكثر من سنتين. اقول وكلي امتنان للمؤلف واعتراف بالمجهود الذي بذله لاستئلال الاعداد الثلاثة والعشرين من مجاهل النسيان واعادة الحياة اليها، مجهود لم تحض به اي جريدة من قبل في مدى علمي.

س: كيف كانت النهاية؟

ادركتني موجة الارهاب العظيم الذي اجتاحت الموصل. وهو المعروف بفترة الاغتيالات. وقد افردت له فصلاً خاصاً في الجزء الثاني من كتابي (العراق في عهد قاسم) فضلاً عن ملاحقة السلطات القاسمية. فاضطرت الى ترك المدينة والانتقال مع الاسرة الى بغداد، ولم يكن بالامكان قانوناً ولا عملاً نقل الجريدة واصدارها في العاصمة. وبهذا كانت نهايتها. واصدقك القول اني دفعت الثمن الغالي لقاء اعتدائي على بكارة الموصل العربية بوقاحتي واجتراحي الجريمة الكبرى في اصدار جريدة كوردية فيها.

س: قد يكون من المفيد ان تذكر شيئاً عن الظروف التي حملت الاستاذ صالح اليوسفي على تفضيل البقاء في العراق. والنهاية المؤسفة التي آل اليها بحكم صلتك الوثيقة به.

هناك امور يصعب تفسيرها وتعليلها في احوال كهذه -حين تدعو ازمة فكرية حادة- الى اتخاذ قرار مصيري. فهذا الانسان وطني مناضلٌ عنيد اوقف حياته لخدمة وطنه وادرك تماماً حجم أعداء امانه شعبه. تراه فجأة وقد حطمت الكارثة معنوياته وهدت كيانه الروحي وافقدته الثقة بالزعامة التي اخلص لها بتجرد وتفان. هكذا وجدته عند لقائي الاخير له إذ قال لي بلهجة يتجلى فيها اليأس: «كاكا اني تعبت ولم تعد لي طاقة وسأعود الى الاهل. ارسلت (مام عبدالله) الى العقيد قائد حامية راوندوز لاعلمه بأنني ساسلم نفسي وليكن مايكون. اني تعبنا وبحاجة الى الراحة وقد جئت لوداعك وربما لن نلتقي مرة اخرى». لم اعرف من هو (مام

عبدالله) هذا.

لم يحاول اغرائني بالانضمام اليه. ولم احاول من جهتي اقناعه بسلوك سبيل آخر. فقد وجدت فيه العزم والتصميم. ولا ادري هل قام بتوديع الآخرين كما فعل معي؟ قال هذا وخرج وكان آخر عهدي به.

سنوات السجن - نشاط فكري

س: في العام ١٩٦٣ اعتقلتم لاسباب سياسية بعد حركة الشواف الانقلابية. وحكم عليكم بالاعدام وبقيتم في السجن مدة خمسة اعوام. ماهي المعاناة؟ كيف كانت المعنويات. ومتى كان الخلاص؟

سؤال كهذا في معرض حوار صحفي، تضيق عنه إجابة وافية بإستيعابها التفاصيل والحكاية ان شئت ان تخلع عليها هذه الصفة- ذات خلفيات وشعب لاتستكمل الصورة التي تؤملها بدونها. وهي في الغالب تتعلق بماضي السياسي القصير الامد. مثلما تتعلق بالعاصفة الهوجاء التي هبت على العراق حاملة معها سلسلة من الانظمة الثورية، بدءً بعهد عبدالكريم قاسم، وانطلاقاً من الوضع السياسي المضطرب الذي كان باصله وآثاره حصيلة انفعالات هذا الدكتاتور والموجات العاطفية المفاجئة التي كانت تنتابه بين آن وآخر. ولدينا من هذا تراث مثقل يصعب التخلص منه واقعاً وضميرياً. وقبل ايام سمعت مستشار المانيا الحالي يقول في معرض تنويه له بعهد (هتلر): «انه لمن الصعب جداً ان نستل انفسنا من الماضي».

واول مايفتقد في مثل هذه العهود هو العدالة وضياع القيم الانسانية. ويأتي اهدارها بشكل مقنع بالغ الدناءة قد يتضح من هذه المقارنة التي توصلت اليها بعد كثير من التأمل وتقليب وجوه الرأي واليك هي:

في العهد السابق على انظمتنا الثورية او الانقلابية -وهو ما اصطلحنا عليه بالعهد الملكي -كان الاعتداء على القيم الانسانية واضطهاد حرية الفكر والتعبير اي ارتخااص العدالة يجري باسم المحافظة على النظام القائم. وضحاياه هم بالتالي اعداء النظام فحسب. في حين ان هؤلاء الضحايا بنظر الانظمة الانقلابية، هم اعداء الشعب. والقصاص ينزل بالفئتين تبعاً لذلك التفسير.

ومن متابعتي لهذه الفكرة عموماً واهتمامي بدراسة تاريخ بلادنا بشكل يغير ما اعتاده المؤرخون وعودوا قراءهم عليه وجدت ان حكومات العهد الملكي باستثناءات قليلة كانت تحاول

تحديد اجراءاتها التعسفية واعتداءاتها على الحريات بالنطاق الذي يؤمن لها المحافظة على كيانها سواء بحجم ما ترسله الى المعتقلات والسجون او بالقوانين المحددة للحريات التي تستنهدا بين آن وآخر. وهي تسرع الى التراجع عن اجراءاتها القمعية عندما يتعاظم الضغط الشعبي. على اية حال ترى في هؤلاء مواطنين جانحين او غوغاء مدفوعة مضللة بقوى محرّضة او عناصر مخربة. في الوقت الذي وجب انزال القصاص بهم، وجب ان يفسح المجال لهم ليكونوا «مواطنين صالحين» (اذا استخدمنا ماأعتادوه من اصطلاح).

ومما يخطر ببالي مثلاً: كان مرسوم الادارة العرفية يودع صلاحية تنفيذ حكم الاعدام للمحكمة التي اصدرته. وفي سنة صدوره ١٩٣٥ سيق الى المجلس العرفي العسكري المنعقد في سنجار اثر انتفاضة الايزيدية - محام موصل شهير ووجيه من كبار المزارعين في المنطقة (مسيحيين) - بتهم ملفقة وحكم عليهما بالموت مع عدد آخر من الثائرين اليزيدية ونفذ الحكم بهم فوراً. فقامت ضجة كبيرة وثار خواطر على الصعيدين الشعبي والاداري وعندها اسرعت الحكومة بتعديل المرسوم مودعة امر تنفيذ احكام الاعدام للملك وحده. وفي جرائم الرأي والعقيدة اقدمت حكومة لنوري السعيد في العام ١٩٤٩ على اعدام خمسة مواطنين ادانهم المجلس العرفي - لم يرفعوا سلاحاً في وجه الحكومة ولم يسعوا الى قلب النظام بالقوة - وكان سلاحهم القلم والورقة فحسب.

ان صيحات الاستنكار التي واجهها هذا الفعل على جميع المستويات والصدى الذي احده في الراي العام العالمي لقن النظام درساً فلم يعد لثقلها حتى سقوطه.

والاحكام كانت تصدر باسم النظام (اي الملك). الا انها صارت تصدر بعد التغيير باسم الشعب. وهو تحصيل حاصل مادام القائمون بالتغيير اعتبروا انفسهم (دون حاجة الى استطلاع رأي الشعب فيهم) الممثلين الحقيقيين لارادته. ولذلك كان كل من يناصبهم العدا او يعارضهم في الحكم او يناقضهم، عدواً للشعب وليس عدوهم، وبهذا المنطور يبرر النظام الجديد (الشعبي) لنفسه ان يستخدم اقصى مايمكن استخدامه من صرامة وقسوة في استئصال هؤلاء المتمردين عليه والمخالفين له وباستبعاد اي عاطفة او اي اعتبار لمبادئ العدالة.

واراني مضطراً الى هذا الاستطراد فبدونه تغدو حكاية اعتقالي والحكم علي لا اكثر من حكاية شخصية ولا تخدم الغرض الذي ارمي اليه من سردها.

وليس هناك اي تحديد ثابت لمن يمكن وصفه بعدو الشعب لدى الانقلابيين. فمثلاً كان الفرق في اغلب الاحيان يتقرر بالنجاح او الفشل. فالفرق بين الذين حققوا تغيير النظام في الرابع عشر من تموز. وبين اولئك الذين حاولوا في ٨ آذار ١٩٥٩ بالموصل انقلاباً، وبين اولئك الذين احبطوه وفي لعبة كهذه، لحمتها وسداها التأمّر، هو ان الفاشل فيها يُعلن عدواً للشعب

فاستئصاله واجب، وبهذا الوصف الذي خلع على المغلوب. جُمع طاقمه ورؤساؤه وعرضوا على الجمهور قبل ان تصرعهم رشقات الرصاص في ميدان الرمي وسط الهتاف للغالب. والمسألة في غاية من البساطة انهم لم يحكموا الخطة، ولو احكموها ونجحوا لتبادل الغالب موضع المغلوب. فما اقصر المسافة بين كرسي السلطة وميدان الرمي.

واذا لم تكن جريمتي الكبرى في اصدار جريدة كوردية بهذه المدينة -التي اختارها (الشواف) لتنفيذ انقلابه العسكري- في الصورة بعد، فقد حسبني بل وضعني المؤتمرون في قائمة الاعداء. ربما لاني لم اظهر في جريدة (الرائد) الحماسة الكافية للدعوة الى الوحدة الفورية رغم اني كنت بعد الغاء امتيازها قد ابعدت نفسي عن تلك المعركة الخفية التي صارت تحتاح المدينة بين انصار الوحدة الفورية اي القوميين. وبين اضدادهم العناصر التي اصبح يطلق عليها الاسم العام «الديمقراطيين». وقد تعين انتمايي بشكل ثابت في الليلة التي سبقت اعلان انقلاب الشواف وقتما جيء بي معتقلاً الى الشكنة الحجرية لأشارك مصير ستين او سبعين جمعوا من منازلهم اوجئ بهم من الضواحي والقصبات: شيوعيون، پارتيون، وطنيون ديمقراطيون رفاق طريق فضلاً عن بضع عشرة ضابطاً. وبقي مصيرنا مجهولاً طوال ثمان واربعين ساعة كانت خاتمتها المعركة الضارية في فناء وأروقة واسطح هذه القلعة العثمانية العتيقة. وكتبت لي السلامة بالنتيجة لكنني دخلت في قائمة اعداء الذين خسروا هذه الجولة. كنت في الواقع وحتى ذلك الحين من بين اولئك المتفرجين الواقفين على الرصيف لا احتفظ باي ولاء او احترام لنظام (قاسم) ولا يخطر ببالي الانتظام في جوقه المؤيدين او المنتصرين لنظامه. ربما كنت قبل (الشواف) قد شعرت بمنة لتوهمي بان يوم ٤ تموز اخرجني من قائمة «اعداء النظام» الزائل. بل هكذا خيل لي لفترة قصيرة، دون ان اتصور بطبيعة الحال اني ماخرجت من قائمة «اعداء النظام» الا لأدخل في قائمة «اعداء الشعب» وكانت الغلطة هي اصدار جريدة «الحقيقة» بعد فشل الانقلاب كما عرضت في الحديث السالف وكان اصدارها بفضل نظامه طبعاً.

اريد ان اقف هنا قليلاً لاروي بايجاز شديد محنة ذلك الموظف الريفي كما رواها القصصي الفرنسي (جورج لوميتتر) على اغلب ظني. فبدونها لاتكمل صورة ما سأروي عن كيفية مسار طريقي الى غرفة الاعداء. روى (لوميتتر): وقف موظفو البلدة الصغيرة صفاً في استقبال الامبراطور نابوليون فمر بهم وهو يعرج ثم توقف في آخر الصف ازاء موظف بسيط يساويه بطول القامة وجذبه ووضع ذراعه على كتفه وسار به متكناً عليه حتى عربته مبتعداً عن جمهور المستقبلين الذين كانوا يتابعونه بابصارهم وهو يتحدث الى الموظف الصغير باهتمام واندفاع. ولما خلوا بالموظف المذكور راحوا يمتطرونه بالسؤال عما كان الامبراطور يتحدث به اليه

وهم في خوف ووجل من ان صاحبهم قد وشى بهم بعمل فقال ببساطة ان العاهل كان يلعن ويشتم اسكافيه الذي صنع له الحذاء الضيق الذي يلبسه. وأبوا ان يصدقوه بطبيعة الحال واعتبروا ذلك منه دهاء وحيلة، وانه يخفي عنهم الحقيقة وبدأو يحاذرونه ويخشونه. وما مر عام او نحوه حتى هزم نابوليون ونفي الى جزيرة (إلبا) فزج الموظف في السجن بوصفه واحداً من انصاره. لكن الامبراطور عاد من منفاه فخرج من السجن. ثم عاد اليه بعد ان هزم الامبراطور ثانية. واطلق سراحه بعد عفو ثم اعيد الى السجن باعتباره جمهورياً نابوليونياً في اعقاب ردة العام ١٨٣١ واخيراً أنتهى عذابه بمجئ نابليون الثالث في ١٨٥٠، وكان قد بلغ من العمر عتياً. فلم يمهل الموت. هذا مجمل القصة ولعلك الآن أدركت المغزى. أشفى الدكتاتور العراقي شفى غليله ممن حاول ازاحته بهذه الصورة. وما مرت اشهر حتى خطر بباله ان موعده عقاب الشيوعيين قد ازف. وزين لهذا الدكتاتور الغريب الاطوار انه يستطيع ان يضرب عصفورين بحجر واحد. رأى انه مضى شوطاً بعيداً في عقاب اولئك المنتفضين عليه. وخيل له انه قادر على رأب الصدع الذي احداثته قسوته بهم فاطلق سراح من احتجزهم وعذبهم بل بوا بعضهم المراكز التي مكنتهم من توجيه ضربات قتالة لنظامه. ونشرت طائفة منهم مظلة ارهاب على مدينة الموصل وراح الابرياء بالعشرات يتساقطون في الشوارع والازقة برصاص القنابل دون عائق ودون مداخل من السلطة باي شكل كان. وتماذى في جهده بكسب رضاهم والتقرب منهم فامر بالقضاء القبض على طائفة ممن تصدى لمحاولة الشواف واحالهم الى المجالس العرفية بتهم القتل وتجاوز حدود المقاومة المسلحة.

واذ ذاك اخرج القوميون قوائمهم، وفيها اسمي بوصفي من معتقلي الشواف. ولم يشفع لي واقع جلوسي على الرصيف. والقي القبض عليّ ووجهت لي التهمة التي وجهت الى كل من شارك بالسلح في مقاومة العصيان بما رافقه من قتل. ثم اطلق سراحي بعد التحقيق دون ان تسند اليّ تهمة ما. وعدت الى الموصل. وخيل لي ان استطيع استئناف اصدار الجريدة ومزاولة مهنتي. فلم امهل وصدر امر اعتقالني من المجلس العرفي العسكري في بغداد في اوائل العام ١٩٦٠، يعين التهمة النابعة عن كوني من معتقلي الثكنة الحجرية. في هذه المرة كان الامر من الخطورة بمكان فقد بلغني ان شهوداً استؤجروا بمبالغ كبيرة او تطوعوا حمية وبدافع من الحماسة القومية. وكان يؤتى بهم الى قاعة المحاكمة اثناء المرافعة ويشار لهم الى المتهم المقصود للتأكد من هويته بعد تلقيهم ما يطلب منهم عند استدعائهم للشهادة.

لم يكن هناك اي امل في النجاة. وكنت سمعت نبأ صدور امر اعتقالني من الراديو الذي كان يبث وقائع المحاكمات وانا في المطبعة اراقب تنضيد الجريدة. وابلغتني شقيقتي تلفونياً بان حملة اعتقال قد داهمت المنزل وخرجت لتوها.

لا اطيّل في هذا فقد كان افلاتي اجراً عملية قمت بها طوال حياتي. بقيت ببغداد مختفياً في منزل عضو اللجنة المركزية للبارتي السيد عبدالحسين الفيّلي بتوصية من الحزب. وفسح لي المجال خلال تلك الفترة للمساهمة بتحرير (خه بات). وبطبيعة الحال حرم المجلس العرفي وحرم الشهود لذة الحكم عليّ. وصدر القرار الغيابي بتبرّتي. فخرجت الى العلن والتحققت فوراً بهيئة تحرير (خه بات) وكان الجو قد اكفهر. بدأ البارتي وزعيمه يستهدف لحملة الدكتاتور، وكانت معركة كلامية شاركت فيها بضعة اشهر لاجد نفسي فجأة سجيناً بعين التهمة!

فهؤلاء الذين نجت جلودهم من احكام المجالس العرفية. فيما دعي بقضايا الموصل، اصدر الحاكم العسكري العام قراراً باحتجازهم جميعاً. فتم اللقاء القبض عليّ ورحلت مبعداً الى الرمادي وحدد محل اقامتي في السجن! وفي خلال الاشهر الخمسة التي قضيتها هناك. كان قاسم قد ساق جيشه الى كوردستان لتعقيب «العصاة المتمردين» وبمظهر يقصد به افناع الدكتاتور نفسه بالقضاء على التمرد. اصدر امره باطلاق سراح المبعدين والموقوفين فافرح عني بعد بضعة اشهر. وحسبت ان لعنة الثكنة الحجرية قد باتت من آثار الماضي فكنت واهماً ايضاً.

واصلت عملي في جريدة «خه بات» التي صارت تصدر سراً. الا ان عمر حريتي كان قصيراً قصر عمر (قاسم) نفسه. لست ادري وانا الآن مشرف على نهاية الجزء الاول من سؤالك كيف كان هذا الرجل الذي وصفه الكثيرون بالذكاء والالعية وبعده النظر. كيف كان يتصور بان المؤتمرين به سيرضون باقل من رأسه؟ وان الصراع كان ابعد من ان يحسم بتقديم هذه الوجبة من الطعام للمتريصين بنظامه؟

بقدر ما تعينني الذاكرة: كان نظام قاسم قد اطلق (١٦٤) سجيناً سياسياً فضلاً عن زهاء اربعين موقوفاً ومعتقلاً. وهذا كل ماخلفه العهد الملكي في سجونته في حين ابقى للنظام الذي عقبه -بانقلاب شباط- اضعاف اضعافهم من عين الفصيلة المتخلفة في سجون العهد الملكي. تسلم انقلابيو رمضان اكثر من اربعمائة محكوم ومبعد وموقوف في سجن نقرة السلطان الذي كان قاسم قد اعاد فتحه بعد ان اغلقه العهد الملكي فضلاً عن مئات اخرى في معتقلات بغداد وسجونها. وبين هؤلاء اكثر من اربعين محكوماً بالموت من عين الجنس كانوا جاهزين لمشانق الحكم الجديد ولا لوم ولا تثریب. فهم بتنفيذ الحكم بهم انما كانوا يكملون ما بدأه قاسم. وكل هؤلاء المحكومين تقريباً كانوا قد صفقوا له وهتفوا بحياته ودافعوا عن نظامه في وقت ما.

الا ان ذلك لم يكن بكافٍ والقبي القبض عليّ ثلاثة وربما رابعة وبالتهمة عينها. اصدر الحكام الجدد بياناً قالوا فيه ان العقاب الذي اوقعه (قاسم) بالمتجاوزين في محاولة الشواف الانقلابية اقتصر على فئة قليلة ولم يطال الآخرين وهم كثيرون ومن جملتهم اولئك

الواقفون على الرصيف. وانا منهم.

لم ادرك خطورة جريمتي في اصدار الجريدة الكردية. وهي مما لا يمكن ان يصاغ منها تهمة رسمية. الا عندما استدار اليّ احد الذين كان يسمح لهم بالتفرج على المعتقلين كما يتفرج على نزلاء حديقة الحيوان وتوجيه قارص الكلام الى هذا او ذاك منهم او تذكيره بحادث معين على سبيل التشفي والتفريع قال لي: «انك وجهت طعنة نجلاء الى خاصرة القومية العربية بجريدتك مدة ستة اشهر».

بدت تهمتي في اول الامر بسيطة. لا وجه فيها للحكم بالموت وقد أشركا معي فيها اثنين آخرين انتقيا معي لغرض الاثبات بان اعداء القومية العربية هم اعداء الدين الاسلامي ايضاً. فأنا مسيحي، والسيد خيرى الشيخ سعيد هو ابن لزعيم الطائفة اليزيدية واخ لزعيمهم الحالي. وادريس علي خان المحامي وهو من اعضاء الحزب الشيوعي وهو حزبٌ ملحد. وكان هذا ايضاً شيئاً مناسباً في نطاق محاولة حزب البعث صاحب السلطة ازالة مشاعر الشكوك حول علمانيته والحاديته.

وكان ثم كثير من امثالي من الواقفين او الجالسين على الرصيف الا ان (خير الدين) كان على رأس عدد من اليزيدية المسلحين الذين انحدروا الى الموصل للدفاع عن نظام قاسم فهو لاعب اساسي وقد جمعنا غرفة واحدة وكما قلت لم تكن تهمتنا بكافية لغرض العقوبة القصوى. ولكن من سير المحاكمة التي سبقت لـ(خير الدين) علمنا ان التهمة ارتقت الى المادة الثمانين من قانون العقوبات والمادة الحادية عشرة من مرسوم الادارة العرفية وهما بعين المآل تنسحبان على كل من ترأس عصابة مسلحة هدفها تغيير نظام الحكم؟؟ اعني حكم دولة الشواف اما وانه قام ضد حكومة معترف بها ذات سيادة ومكانة في المجتمع الدولي والمنظمات الدولية، فهو ليس ذا موضوع.

لكن المسألة هنا ليست مسألة قانون او عدالة. وانما هي مسألة من يكون ذئباً في وقت معين ومن يكون حَمَلاً وقد تم تبادل هذين الدورين عدة مرات بين الاطراف العسكرية والسياسية المتناحرة على السلطة في تربتنا الكريمة كما قلت.

س: هل حكم (خيرالدين) بعين التهمة؟

كلا. انتهت محاكمته تقريباً وكان ينتظر صدور الحكم، ثم تمت المساومة بين حكومة الثامن من شباط وبين اخيه تحسين الشيخ سعيد. فتم اطلاق سراحه وسحبت القضية فوراً مقابل

اصدار المير تحسين بوصفه زعيماً روحياً وزمنياً للطائفة فتوى او امرأ يقضي بالحرم والخروج عن الدين اليزيدي والقطع من الجماعة على كل من يحمل السلاح ضد الحكومة الى جانب الثورة بل على كل من يتعاون معهم او يساعدهم بأي شكل كان. ما ان اذيع بيانه من الراديو ونشرته الصحف حتى فتحت ابواب السجن بوجه (خير الدين) وغادرنا.

س: غطت دائرة نشاطك القلمي افقاً واسعاً من القانون والسياسة والفن والتاريخ. فضلاً عن الادب. اما خطر ببالك يوماً ان تقوم بتدوين احاسيسك وانطباعاتك عن تلك الاوقات التي قضيتها وليس بينك وبين النهاية غير ساعات لاشك في انها تجربة فريدة وخصوصاً بالنسبة الى كاتب عُرف باجادة التعبير، واحكام الترجمة عن الاحاسيس؟ كيف كانت المعاناة؟

هو الاستسلام والصبر جبراً او اختياراً. بطبيعة الحال لم يكن عندي ما يصلح للمساومة على الحياة كصاحبي خيرالدين الشيخ سعيد. والسلطة باتت الآن تعلم بانتمائي الى الحركة الوطنية الكوردية المسلحة. وكانت المحاكمة والحكم قد وقعا بعد استيناف القتال (في تموز ١٩٦٣). وعودة بغداد الى الهجوم الاعلامي على الثورة ونعتها بالعمالة وخدمة الامبريالية وما الى ذلك. لم يكن هناك خيط من رجاء او امل. ثم تعاقبت الايام على نحو ما ساذكره وشيكاً. وبدت خلال ذلك تراودني فكرة تسجيل خاطري وانطباعاتي، على نحو ما درجت عليه في كتاباتي منهجياً. الا اني كنت ادفعها عني واحاول دفنها في اعماق نفسي وضميري بل ونسيانها. في ذلك الحين لم اكن صافي الذهن مثلما كان الكاتب (المجري الانكليزي) الطائر الصويت (آرثر كويتسلر) (Arther Coetsler) (١١). عندما قبض عليه رجال (الجنرال فرانكو) في برشلونة ووضعوه في زنزانه وبانتظار تنفيذ حكم الاعدام به، صار يستخدم كاغد لفائف التبغ التي يزود بها لتدوين انطباعاته وهو يعد دقائقه الاخيرة ثم ليخرج

(١١) (١٩٠٥-١٩٨٦) ولد كويتسلر في بودابست (هنغاريا). وانضوى الى الحزب الشيوعي في أوائل العشرينات وبلغ فيه عضوية اللجنة المركزية، إلا أنه فضّل ترك البلاد في أوائل الثلاثينات وهاجر الى بريطانيا بعد إستقالته من الحزب الشيوعي ليجد فضاءً رحباً يتسع لمواهبه الفكرية وبرز روائياً وصحافياً وناقداً وفيلسوفاً وضرب في آفاق الفكر والتاريخ السياسي. أهم كتبه كما ذكرت كتابه (الظلام وقت الظهيرة) ألفه في عام ١٩٤٠ ويمثل نظرتة في محاكمات التطهير الستالينية بمروءة بلشفي قديم يضطر الى الاعتراف بجريمة الخيانة رغم براءته. وإستمد كويتسلر من تجربته الخاصة عندما ألقى نفسه محكوماً بالموت عند الجنرال فرانكو أيام الحرب الأهلية (١٩٣٧) ويقاؤه تسعين يوماً في إنتظار تنفيذ الحكم. وكانت قد إستطارت شهرته وهو مراسل جريدة الديلي ميل ينقل لها أبناء الحرب، من كتبه الأخرى «أليوغي والكوميسار» و«القبيلة الثالثة عشرة» وغيرها.

بواحد من اروع كتبه بعد ان كتبت له النجاة. لم اكن اتمتع في حينه ببرودة دم بل وبأمل هذا الكاتب العظيم بالنجاة. ولذلك فالتنتي تلك الفرصة وصرت اشعر بان كل ما سادونه بعد الخروج من المحنة سيغلب عليه طابع الزيف ولن يكون تعبيراً حقيقياً صميماً عما كان يعتلج في نفسي خلال تلك الايام العصيبة. بعد ان كتبت لي الحياة. ومع اني كنت على يقين من صحة رأي المحللين النفسانيين بالفائدة التي تجني من المصارحة بالدفين من الذكريات. ومنها الراحة الفكرية على اني كنت من اولئك المحظوظين لان الخالق لم يحشرنني في عداد من هم في حاجة الى مثل هذا العلاج. فقد أمتحتُ وأمتحتُ قبلها. وما اراني الا مستعداً لامثالها ان شاءت الايام ان تبلوني باخرى.

على اني كنت احياناً اداعب فكرة الكتابة عن هذه التجربة فاسارع في طردها وتختفي في لجة من تساؤلات: لمن اكتب؟ ومن يهتم؟ وكم هو مفيد هذا الصنف من الكتابة عندنا؟ اي اسرة عراقية سلمت من غوائل العقود الاربعة الماضية؟ اي بيت لم يفجع بفقد عزيز. كم سلم من التهجير والابعاد والعوز والفاقة؟ اي منزل خلت اجواؤه من رنة النوح والعيول؟ انها وربك بضاعة لاشاري لها في سوق حفلت بالكثير من امثالها فعدت كاسدة لا تجد لها شارياً.

ثم اني مازلت على اعتقادي بأني كنت اسعد حظاً من الكثيرين، عندما اتطلع الى الوراء واتبين اني لم اقض هذه السنوات خاملاً بل قمت بكثير مما كنت سأقوم به وانا مطلق السراح. كان ثم نوع من التراخي في المعاملة بالنسبة اليها. فادارات السجن التي زرتها لم تكن من ذلك النوع العقائدي السادي المجرد من الشعور الانساني وكانت تغض الطرف عن الكثير من القيود. فباغراء بعض السجناء بشيء من المال صار بوسعي الحصول على كل ما احتاج من ادوات الكتابة. وكل ما اريد احضاره من كتب يا توني بها من مكتبتي الخاصة في منزلي او التي اوصي بها اهلي. كنت املاً الدفتر بعد الدفتر على ضوء مصباح كاب لا ينطفئ ليل نهار وابعث بها تباعاً حيث تحفظ، والامل باق. ولا اكنتمك ان كثيراً مما انجزته اخذ طريقه الى دور النشر -وهناك الكثير الذي ينتظر. وعلى هذه الوتيرة مرت السنوات الثلاث والاشهر الستة بانتظار النهاية.

س: كيف كان الخلاص؟ كيف جاءت النهاية؟

سلسلة من الصدق غير المتوقعة جاءت دفعةً واحدة فبعد اصدار الحكم باسبوعين او ثلاثة حقق (عبدالسلام محمد عارف) انقلابه في ١٨ تشرين، وطرد العناصر البعثية. وكان على نظامه ان يحاول غسل يديه من القتل والفظائع التي ارتكبها هو ويطانته مع زملائه

المطرودين خلال اشهر الشراكة الثمانية الفاتئة. وراح يحاول بطرق عدة التنصل منها والقائها على عتية البعث. وكان من جملة تدابيريه انه اصدر مرسوماً بتأليف محكمة عليا لتدقيق القرارات التي اصدرتها المحاكم العرفية العسكرية بصفة استينافية. ثم جاءت الهدنة مع الثورة ثم اني كنت اعلم بان هناك في كوردستان من يهتم بأمري ومصيري وكان هذا يشيع بنفسه شعور السلوى ان لم يكن الاطمئنان لم يكن المحكومون غيري يعلقون اهمية على تشكيل مثل هذه المحكمة. وتبين اني كنت الوحيد بينهم الذي طلب تدقيق قضيته. وعلمت بعد اسابيع ان هذه المحكمة لم تجد اي سبب يبرر الحكم عليّ وانها قررت الغاءه من اساسه واخلاء سبيلي. الا ان عبدالسلام عارف لم يشأ ذلك وابقى القرار في درجه حتى وافاه الاجل. كما لم تشأ الحكومة الجديدة ان تنفذه نصاً بل اتخذت حلاً وسطاً بابدال العقوبة الى السجن. ثم تم الافراج عني بمناسبة العفو العام الذي اصدرته حكومة انقلاب تموز ١٩٦٨. على اني واصلت باصرار رجل القانون على تعقيب مسألة ابطال الحكم والغائه. لم تكن تعجيني كلمة «العفو» مطلقاً. لان فيها تبريراً لعمل السلطة، وكان همي ان اثبت ان السلطة اخطأت في اعتباري من «اعداء الشعب». وانها ارتكبت متن الشطط في التعامل معي على هذا الاساس. وسنحت لي الفرصة في العام ١٩٧٠، فرفعت طلباً لوزارة العدلية بتنفيذ قرار المحكمة العليا الاستينافية التي قضت بتبرئتي وكان لي ذلك- وباعتقادي اني الوحيد بين كل من حكم في اصراري على وثيقة البراءة الرسمية^(١٢).

(١٢) وهذا نص القرار:

إستناداً الى أحكام الفقرة (٨) من المادة ٤٤ المعدلة من الدستور المؤقت. قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٠/٦/٢٥ ما يلي:

(١) يُلغى الحكم الصادر من المجلس العرفي العسكري الثالث في الموصل في القضية المرقمة ٦٣/٢٣٣ بحق المحامي جرجيس فتح الله. وفق المواد ٣١ و ٨٠ و ٢١٤ من قانون العقوبات البيغدادي. والمادة (١١) من مرسوم الإدارة العرفية الملغى.

(٢) على وزير العدل تنفيذ هذا القرار.

عن مجلس قيادة الثورة

(توقيع)

صورة قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٩٥٨ والمؤرخ في ١٩٧٠/٨/٢٣ المبلغ إلينا بكتاب ديوان رئاسة الجمهورية (الدائرة الحقوقية ٩٢٣١ . في ١٩٧٠/٨/٢٤ .

« قرر مجلس قيادة الثورة بقراره المرقم ٩٥٨ المتخذ بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٣ ما يلي: رفع الحجز عن الأموال المنقولة وغير المنقولة للمدعو جرجيس فتح الله رئيس تحرير جريدة التآخي. فيرجى إتخاذ =

س: التحقتكم بصنوف الثورة الكوردية. وكنتم قريباً من شخص القائد البارزاني. وخلال سني الثورة جرت عدة مفاوضات بين الثورة الكوردية والحكومات العراقية. واهمها المفاوضات التي سبقت توقيع اتفاقية الحادي عشر من آذار ١٩٧٠. كيف كانت دبلوماسية البارزاني في تلك المفاوضات؟

يوسفني ان اظهر قصوراً في الاجابة عن هذا السؤال. وربما خيبت ظنك في مما سأروييه وهو قليل اقول اولاً أنني لم اشارك قط في اية مفاوضات. على ان لي دوراً صغيراً جداً خلال ذلك. ربما جادت به الصدفة ليس غير. التحقت بمقر الثورة في ايلول ١٩٦٨ بعد اطلاق سراجي بشهر وبضعة ايام. ولقيت اول ما لقيت ادريس ومسعوداً ثم قصدت البارزاني الكبير. وكان في خيمة ومعه عدد من رجال الثورة عرفت بعضهم في الماضي. فاستدناني وجلست الى جانبه. وما تحدث لي به وما حدث الآخرين عني آنذاك شيء لا يمكن نسيانه. ثم باشرت فوراً المسؤوليات التي انيطت بي ولم يكن تدرجي الحزبي وحادثة التحاقني بالثورة يعطيني حقاً في المشاركة بمفاوضات. واما بخصوص اتفاقية العام ١٩٧٠ وما رافقها من مفاوضات تمهيدية وشبه نهائية. فأنا لم اكن في الصورة الا بمناسبتين صغيرتين، قد لا تلفتان النظر وربما كان الحديث عنهما هنا غير ذي موضوع او اهمية.

س: على الاقل قد يكون من المفيد ان يتبين القراء موقفك شخصياً. لان المفاوضات والاجتماعات كانت تجري في نابوردان بالقرب من مقر عملك.

في الواقع اني تعمدت عدم الظهور عند قدوم الوفود الحكومية. وكنت اتوارى عن الانظار وابتعدت عن امكنة تواجدهم، اذ صعبت علي عاطفياً مواجهة او اضطراراً الى مصافحة جلادي شباط من امثال صالح مهدي عماش وحر دان عبدالغفار، والشيخلي وغيرهم كنت اراهم عن بعد فتتمثل امامي سنوات السجن. وتشخص صور اصدقاء لي قضى عليهم هؤلاء بشرّ مية. لكن يخطر ببالي ان السيد مسعود البارزاني على اثر اجتماع لهم بالوفد التفت الي ونحن في حديث خاص مع الاخوان الآخرين وقال: جاؤوا ومعهم مستشارهم القانوني «عبدالفتاح الزلط»

= الإجراءات المقتضية لتنفيذه.

يحيى ياسين

رئيس ديوان رئاسة الجمهورية

أطلق سراجي أولاً بموجب قرار العفو العام الصادر من حكومة إنقلاب تموز ١٩٦٨. إلا أن (العفو) يتضمن قبوله على علانته إقراراً بالجرم.

نحن لدينا أيضاً مستشارنا القانوني مشيراً اليّ فسكتُ. وحمدت الله ان الحاجة لم تلجئ للاستعانة بي. الا اني -وربما بمحض مصادفة حضرت اجتماعاً تم فيه وضع مطالبنا النهائية او قل اقتراحاتنا قبل صدور البيان. لم يكن في هذا الاجتماع من يمثل الحزب الحاكم وكان معقوداً برعاية السيد البارزاني بالذات وبحضور الاستاذ عزيز شريف ويثجيني بريماكوف وكل اعضاء المكتب السياسي فضلاً عن نجلي البارزاني ادريس ومسعود. وقد دونت في يومياتي ملخصاً لما جرى في الاجتماع. اعتقد ان مشاركتي كانت عفوية وقد اوردت نبذة عنها في كتابي «زيارة للماضي القريب» وكان الامر بهذا الشكل: دعاني دكتور محمود وادريس للالتحاق بهم فلبيت دون معرفة ما يراد مني الا ان الطيب الذكر ادريس ادرك حيرتي فهمس قائلاً «ستقوم بتسجيل وصياغة مقترحاتنا النهائية فهيا». وكان السيد البارزاني قد سبقنا وجلس على سرير حديدي يليه (بريماكوف) والاستاذ عزيز وكنت قريباً من السيد البارزاني. والحديث كله كان باللغة العربية كان (بريماكوف) اذ ذاك واحداً من كبار وكلاء المخابرات السوفياتية في الشرق الاوسط ومرشح اللجنة المركزية كما بلغني وقتها. وقد سجلت له اتفاقية آذار نشاطاً ومساعدى مع الاستاذ عزيز. اذكر بالمناسبة ان الاستاذ عزيز كان يحاول ترجمة ما يجري لبريماكوف بالانكليزية الا انه كان بالاساس يعتمد على البارزاني فيترجم له. لم اكن اعرف شيئاً عن هذه الشخصية السوفياتية. وقد لفت نظري صعوده الخيالي في سلم السلطة بعد نهاية الحكم الشيوعي وانحلال الاتحاد السوفياتي ليرأس حكومة فترة من الزمن وفي اثناء ذلك كتبت صحف الغرب اشياء كثيرة عن مؤهلاته وقدراته ومنها عضويته في اكااديمية العلوم السوفيتية، بسبب تضلعه في العربية والدراسات العربية الشرق اوسطية، وهو ما لم اصدقه قط. فقد تبين لي في تلك اللحظة بوضوح تام انه لايفقه شيئاً عما كان يدور من حديث بالعربية وانه كان يعتمد على السيد البارزاني. وقد اكد لي بعض العراقيين الذين قضاوا في الاتحاد السوفياتي سنين طويلاً وكانوا على صلة وثيقة به. انه يستطيع ان يفهم قليلاً من اللهجة الدارجة المصرية ولا اكثر.

وكما قلت كانت مهمتي في هذا الاجتماع اشبه بالمقرر. لكن مالمثل الحديث ان انجر الى موضوع الانتخابات العامة ولا ادري كيف زججت نفسي فيه. كان الموضوع موضوع المستقبل السياسي للقطر وضرورة الاعتماد على مبدأ الانتخابات العامة. وبواقع نص صريح في منهاج الحزب الديمقراطي الكوردستاني في هذا المأل. بطبيعة الحال لم يعترض احدٌ من رفاقنا المجتمعين على ادراج إقتراحي هذا. الا ان عزيز شريف الذي كان ملماً طبعاً بهذا المبدأ. ابدى شكه في قبول بغداد بهذا لكنه عقب قائلاً «لا بأس من ادراجه في المقترحات. لكن الجماعة لا يوافقون».

ويبقى السيد البارزاني صامتاً دون تدخل - كعادته - وقمت بتدوين المقترحات ثم سلمتها للاستاذ عزيز بعد قراءتها علناً وموافقة الاخوان هذا هو دوري فحسب ان كنت تعده دوراً.

الا ان اجتماعاً آخر عقد في ناوپردان في وقت لاحق ضم كل قيادات الثورة المتواجدين آنذاك تقريباً. قبيل صدور بيان الحادي عشر من آذار بايام. حيث راح السيد دارا توفيق يتلو آخر ما تم التوصل اليه من اتفاق. او ربما كانت الصياغة التمهيدية للبيان المرتقب. واذكر في هذا الصدد ان توارد الخواطر ادى بي وبالمرحوم زيد احمد عثمان المحامي الى الاعتراض بشدة حول موضوع وضع مستقبل مدينة كركوك مرتين باستفتاء او احصاء. وحجتنا ان ذلك يسلبنا ويسلب اهاليها حقاً تاريخياً وعنصرياً لاجدال فيه ويجلب الشك في تابعيتها حيث لا موجب للشك لا ادري كيف كانت النتيجة والظاهر ان الاجتماع كان شكلياً او اخبارياً لا مجال فيه للتعديل او المناقشة.

بطبيعة الحال كانت حكاية غضب السيد البارزاني في احد الاجتماعات الاولى بالوفد الحكومي قد انتشرت حين خرجت من فم عضو من اعضائه عبارة تؤكد عروبة كركوك. كيف كان رد البارزاني القاطع العنيف على هذه الملاحظة واصراره على مغادرة الاجتماع وانهاء المفاوضات، كانت ازمة تم تداركها باعتذار القائل كما بلغني.

من منجزات السجن القلمية

س: لدينا استيضاحان حول نقطتين وردتا في الحوار السابق. بعض القراء المتابعين لهذه السلسلة من الحوار يهتمون بجلاتهما. وقد يكون من المفيد ان نحيد قليلاً عن المنهاج فنسأل اولاً عن الكتب التي قمتم بترجمتها اثناء فترة السجن وفي اجوائه وماذا آل اليه امرها؟

بعض هذه الكتب وجد سبيله الى النشر. وبعضها مازال مخطوطاً مع حظ كبير لها لتجد سبيلها الى ايدي القراء. وحظي اكبر لو تم ذلك لي وانا حي. فطبع كتاب لكاتب اشبه بولادة طفل مرتقب.

من الطائفة الاولى هناك كتاب «مهد البشرية - الحياة في شرق كردستان» صدرت طبعته الاولى في العام ١٩٧٠ ضمن سلسلة «كتاب التأخي». واعيد طبعه في شيكاغو بالولايات المتحدة في العام ١٩٩٧ وستضع دار ناراس هنا في اربيل طبعته الثالثة بعد ايام في ايدي القراء. وهناك كتاب «كرد وترك وعرب» وكان ضمن سلسلة «التأخي» تم طبعه في ١٩٧٠. واصدرت دار ناراس طبعته الثانية في ١٩٩٩. وكتاب جمهورية «مهاباد» اكملت التعليقات

عليه في بيروت وتولت طبعه هناك «دار الطليعة» في العام ١٩٧٣ واعيد طبعه في اربيل في ١٩٩٩. واخيراً هناك كتاب «طريق في كُردستان» وهو آخر سلسلة كتب «التأخي» وقد طبع في بغداد ١٩٧١ واعادت دار ثاراس طبعه ضمن مجموعة الكتب الستة التي قامت بنشرها لي.

اما المخطوطات فهي كثار. واولها الموسوعة التاريخية العظيمة للمؤرخ «پلوتارخ» (١٣). المعروفة باسم «سير العظماء» وتعد ضمن اهم واشهر كتب عشرة في العالم. تقع المخطوطة في حدود اربعة آلاف صحيفة بخط يدي. وقد زودتها بعد خروجي بشروح وتعليقات ضافية إن هذا الكتاب المرجعي ليس ميسوراً باللغة العربية رغم حاجة الباحثين والمؤرخين والكتاب في بلاد الشرق الادنى اليه مرجعاً لا يستغنى عنه. وكانت فكرة ترجمته والتعليق عليه قد جاءتني عندما اعلنت منظمة اليونسكو عن مشروعها المعروف بمشروع الالف كتاب الذي يقضي بتكليف العلماء والباحثين المعروفين بترجمة الف كتاب هام من اللغات الاوروبية الى اللغة العربية. اشعرت المنظمة في حينه (ربما في العام ١٩٥٧) بنيتي في نقل الكتاب وحصلت الموافقة. الا ان المشروع مات بعد اصدار عدد قليل من الكتب لافتقار المنظمة الى المال. وهكذا وجدني ابدأ فيه وانا في السجن. وكاد يكون كاملاً خلا بعض التعليقات عندما حملته معي الى كوردستان بمناسبة زيارتي في ١٩٩٩. واستودعته السيد نيچيرقان البارزاني خشية الضياع. ان طباعة هذه الموسوعة التاريخية الضخمة في اقليم كوردستان العراقية لو قيض لها ذلك فانها تمثل صحيفة باهرة من النهضة العلمية التي اراها الآن واضحة. كما انه سيسدي خدمة كبيرة للباحثين والمؤرخين العرب وللغة الضاد نفسها. كانت «دار الحياة للنشر» في بيروت قد تعاقدت معي في العام ١٩٧٣ على اصداره باجزاء. الا ان موانع القاهرة تتعلق بأقامتي هناك حالت دون ذلك. وبقيت المخطوطة الوحيدة منه في حوزة الدار عندما ارغمت على ترك لبنان الى غير رجعة فتركته عند الناشر وخيل لي اني فقدته الى الابد ونفضت يدي من جهد كلفني سنوات عديدة. سيما بعد اندلاع الحرب الاهلية. الا انه عاد اليّ كاملاً غير منقوص بعد عشر سنوات وانا في ايران وبظروف ومصادفات اشبه بمعجزة.

هناك ايضاً كتاب «وليم شايرر» الموسوم «قيام وسقوط الرايخ الثالث» الذي يقص قصة النازية وحروبها بتفاصيل لا تجدّها في اي من كتب التاريخ التي الفت عن تلك الفترة المظلمة

(١٣) Plutarkhos (٥٠-١٢٥م) واحد من المؤرخين العظام. ولد في أثينا وعاش في روما وأدركته الوفاة فيها. موسوعته التاريخية الكبيرة (السير المقارنة لمشاهير اليونان والرومان) نزلت في قائمة الآثار الفكرية العظيمة وعُدت من الكتب العشرة الأولى في المنتج العلمي البشري. ألفها باليونانية ونُقلت الى اللاتينية ثم الى معظم اللغات الحية.

من حياة البشرية ويقع في حدود ثلاثة آلاف صحيفة بخط يدي. وقد ترجم الى اكثر من تسعين لغة. كان قد طبع ملخص له في لبنان بحسب علمي. واطنه يعد للطبع هنا الآن من قبل دار تاراس.

ومما نجا من الضياع ترجمتي للمذكرات الشخصية للفنان الايطالي الكبير « بنقنوتو جليليني»^(١٤). من عصر النهضة (الرينيسانس) وهي باجماع مشاهير النقاد والادباء الكبار اشهر مذكرات شخصية في العالم واقدمها -يدونها فنان عظيم الشهرة عن نفسه اثاره الفنية تزين متاحف الغرب الشهيرة- بلغ من قدرها ان مترجمها الى الالمانية لم يكن غير الشاعر والاديب العظيم «غوته»^(١٥). ومخطوطتها تقع في حدود ستمائة صحيفة. وقد انبأني احد الاصدقاء المهتمين ان واحدة من دور النشر في القاهرة تفاوض في نشرها.

كما اني بدأت في كتابة مؤلفي الكبير حول «القومية العربية» هناك وبقيت مواصلاً الكتابة فيه طوال اكثر من اربعين عاماً متتبعاً المسيرة الصعبة لها بين رفع وخفض. وقد تم تسجيل اكثر من (١٢٠٠) صحيفة فيه بالكمبيوتر وانا في دور اعداده للنشر. وقد يتجاوز عدد صفحاته الالفين.

هناك كتب اخرى نقلتها خلال تلك الفترة بعضها ضاع وبعضها موجود. واريد ان اقف عند هذا الحد. وكل ما اخشاه ان يعد القراء ذكر هذا مني تبجحاً ومباهاة. او هو وسيلة للعاية والاعلان عن بضاعة باثرة. فها اني سئلت وهذا جوابي.

س: لكن يبدو من هذا الحجم الكبير انكم كنتم تنعمون بحرية واسعة وربما بامتياز خاص يتيح لكم المجاز كل هذا دون عائق او ربما بتشجيع؟

كلا ابدأً. فلا هذا ولاذاك، كان حالي حال نزلاء السجن الآخرين بدون تمييز. والفرق هو في السياسة العامة التي سارت عليها الحكومات في معاملة ضحايا الثامن من شباط بعد غياب البعث الحاكم عن الصورة. فقد بدأت النفوس الجائشة تنزع الى الاسترخاء. او ربما الملل من

(١٤) Benvenuto Cellini (١٥٠٠-١٥٧٢) من فناني عصر النهضة الإيطالية ولد في فلورنسا. وعاش في روما وباريس وتوفي في فلورنسا. صاحب أشهر مذكرات شخصية في عالم الأدب. وقد أشتهر بها أكثر مما أشتهر بآثاره الفنية. (تمثال برسيوس المعروف في ميدان التماثيل بفلورنسا، وفي اللوفر وغيرها من المتاحف).

(١٥) Johanne Von Goethe (١٧٤٩-١٨٣٢) أحد مشاهير أدباء ألمانيا وعلماؤها وساستها. ولد في فرانكفورت، عُرف برواية فاوست أشهر أعماله طراً. وآلام فارتوهرمن ودروتسييه والديوان الغربي والشرقي، وولهم مايسترو وقد نُقلت جميعاً الى العربية. ومن ترجماته عن الإيطالية مذكرات جليليني المار ذكرها.

الايغال في اشباع احط الغرائز البشرية اذ راحت تخبو بالتدريج نار الاحقاد التي اججها حكم عبدالكريم قاسم. واستوفى اهل الثأرات والمنتقمون حظهم من الدماء التي سالت بعده وقد بلغ طلابها حد التخمّة والشبع من كثرة ماجزروا وعلقوا وزجوا في السجون. ثم حلت فترة اثر ذلك فيها انشغل ورثة الحكم وارياب السياسة عن الضحايا بالاحتراب فيما بينهم على المفاهيم والمبادئ كما زعموا، وقد ملكتهم حمى الاستئثار بالسلطة عن طريق التآمر الخفي المحموم والعلني احياناً - بعضهم ضد بعض-. فترك سجناء العقيدة وضحايا الانظمة لشأنهم وهم في حرز حريز داخل اقفاصهم ينظمون حياتهم ماشاؤا ضمن الحدود التي رسمتها قوانين السجون وربما بالتراخي في تطبيقها. وقد عادت اليها سيطرة موظفين مسلكيين بعيدي النظر خبراء في تقلبات الحظوظ السياسية حريصين على مستقبلهم و«لقمة العيش» - كما يقولون - من خلال تلك الاعاصير الجبارة التي عصفت بمقدرات البلاد. فلکم وجدوا سجيناً خامل الذكر يخرج فوراً ليتبوأ كرسي وزارة. ولكم دخل قائد كبير من المؤسسة العسكرية ليحل محل السجين الاخر؟ هكذا ترى ان الظروف السياسية وحدها كانت العامل في توفير الحرية النسبية التي مكنتني من انجاز كل هذا.

**س: قد يخرج الاستيضاح الثاني عن منهج الحوار الذي تحدد عند بدئه وهو يتعلق
بالكاتب (آرثر كويتسler) وقد قدمتموه للقراء مفكراً مستطار الشهرة. وتمثلتم
بموقف له مماثل لموقفكم في انتظار الموت. يبدو انه غير معروف هنا. هل ترجم
كتابه الذي نوهتم به؟**

وردتني استفسارات مماثلة من قراء اقوالي هذه التي تنشر. في الواقع ان الخروج عن النطاق المرسوم عادة للاجوبة المعدة سلفاً، لامحيص عنه. لاسيما في ذلك الفضاء الواسع الذي وضعت به اسئلتكم الاصلية. وفي نفسي الكثير مما ارغب في القول عن هذا الكاتب الالمعي. وهو من المعاصرين وربما كانت وفاته في الثمانينيات. واسمه مخلد في الموسوعات العلمية الكبرى. كتب كتابه الذي نوهت به وعنوانه الاصيلي (Reflection On Hanging: تأملات في عقوبة الشنق) اثناء انتظار تنفيذ حكم الاعدام به في مدينة (برشلونة) باسبانيا. وكان وقتها مراسلاً لجريدة الديلي ميل (ان لم تخني الذاكرة) اثناء الحرب الاهلية الاسبانية في ١٩٣٧. والاعلام العالمي يتحدث عن مساندة المانيا هتلر وايطاليا موسوليني العسكرية للجنرال فرانكو قائدها. واصر (كويتسler) ان يبقى في المدينة رغم التحذير، لتسجيل دخول القطعات العسكرية الايطالية المدينة فقبض عليه وصدر الحكم بشنقه وبقي طوال تسعين يوماً يسجل

احاسيسه وانفعالاته على ورق لفائف السيكاير التي كان سجانوه يزودونه بها يومياً حارماً نفسه لذة التدخين. الا ان الجمهوريين الذين كانوا يدركون قيمته الفكرية وقَّعوا في انقاده بمبادلتها بطيار فرانكو الخاص الذي اسروه ولا اظن كتابه هذا قد ترجم الى العربية. الا ان شهرة المؤلف استطارت لتجعله في عداد الكتاب الانسانيين العالميين، كانت في كتابه الروائي السياسي الموسوم (Darkness At Noon ظلام في الظهيرة) وهو الذي ترجم الى العربية في لبنان وقد وقعت له بيدي ترجمة فيما بعد. اذ اني اقتنيت الكتاب باصله الانكليزي حال صدوره وقبل سنوات عدة. بعد ان طبع عدة طبعات وترجم الى اكثر من عشرين لغة. وبقي شهراً عدة يحتل المقام الاول في قائمة اصدارات الكتب الشهيرة. اهمية هذا الكتاب الذي الف على شكل رواية تتجلى في اعطاء تفسير مقنع، (بدا صائباً تماماً بعد سنين) لظاهرة الاعترافات التي رافقت المحاكمات الستالينية الشهيرة لرفاقه من قادة الحزب الشيوعي الكبار ومخططي ثورة اكتوبر الاشتراكية خلال الفترة المنحصرة بين ١٩٣٧ و١٩٣٩. وقد ظهوروا في المحاكمات العلنية التي عقدها لهم ليقرأوا على انفسهم طواعية بانهم جواسيس وعملاء لدول عدوة. ومخربون، رجال من امثال (زينوفيف، وكامينيف ويوخارين وراديك)^(١٦). وعشرات غيرهم. ثم ليعدمهم الحياة صفقة واحدة وسط حيرة وانذهال الراي العام العالمي. كانت تمثيلية شيطانية وحيلة انطلت على الصحافيين الاجانب الذين تابعوها وخذعوا بها مثلما انطلت على الدبلوماسيين الذين حضروها. ومما اذكره في هذا الصدد ماجاء في مذكرات اول سفير امريكي الى الاتحاد السوفياتي «جوزف ديفيز» الذي حاول عبثاً ان يتبين في هيئات المتهمين وتصرفاتهم ماينم على تعرضهم الى اي شكل من اشكال التعذيب الجسدي او اي ظاهرة تدل على ان نوعاً من اكراه وضغوط جرت بحقهم وهم يسابقون المدعي العام في طلب انزال اشد العقوبات بأنفسهم.

ثم جاء «كويتسلر» بكتابه هذا ليكشف القناع عن حقيقة هذه المحاكمات الصورية. وفيه التعليل الصائب والجواب الصحيح عن الوسائل التي اعتمدت في حملهم على الاقرار بتلك الذنوب الخيالية. وصعق العالم الحر وذهل المعقبون السياسيون. لهذا الاقرار الروتيني بجريمة

(١٦) يمثل هؤلاء بعض من قُدم للمحاكمة وأعدم. وهم من رفاق لينين وأعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي الذي حقق ثورة أكتوبر. تناوب الثلاثة الأوائل على رئاسة الحكومة السوفياتية. أظهرت محاكمات موسكو مثلاً أن تروتسكي كان عميلاً أجنبياً في عين الوقت الذي كان قائداً للجيش الأحمر وقهر التدخل الأجنبي في الحرب الأهلية. والرجال الذين صنعوا الثورة الروسية جميعاً باستثناء ستالين ومولوتوف، والذين أعدموا، عملاء لدوائر الإستخبارات البريطانية واليابانية والألمانية.

الخيانة العظمى لنظام كانوا بناته والرؤساء. وعملت من كتاب كويتسلر تمثيلية كم أخبرني الدكتور محمد فاضل الجمالي عرضت في واحد من اشهر مسارح نيويورك في برودواي ودام عرضها أشهراً.

واستنتت قوانين صارمة في البلدان الاشتراكية تقضي بانزال العقاب بمن يتداول الكتاب. ثم بدت صحة ما توصل اليه هذا الكاتب بعد خطاب (خروشوف) في مؤتمر الحزب الشيوعي للعام ١٩٥٦ وفيه كشف عن حقيقة الغول البشري ستالين وبدأت الحكومات المتعاقبة في الكرملين تعيد الاعتبار لهؤلاء الذين اعترفوا بجرائم خيالية مؤكدة صحة ما توصل اليه هذا الكاتب العظيم من تفسير.

واعتقد ان في هذا الكفاية من التعريف.

وضعنا مشروعاً للحكم الفدرالي

س: سنتقل الى السؤال ذي الاهمية الخاصة. علمنا انكم كلفتم بين العامين ١٩٧٣ و١٩٧٤ من قيادة الثورة الكوردية باعداد مشروع للفدرالية يقدم الى الحكومة المركزية. اين صار المشروع؟ هل تتذكرون اهم بنوده وقراته؟

ليس بوسعي الاجابة على هذا السؤال بالشكل الذي وضعتموه قبل قيامي بتصحيحه قليلاً وجلاء بعض غموض فيه او بالاحرى محاولة نقله من التعميم الى التخصيص.

فاقول مبدئياً في العام ١٩٧٣ لم يكن هناك حديث قط عن اعداد اي مشروع خاص بالثورة حول الفدرالية او الحكم الذاتي كما لم يكن هناك حديث عن الفدرالية لافي هذه السنة ولا في السنة التي تلت، وهي السنة التي أذنت بختام فترة الاربع سنوات التي حددها بيان الحادي عشر من آذار. وانما كان الامر كله يدور حول شكل الحكم الذاتي المزمع لاقليم كوردستان العراقية. وحول ما اذا كان يتفق مع تطلعات الثورة واماني الشعب الكوردي في العراق. وبكلمة اخرى حول امكانية اتحاد مفهومنا له مع مفهوم الحكومة المركزية مجرد اقوال فحسب. في نظري كان يجب ان نستبق الى اعداد مشروع خاص بنا يحمله اخواننا الذين ذهبوا للمفاوضة فيه. الا انهم في الظاهر كانوا ينتظرون ماستقدمه الحكومة المركزية من مفاهيم. كان هناك وقت مليّ لاعداد شيء من هذا القبيل. ثم، ويعين المنظور الم يكن من حقنا المطالبة بتأليف لجنة مشتركة من الجهتين للصياغة القانونية عندما ازف الوقت؟ ويعين الوتيرة التي جرت مفاوضات العام ١٩٧٠ على وضع بنود اتفاقية آذار؟

كل ما اعرفه في هذا الصدد ان السلطة في بغداد اعدت مشروعها ودفعت بنسخة منه

لوفدنا هناك وفيه معظم اعضاء المكتب السياسي وعضو في اللجنة المركزية وبعض القياديين الاخرين الذين شاركوا في مفاوضات «السلام».

من القياديين الذين تخلفوا الدكتور محمود عثمان. وعنه تسلمت المشروع الحكومي بغية درسه. كما تسلم غيري نسخاً منه. وطلب مني ابداء الرأي فيه. ثم حصل اجتماع صغير في ناوردان وبين الحاضرين الاستاذ المرحوم ابراهيم احمد والمرحوم عمر مصطفى والسيد شفيق القزاز. وبعض اعضاء في اللجنة المركزية.

كان الاستاذ ابراهيم ورفاقه من جماعة جريدة «النور» قد انتقلوا الى حريم الثورة واستقروا هناك حيث المقر العام للثورة والحزب ولست ادري اكان حضوره في تلك الساعة التي جرى خلالها البحث حول المشروع الحكومي بمحض اتفاق وصدفة ام كان بناء على طلب محمود عثمان. واطننا اتفقنا جميعاً على ان المشروع المقدم ليس حكماً ذاتياً وانما هي مجموعة احكام تتضمن طريقة اقامة تشكيلات ادارية محضة منحت سلطات محدودة تحت اشراف الحكومة المركزية المباشر وعلى ان تكون الكلمة النهائية في معظم الامور -ان لم يكن كلها- للسلطة المركزية. كان هذا امراً طبيعياً من وجهة النظر الحكومية. عندما سبق ورفضت رفضاً باتاً اثناء مفاوضات آذار عودة الحياة البرلمانية على اساس الاقتراع العام السري الحر المباشر. وكان مفهوم الحزب دائماً وابدأ بل وفلسفته التي تبلورت خلال ايام القتال العصبية والمفاوضات المتعددة الا يكون هناك حكم ذاتي حقيقي الا بوجود الديمقراطية.

انا شخصياً وجدت هذا المشروع الحكومي اوسع بعض الشيء من قانون الادارة المحلية الساري المفعول لا أكثر، وانه مستمد رأساً من الروح التي املت على حكم البعث اصدار قانون اللامركزية قبل استئناف القتال في تموز ١٩٦٣ الذي رفضته قيادة الثورة جملة وتفصيلاً.

نظراً الى صراحة المطالب التي تضمنها اتفاق مبدئي وافقت عليه حكومة الثامن من شباط وتم نشره في الصحف البغدادية. وفيه حديث صريح عن الانتخابات وتأكيد على نوع الحكم المنشود في الاقليم اي ان يكون برلمانياً وديمقراطياً. وزيد في تأكيد هذا المنحى والاتجاه المبدئي المذكورة التي قدمها زعيم الثورة ملا مصطفى البارزاني لحكومة عبدالسلام محمد عارف المؤرخة في ١١ من تشرين الاول ١٩٦٤. وهي ايضاً تأكيداً للمذكرة التي تقدم بها الحزب بتوقيع البارزاني ايضاً لعبدالكريم قاسم.

لم يكن في المشروع الحكومي شيء يحقق طموحات الشعب الكوردي. ثم ان اتفاقية الحادي عشر من آذار خلت من تحديد المنطقة التي سيشملها الحكم الذاتي وسكتت سكوتاً تاماً عن شكل الحكم الذي سيسود العراق بعد قيام الحكم الذاتي. وقد خلا بيان آذار كما هو معروف

من اي تحديد او تعريف او اسس قانونية لهذا الطراز من الحكم وابقى اصطلاح الحكم الذاتي مطلقاً يحف به الغموض في حين كان ممكناً في رأيي جلاء هذا الغموض على خطوط واضحة اساسية في اثناء المفاوضات التي اختتمت ببيان آذار.

ويخيل لي ان السلطة في العام ١٩٧٤ وجدت نفسها في موقف يختلف عن موقفها في ١٩٧٠. ويخيل لي انها بانفرادها في اعداد مسودة الحكم الذاتي، كانت تريد ان ترسل اشارة محصلها ان وقت التنازلات قد ولى وان الكلمة النهائية من الآن فصاعداً ستكون لها. فقد اتفق ان النسخة (التي احتفظ بها الآن ضمن اوراقى وهي من النسخ الاصلية التي وزعت على الوفد) كانت تحمل اصلاحات واقتراحات طفيفة على بعض مواد المشروع مدونة بالحبر الاخضر لواحد من اعضاء الوفد وهي لا تعدو بعض التعديلات الشكلية. أو هي بالاحرى من قبيل الجراحة التجميلية التي لا تخل مطلقاً بالبناء الاصيل للمشروع الحكومي. الا ان السلطة رفضتها هي الأخرى رفضتها رفضاً باتاً وهو موطن العجب. ونحن الذين اجتمعنا لدراسة المشروع الحكومي اتفقنا على انه لايمثل ادنى حد لمطلبنا وانه غير مقبول بحالته هذه وليس من شأنه ان يحقق اهدافنا وقد اكد لنا الشيخ المرحوم (محمد هرسين) ان السيد البارزاني استنكره واعتبره اهانة مقصودة لفضالنا فارتوتني ان تتألف منا لجنة مختصة تقوم بصياغة مشروع مقابل يتضمن مفاهيمنا وما نرغب في ان يكون شكل الحكم الذاتي لكرديستان العراق.

لا ادري كم كان عددنا بالضبط. فالى جانب الاستاذين المرحومين ابراهيم احمد وعمر مصطفى وانا. كان معنا السيد شفيق القزاز وهو ليس بغريب عن الموضوع نظراً لدرجته العلمية. الى جانب مستشارين آخرين لا تذكر اسماءهم منهم المرحوم الشيخ محمد هرسين عضو اللجنة المركزية. وما اتخظه ان دليلنا المرجعي كان القانون الاساسي العراقي الصادر في العام ١٩٢٥ الذي وضع في حينه على اسس ديمقراطية سليمة ووفق احدث نظريات الحكم الدستوري البرلماني. بالنسبة اليانا كان هذا القانون يخدم غرضين. انك لاتستطيع ان تستن قانوناً للحكم الذاتي من دون وجود قانون اساسي او دستور تشمل احكامه البلاد كافة. فكان واجباً علينا ان نستخدمه بمثابة "قانون ظل" وان نبني عليه احكام الحكم الذاتي بالاشارة اليه حيثما دعا الامر الى ذلك. ومن جهة اخرى اعتمدناه لتحقيق الانسجام المبدئي مع ما سنتوصل اليه. وكان السيد شفيق الذي اضطلع بمهمة مقرر للجنة يسجل المادة المقترحة ثم يجري النقاش حولها فتعدل او تستبدل. او يجري فيها اصلاح بحذف او زيادة ثم يجرى تثبيتها. وقد استغرق عملنا زهاء اسبوع. وكان من المقرر ان تتلى مواده من دار الاذاعة عندنا في حالة وصول المفاوضات في بغداد الى طريق مسدود.

مازلت احتفظ بين اوراقى بنسخة من المشروع الذي اعددناه. وقد كمل في مائة وخمسة

وثلاثين مادة. او ربما مائة وثلاث عشرة ان لم تخني الذاكرة. وهو مشروع كامل مبيت على اسس ديمقراطية سليمة. بتوقع حياة برلمانية كما اسلفت. فهو والحالة هذه صرخة بعيدة عما تنويه السلطة او ما تتفهمه من الحكم الذاتي بل عما تجري المفاوضة والاخذ والرد حوله بين ممثلينا ورجال الحكم القائم. ونظراً الى ترددي الاوضاع بيننا وبين بغداد وانتقالها من السيء الى الاسوء باطراد المؤامرات والاعتداءات. وأصدقك القول اننا كنا حين وضعنا صيغتنا هذه للحكم الذاتي أشبهه بالحالمين. او بمن يتوقع بيضة من الديك. فالرفاق في بغداد كما تسرب اليها، كانوا يعملون لتفادي القتال بايجاد اصغر ارضية يمكن الافادة منها للتوفيق بين مطالب الثورة وتصلب السلطة في املاء ارادتها حول شكل الحكم الذاتي، والسلطة متصلبة لاتريد ان تنزل عن اي مطلب يقدمه الوفد. او تغيير يقترحه فيه.

واريد ان اقول لك بصراحة. اني لا استطيع مطلقاً ان افيدك علماً بالمراحل التي اجتازتها تلك المفاوضات. فالغموض يكتنفها ولم ينشر شيء عنها بحسب علمي حتى الآن. وجل ما اعرفه في هذا الصدد. ان البارزاني بعث بنجله الفقيه ادريس الى العاصمة بمحاولة اخيرة. لتمديد الاجل الانذاري الذي رسمته السلطة بالقبول بالمشروع وال...

وكانت السلطة بغياب ممثلي الثورة الذين غادروا بغداد ساخطين قد قامت بتوجيه الدعوة او بالاحرى باستدعاء اكبر عدد من الكرد القاطنين في العاصمة وخلافها وعقدت بهم ما يشبه اجتماعاً او مؤتمراً طرحت فيه المشروع الحكومي المرفوض وبنصه من دون تعديل وطلب منهم الموافقة فلم يتخلف احد كما ذكرت الصحف في حينه وقد اعتبر ذلك قبولاً به من الشعب الكردي.

س: ماذا تم من المشروع الذي اعدتموه؟

لا أدري، كنا قد قدمناه بعد الفراغ منه. لكن ارتوئي عدم نشره او اذاعته كما كان متوقعاً. ربما كان السبب اصرار البارزاني على الامساك بأخر خيط والترحيب بأي محاولة قد تؤدي الى تفادي القتال. والاقدام على مثل هذا العمل قد يعقد من الامور.

لا اريد الاسترسال في الحديث عما لا اعرف منه الكثير. واعود الى اصل سؤالك حول مشروع ثان للحكم الذاتي وهو ما سميت به بالفدرالي. لا أذكر مبدأ الفكرة ومن اين نبعت بالضبط. كان ذلك بعد تجدد القتال بزمن. ولست ادري من نقل اليّ رغبة البارزاني او القيادة. اذ كنت اذ ذاك في حاجي عمران وكل ما يعلق الآن بذهني انه ارتوئي في مبداء الامر تشكيل لجنة. ولا يخطر ببالي اسم احد من اعضائها لاني لم اشهد احداً منهم يتصل بي او يحضر اجتماعاً لها. وسرعان ما وجدتنني وحدي. وترك الامر لي فانجزت مسودة. وكنت في

سبيل اكمال ضرب السطور الاخيرة على الآلة الكاتبة عندما جاءني السيد (عبدالمهيمن ابن الشيخ سليمان البارزاني) مبعوثاً من قبل الرئيس البارزاني. قال انه مرسل من قبله وانه يريد المشروع حالياً. فاستمهلته دقائق حتى فرغت وسلمته المشروع برتمته فانطلق به سريعاً. كان ذلك ان ساعفتني الذاكرة قبل النهاية بشهرين تقريباً. ولم التق بالسيد البارزاني بعدها الا في المنفى. ولدي ايضاً نسخة من المشروع.

**س: أيمن ان تلقوا ضوءاً على الدواعي والاسباب التي ادت الى اعداد مشروع ثانٍ؟
ثم ايكون بالامكان ان ترسموا لنا صورة تقريبية للمباديء والاسس التي
اتخذوها مع بيان الفروق بين المشروعين قدر ما تعيه الذاكرة. هل كان ثم ما
يصل المشروع بالنظام الفدرالي الذي يسود اليوم اقليم كردستان؟**

ليس بوسعي تزويدك بأي معلومات حول الدواعي والاسباب عن ثقة واطلاع. وكل ما عرفته انها كانت ارادة ورغبة من قائد الثورة. او هكذا أنهيت لي. وفي تلك الايام كان ارتباطي به وبنجليه الكريمين فحسب، واما بخصوص الملامح العامة للمشروع ومقدار ارتباطه بما يطلق عليه الان مصطلح «الفدرالية». فأرى هنا ان بعض التفصيل واجب.

في خلال الفترة التي قضيتها ببغداد مسؤولاً عن «التأخي». بادرت وكأن هاتفاً يهيب بي ويحتثني الى اقتناء وجمع ما يمكنني جمعه من نماذج لقوانين فدرالية وانظمة ذات دساتير ثنائية الحكم فضلاً عما كان لدي منها في مكتبتي الخاصة. وقد حملتها معي كافة الى كردستان في اواخر العام ١٩٧٢ بعد خروجي من معتقل قصر النهاية الذي زججت فيه اثر محاولة اغتيال السيد البارزاني الشهيرة «بمؤامرة العلماء». وهو ما فصلته في كتابي «زيارة للماضي القريب»، من جملة ما حملته مجموعة ضخمة انتظمها مجلد واحد لحوالي ثلاثين دستوراً وقانوناً أساسياً، عربياً وغير عربي. الى جانب نسخة من دستور الولايات المتحدة الفدرالي مع تعديلاته واهم من كل هذه طُراً، القانون الفدرالي الهندي بشروحه وتعديلاته، كنت قد طلبته في حينه من الملحق الثقافي الهندي في بغداد. لم يكن يدور في خلدي اني سأحتاج الى استشارة هذه القوانين في اي ظرف او على اي احتمال.

بصورة خاصة احتل دستور جمهورية الهند المكانة الرئيسية في عملي الاخير. ربما لكونه احدث الدساتير في حينه من بين تلك التي تبنت شكلاً متقدماً جداً من الحكم الذاتي. قد يرقى الى ما نطلق عليه مصطلح الفدرالية.

س: افهم من هذا انكم لاتفرقون كثيراً بين ما ندعوه بالحكم الذاتي وما نمارسه الآن من

الفدرالية في اقليم كردستان. لعلمكم توافقونني على ضرورة بيان وجهة نظركم. خصوصاً وقد بدأت سؤالي متسرعاً -على ما تبين لي- باستخدام لفظة الفدرالية. وكان الجواب يتعلق بمشروعين للحكم الذاتي فحسب؟

كثيراً ما يتخلف عن التسميات مشاكل، سيما اذا تقرر التسمية قبل ولادة المسمى وهناك مثل سائر وعلى السنة رجال القانون خصوصاً وهو "ليس هناك سحر في الالفاظ" والاصل هو في التطبيق والامتحان العملي. وفي موضوع ثنائية الحكم في القطر الواحد لدينا عدد من المصطلحات وكلها يؤدي الى معنى عام واحد وقد ترجمناه نحن "بالحكم الذاتي" والفدرالية او "الاتحاد الفدرالي" كما اردناه هو ينضوي ايضاً تحت واحد من هذه المصطلحات التي كادت تكون مترادفة بالمفهوم العمومي

Home Rule, Autonomi, Self Government, Self Rule, Federal Government, Federation

ولا يبرز الاختلاف الا عند توزيع السلطة في القانون الموضوع. والتوزيع لا حدود له ولا ضابط الا الاتفاق عليه. ويتم اطلاق الاسم المختار بحسب الامزجة. مثل حالنا مع اولئك الذين يرون ان يطلقوا على تغيير عنيف فجائي في اسس الحكم اسم «الثورة» في حين لا يرى الآخرون فيه ما يستحق من نعت غير اسم «انقلاب».

وعملية توزيع السلطة بين الحكومة المركزية وحكومة الاقليم او الاقاليم هي عملية معقدة جداً لا تتم بوضع صياغة قانونية له بل بامتحان تلك الصياغة في ميدان التطبيق العملي وهو ما يطلق عليه «تنازع الاختصاص».

انه لاسهل عليك ان تضع نصب عينك عند استئان قانون فدرالي او اوتونومي مباديء اساسية لامحيص عنها: نظام برلماني مبنتى على التعددية والاقتراع العام الحر المتساوي السري. مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث. بمختصر القول الارادة الشعبية بكل مظاهرها. ثم باستبعاد تلك السلطات التي لا يمكن تجزئتها من دون الإخلال بالوحدة الوطنية وسيادة الدولة. وهي كما تم الاجماع عليه: شؤون الدفاع والجيش، والامور الخارجية. والمالية العامة وما يتعلق بها كديوان الضرب. ومصالح البريد والمواصلات الخارجية. بل حتى بعض هذه المؤسسات قد تكون احياناً عرضة للمقاسمة او تفضي الى منازعة في مدى ممارسة السلطة. ولهذا فأنت لا تجد نظاماً ثنائياً واحداً -أكان فدرالياً او اتونومياً- يشبه الآخر او يطابقه مبنى ومعنى في عالمنا هذا الذي يحفل باكثر من ثمانين دولة ذات نظام ثنائي الصبغة. قد تكون ثم ملامح مشتركة احياناً الا ان القوام يختلف باختلاف الظروف السياسية، والوضع الاجتماعي والخصوصيات القومية وكثير من العوامل الاخرى واريد ان اقدم مثلاً تاريخياً للقراء يجسم

تلك الصعوبة النظرية: كان المؤتمر الهندي بزعامة مهاتما غاندي في الثلاثينيات يطالب بشيء أطلق عليه بالهندية Swarag وهو مرادف للحكم الذاتي او قريب منه. وكان ونستون چرچل وزير المستعمرات اذ ذاك يبدي دهشته من عجز غاندي وهو القانوني الشهير خريج معهد المحاماة البريطاني Inner Center Bar عن تقديم مخطط كامل مفهوم لما يقصد به وهي عين الشكوى التي وجدناها عند اللورد رايدنگ نائب الملك في الهند. وهو ايضاً رجل قانون. ففي رسالة لهذا السياسي الى ابنه ذكر له «انه لم يفلح خلال ست جلسات له مع غاندي في ان يفهم منه قصده بالحكم الذاتي Swarag الذي كان يطلبه للهند. لا لأنه يتعمد الغموض. بل لانه لم يكن هو نفسه يستطيع تحديده». وسأتوخى التبسيط فافترض مقياساً طويلاً بقدر المتر الواحد، فبكل اجزائه المترية الظاهرة للعين التي تعد بألف ملم، يمكنك انه تحصل على انماط واشكال من الحكم الثنائي ضمن الدولة الواحدة يبدأ بلا مركزية تكاد لا تبين وتنتهي بما عرف سياسياً وتاريخياً بالكونفدرالية ونحن الذين اجتمعنا لوضع مشروع للحكم الذاتي او انا الذي انفردت بوضع المشروع الثاني ما كان يدور في خلد احد منا، ان نخرج باساس متكامل يصلح للمناقشة القانونية ليدخل ميدان التطبيق. ففي الاول كان الغرض التحدي واطهار الاستقلالية في حقنا بابداء رأينا بامر يتعلق بمستقبل شعبنا. وفي الثاني ربما كان لوجود رغبة جدية في تطبيق المشروع على الادارات والمؤسسات التي انبثقت في كردستان بعد استئناف القتال. بل قد يكون من اجل اطلاع جهات دولية على مفهومنا للحكم الذاتي تحديداً وضمن اطر قانونية؟ بمختصر القول اني لا استطيع الاجابة بشكل جازم عن البواعث والاسباب. فقد كلفت بعمل وحاولت انجازها بخير ما امكنني.

س: قد تتذكرون شيئاً عن المشروع الذي انجزتموه بمفردكم خصوصاً حول ما اذا كانت هناك ميزة فضل بها على المشروع الاوّل؟

الموضوع ليس موضوع امتياز مشروع على آخر. فقد كانت لكل ظروفه ودواعيه كما اسلفت. كل ما يتسنى لي قوله في هذا الشأن هو توفر المراجع والوقت الكافي لا يلاء موضوع الصلاحيات اهتماماً خاصاً ويغلب على ظني انها بدت في المشروع الاخير اعمق واوسع الى حد القول انها تعدت مجرد فكرة الحكم الذاتي التي سادت اجواء مناقشاتنا واقتراحاتنا وصياغاتها في لجنة آذار ١٩٧٤ لتقترب مما يمكن ادراجه في حريم نوع مخفف من الاتحاد الفدرالي.

وهذا غاية ما يمكنني قوله. وانا لا املك الآن نسخة من المشروعين لتتيح لي المقابلة

والمضاهاة على اغلب ظني ان السيد مسعود البارزاني يحتفظ بنسخة من هذين المشروعين لانه حريص على جمع واقتناء وحفظ كل الوثائق المتعلقة بالثورة.

اريد ان اختم اجابتي عن هذا السؤال. بالتساؤل عما يحدو بحكومة الاقليم وبالسلطة الاشتراعية بالتحديد، الى التفكير جدياً باستئان قانون للمفهوم الفدرالي الذي تبنته. وها هي ذي وقد قطعت قرابة سبع سنوات وهي تمارسه عملاً، وقد كسبت قطاعاتها المختلفة خبرة وتبصرة بمواطن العثار والنجاح؟ عندما قمنا بصياغة المشروعين الماري الذكر لم يكن لدينا دستور للدولة نستند اليه. بل تصورنا دستوراً ومضينا. فما ضرنا الآن لو نسجنا على هذا المنوال في صياغة قانون مشابه؟ لا ادري هل هناك محذور دولي يمنع ذلك؟ انه سيبقى قانوناً مؤقتاً حتى تنقش الغيوم من سماء البلاد، ويصار الى دستور ديمقراطي لها تتمثل فيه ثنائية الحكم بقانون مدروس يحقق امانى شعبنا.

حول تكريم جمال عبدالناصر

س: كانت دوائر معينة هنا قبل فترة قد قررت تكريم عدد من الشخصيات العربية تميزت بمواقف مشهودة من القضية الكوردية. وهم جمال عبدالناصر وكامل الجادرچي وعزيز شريف والسيد محسن الحكيم ومحمد مهدي الجواهري. فهل بإمكانكم توضيح مواقفهم التي يجهلها هذا الجيل من ابنا شعبنا. ولنبداً الآن بالرئيس جمال عبدالناصر. كيف تقوّمون موقفه؟ بماذا تدين له القضية الكوردية. ماقولكم بفكرة تكريمه في ارضنا ووطننا؟

يضعني السؤال في موقف شبيهه بذلك الموقف العصيب الذي وضعتني فيه ساعة وفاته وقبل ثلاثين عاماً ونيف، وانا اتولى رئاسة تحرير «التأخي» في بغداد وقد استأنفنا اصدارها بعد بيان الحادي عشر من آذار. وقد ارتأت قيادة الثورة ان لا نمر بهذا الحدث كما كانت ستمر به السلطة المركزية واعلامها بسبب البرود الذي كاد يكون قطيعة بينها وبين نظام عبدالناصر في ذلك الحين. وافر بأنها كانت فكرة من القيادة جيدة لانها كانت تخدم اولاً علاقتنا الخاصة بمصر وحكامها، ولانها ثانياً وهو الالم في رأبي تؤكد لدى الشعب العراقي استقلالية الثورة الكوردية في سياستها ورأيها بعيداً عن تأثير السلطة القائمة. وكان عليّ ان اكتب مقالاً رئيساً بهذه المناسبة. ما امسكت القلم حتى وجدتني اواجه ازمة فكرية حادة. ها اني مقبل على تأبين رجل دفعه طموحه وخياله الجامح الى محاولة بناء وطن عربي كبير يضم كل صقع اتخذ اللغة العربية له لساناً ليقوم هو على رأسه وفي سبيله الصعب هذا خلف في الضمير

العراقي جراحاً تعذر اندمالها وبحصيلة تتمثل في مئات اثر مئات من الضحايا صرعوا في قتال يشوارع في مدينة آمنة او اعتلوا صقالات المشانق او صقوا صفوفاً امام فرق الاعدام. تلك الفتنة التي اثارها هذا الرجل بمحاولة الشواف الانقلابية، التي تصدى لها حزينا الديمقراطى الكوردستاني وارسل اعضاءه وانصاره المسلحين للمعاونة على اخمادها وكنت كما نوهت في حلقة سابقة واحداً ممن ابتسم لهم الحظ بين المئات الذين دفعوا حياتهم ثمناً لها. وخرجت باقل الجزاء.

هذا هو الموقف الذي وقفته ساعة ماتعين علي الكتابة ولكن الواجب قبل العاطفة. وفي السياسة لامكان للنوازع والاحاسيس الخاصة.

كانت صورة الرجل انذاك تحتفظ ببعض رصيد ورونق بل بكثير منه فما زال يبدو للعالم ذاك البطل القومي الذي صرع الملكية الفاسدة وقضى على الاقطاع بثورة يوليو واعاد الى مصر قنالتها الى جانب العزة والكرامة التي افتقدتها قرونًا واجيالاً. فكتبت ما عن لي عن هذا الرجل الذي حاول بارادته واساليبيه الخاصة وباحتقار واضح لكل القيم الانسانية من كبت للحريات ومصادرة لحقوق الفرد تحقيق المجتمع الافضل للفرد ورفعته من ذلة وخصاصة الى حياة كريمة مرفهة فأخطأه السبيل. ووقفت هنا واخذت التمس العذر المقتضى في هذه المناسبة لفشله وجئت بالفكرة التي جعلت للمقال قيمته وامتيازه وهي ان مقياس شهرة السياسيين او الرجال الذين يصنعون التاريخ لاتكون بمقدار ما اصابوا من نجاح او ماقصروا دونه او اخطأوه من مرام واهداف. وكم في بطون التاريخ اسماء لامعة لرجال سيف وسياسة خصصت لهم فيه ساحات اوسع بكثير من آخرين كانوا السبب في احباط مشاريع اولئك او تحقيق اللغلبة عليهم في سوح القتال.

واخترت للمقال عنوان «عبدالناصر حياً وميتاً» وبعثت به للطبع بقلب واجف خشية ان تفتضح الحقيقة في تأبيني.

في ذلك الحين كانت السفارة المصرية في شبه حصار، والداخل والخارج يتعرض للاستجواب والتعقيب لكنني استقبلت في مكنتبي بعد يومين رئيس البعثة الدبلوماسية المصرية مع معاونيه. وقد اقبل يشكر موقفنا الجريء وعواطفنا الصادقة باسم حكومته. بطبيعة الحال لم يكن المقال مذيلاً باسمي. ويخطر ببالي من الاثرالذي أحدثه ان السيد مسعود البارزاني اخبرني اثناء لقاء بعد هذا ان (محمد حسنين هيكل) وهو يستعرض ماكتب بحق عبدالناصر، نوه بصورة خاصة بما كتب في (التأخي) واعتبره خيراً ماكتب في هذا الباب. ولم انج من تبعات المقال طبعاً اذ كان واحداً من الذنوب التي حملت السلطة على اختطافي في عرض الشارع بعد محاولة اغتيال السيد البارزاني الشهيرة مباشرة. وهكذا ترى يأتيني الاذى منه

حياً وميتاً! وتأتي انت الآن بعد ثلاثين عاماً لتطلب رأيي في تكريمه. كأن لم يكن ما كتبت في حينه كافياً؟

ان تكريم مشاهير الرجال يتأتى في نظري من احد امرين اما سعياً وراء حُظوة، او جراً لمغرم سياسي او غيره، او ابتغاء ذبوع صيت، وكسب شهرة. واما بدافع من وفاء او اعتراف بالجميل، لقاء فضل او منة خالصة من القلب ولوجه الله كما يقولون. ولا مواربة في ان الباعث الى فكرة تكريم عبدالناصر هنا هو بسبب ما عزي اليه من مساندة للقضية الكوردية في العراق كما ذكرت في سؤالك. بالاحرى لمواقف معينة وقفها ازاء الثورة الكوردية وتطلعاتها حسبت له مكرمة ودينا في عنق الشعب الكوردي واجب الاداء.

وانا لا استطيع في جوابي حول احقية هذا القائد السياسي بالتكريم من هذه الناحية دون التطرق الى ناحية رد الفعل الذي سيخلفه هذا في اوساط واسعة سياسية وحكومية. ومحافل ذات خطورة لرجال الفكر والقلم. بل في فضاء رحيب للرأي العام في البلاد الناطقة بالعربية- على ضوء الآثار العميقة التي خلفتها سياساته وطموحاته في تاريخ هذه الاقطار- فعلى اولئك الذين يروجون لفكرة التكريم. اقناع هذه الاوساط الواسعة بان ما يفعلونه حسناً وانهم سيجدون من عملهم هذا تجاوباً ولا اقول رضاً او تشجيعاً لاسيما في مصر نفسها والحكومة والشعب هناك يكرهان الآن أن يذكرهما أحد بفترة حكمه.

ولأبدأ في تقدير ما يدين الشعب الكوردي وقضيته له. وبهذه المناسبة تعطى اهمية خاصة، بل ركنا مركزياً حول حسن استقبال الزعيم المصري السيد البارزاني وهو في طريق العودة الى الوطن من المنفى والتعامل مع الصورة التي التقطت للثنتين تعامل الايقونات المقدسة حتى ليبدو وكأن الزعيم المصري متفضلاً على البارزاني وعلينا. وهي نظرة سطحية مبعثها ذلك الشعور الحاد بالنقص الذي يستولي على طائفة كبيرة من مثقفينا والمثغلين منا بالقضايا الوطنية والعامة، فنحسب كل ايماء عطف او ابتسامه او حفاوة نلقاها من غريب، فضلاً كبيراً وديناً يجب ان يدفع عنه مقابل. ولو تفضلت معي في جولة قصيرة للاحداث التي سبقت هذه فلربما استطعت أن تتوصل الى جواب صحيح عن هذا السؤال من تشرف بمن؟ البارزاني الذي شرف باللقاء مع عبدالناصر؟ ام ان عبدالناصر الذي تشرف باللقاء البارزاني؟ ومن كان المستفيد من اللقاء على الصعيد السياسي؟ البارزاني ام عبدالناصر؟

في العام ١٩٤٣ كانت انباء الانتفاضة الوطنية التي قادها ملا مصطفى بتأييد الاحزاب السرية الكوردية يحظى باهتمام وكالات الانباء العالمية رغم غلبة انباء وقائع الحرب العالمية. وفي مصر بصورة خاصة. صدرت كراريس وكتب حول النضال الكوردي، ولمع اسم هذا الزعيم الكوردي بشكل مفاجئ، حمل بعض الاقلام الشهيرة في مصر على تناول القضية الكوردية بعمق. وهو ما ساعترض له بعد قليل. وفي العام ١٩٤٥ و١٩٤٦ و١٩٤٧ لم يعد اسم

البارزاني مجهولاً في الوسط السياسي، وفي صالونات صانعي القرارات المصيرية في العالم سيما بعد المسيرة الكبرى التي قادها بنجاح منقطع النظير خلال قوات ثلاث دول اطبقت عليه.

وفي العام ١٩٥٨ وهو موعد عودته الى العراق بدأ زعيم قومه الذي لا ينازع فيه -من خلال تلك التقارير التي كان عبدالناصر يتلقاها من العقيد (عبدالمجيد فريد) الملحق العسكري لسفارة الجمهورية العربية المتحدة (سنرمز لها فيما بعد بالاحرف الاول الثلاثة من اسمها (ج ع م)- ملاحظة المحرر: ومدى الاستعداد الذي يتهيأ له قومه لاستقباله بعد غياب اثني عشر عاماً تقريباً. لم يكن عبدالناصر قليل

فطنة ليدع فرصة مصافحة زعيم كهذا تفوته ولا ان يدع سبيلاً كهذا للتقرب من شعب سيكون عما قريب جزءاً من امبراطوريته بعد ضم العراق، هذا الرجل قضى اثنتي عشرة سنة منفصلاً تماماً عن ابناء وطنه فلم تنل السنوات الطوال من شعبيته بل زادت عمقاً وتعبيراً وكاد يكون الوحيد بين القادة من هذا الصنف فلطالما قضت السجون والمنافي على



عبدالناصر والبارزاني

شعبية قادة كثيرين. واني بهذه المناسبة اذكر موقف اثنين من ضباط

الصف الكورد في الجيش العراقي ايام كنت مدعياً عاماً عسكرياً في العام ١٩٤٧. وقد سبقا متهمين امامي بسبب العثور على صورة ملا مصطفى لديهما.

في ذلك الحين بدأ لعبدالناصر ولكثير من المراقبين السياسيين ان مسألة ضم العراق الى (ج ع م) هي مسألة وقت ليس الا -او هكذا كانت وسائل الاعلام تروج له قبل سقوط عبدالسلام محمد عارف- فالمنطق والسياسة العملية كانت تدفع عبدالناصر الى الاحتفاء بهذا الزعيم الطبيعي لا للمليونين ونصف مليون كوردي عراقي بل على صعيد كوردستان المجزأة وبتقويم هذه المعطيات لاخالك عاجزاً عن الاستنتاج بان الرئيس المصري كان احوج الى انشاء هذه الرابطة مع الزعيم الكوردي لأن فيها-على المدى القصير او الطويل - مصلحة سياسية وكسب لايتوانى شخص مثله عن اطلابه سيما وانه لا يكلفه اكثر من ضيافة وصورة.

وكل مواقف عبدالناصر التي تلت ازاء القضية الكوردية حتى ختام حياته كانت مواقف

املتها عليه مصلحته السياسية الآنية يعينها بالدرجة الاولى نوع علاقته بحكام بغداد المتعاقبين. وكانت دوماً عرضة للتقلب وليس فيها شيء يمت الى مثل عليا يملكها هذا الرجل او عقيدة شخصية ثابتة.

والحظ هنا يسعدني اذ اجد لذاكرتي نصيراً من فصول للكتاب الذي اقوم باعداده حول القومية العربية جنّت به معي، وساقتنص منه النصوص التي لامناس من اثباتها هنا. فاقول اولاً. حاولت جهدي سنوات اثر سنوات من التعقيب لاجد لعبدالناصر تصريحاً ملزماً عن القضية الكوردية وعن مستقبل النضال الكوردي في اطار رأيه، فلم اجد افضل من هذا التصريح الغريب الذي نقلته وسائل الاعلام القاهرية اثر لقائه بملا مصطفى:

«من حق الكورد التمتع بحقوقهم المشروعة ضمن اطار الدولة العراقية، وتبعاً ضمن اطار الوحدة العربية الاوسع. ذلك لان للعرب عدواً خطيراً واحداً يهدد مستقبلهم وامنهم ومصادر ثروتهم وهو اسرائيل وان عليهم ان يوجهوا قواهم العسكرية ومواردهم الاقتصادية كافة لدرء هذا الخطر». ثم نشرت له جريدة لوموند الفرنسية في كانون الاول ١٩٦٣ قولاً مشابهاً اراد به ان يغمز قناة عبدالكريم قاسم خصمه، فقال «ان الحرب الكوردية القائمة اليوم في جزء من الوطن العربي، انما هي اضعاف للجبهة ضد اسرائيل». فترى عبدالناصر هنا يعتبر كردستان جزءاً من الوطن العربي.

ثم وفي اوائل العام ١٩٥٩، رأت العلاقات بين (ج.ع.م) وبين الاتحاد السوفياتي تردياً مطرداً. وراح خروشچوف وعبدالناصر يتبادلان التهم والعبارات الجارحة في الرسائل والخطب العامة. واتفق انه وصل في السادس عشر من نيسان اللاجئون الكورد من الاتحاد السوفياتي مع اسرهم وهؤلاء هم الذين صحبوا الزعيم الكوردي الى المنفى. وعندها وكجزء من الحملة الاعلامية بين عبدالناصر وموسكو بدأ راديو القاهرة هجوماً كاسحاً مستهدفاً هؤلاء القادمين: وهذا هو كما سجلته في حينه:

«هؤلاء الكورد السوفيات (!!) الثمانمائة الذين وصلوا العراق، بكامل اسلحتهم (!) وعدتهم الحربية والمدربين على حرب الانصار، هم الان في طريقهم للانضمام الى قاسم وحلفائه الشيوعيين، للتصدي للقومية العربية وعلان الحرب في سبيل القضاء على عروبة العراق وابعاده عن اشقائه العرب».

وفي صباح يوم ٩ آذار اصدر البارزاني نداءً لاعضاء وانصار الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالانحدار الى الموصل «دفاعاً عن انفسهم ضد التعصب القومي العربي» هكذا ورد في النداء. وكان من آثار ذلك النداء حملة شعواء من صحافة (ج ع م) ووسائل اعلامها حفلت بأقذع السباب والشتائم ضد الزعيم الكوردي وحزبه وانصاره يخجلني حقا ايراد بعضها

التي انجزها الزعيم المصري.

ما اظنك تريد ان تعزو لنوري السعيد هذه القدرة في التأثير على سياسة دولتين عظيمين كانجلترا وفرنسا ولا على اسرائيل و هي ثالثة دول العدوان، في ١٩٥٦. اخطاء هذا الرجل في معالجة شؤون الوطن وفي سياسة الشرق الادنى والاطوسط كثيرة، وهي ليست بحاجة الى مثل هذه الاكذوبة. فلماذا نزيدها بها؟ المصدر الاوحد لهذه المقولة كما يغلب على ظني هو (محمد حسنين هيكل) هذا الصحافي الناجح جداً ذو المقدرة التي لا تبارى على اختراع القصص المثيرة والوقائع السياسية الخيالية. وقد جئت بنماذج منها في الجزء الثاني من (العراق في عهد قاسم). اريد التأكيد مرة اخرى انا لست في موقف الدفاع عن الرجل بل التقويم. واخطاؤه كثيرة ولا حاجة هناك الى الزيادة فيها وربما قالها في معرض حماسة وأنا لا أستطيع أن أنفي أو أثبت أقوالاً قابلة للزيادة والنقصان، عفواً وكانت الحكومة البريطانية بحاجة الى تشجيع نوري عند إتخاذها قرار الغزو.

في نظري وبعد انقشاع غيوم الحرب الباردة، وانكشاف السياسات العالمية خلال تلك الفترة التي ختمت بانهياء النظام السوفيياتي وبالثورة الديمقراطية التي عمّت البلاد الاشتراكية الدائرة في فلكه وتهافتت تلك الدول على الدخول في حلف الاطلسي بعد ان كانت تناصبه العداً يبدو المؤرخ من الغباء والسخف بمكان ان يفضل حلف وارشو مثلاً على حلف السننتو او ما يدعى بحلف بغداد. بل الارتفاع بحلف وارشو^(٢٥). والتسامي به على الاحلاف الغربية

(٢٥) منظمة حلف وارشو. هي حلف دفاعي متبادل بالأصل دعا الإتحاد السوفيياتي الى عقده وتم ذلك في ١٤ أيار ١٩٥٥ بمدينة وارشو. وتآلف من ألمانيا الديمقراطية، وچيكوسلوفاكيا، وألبانيا وهنغاريا وپولندا ورومانيا أعضاء. وكان جواباً على حلف الأطلنطي وكلاهما من مظاهر الحرب الباردة. تم نصب قيادة عامة عسكرية للحلف مقرها في موسكو. ونص على إبقاء قواعد عسكرية للإتحاد السوفيياتي في هذه البلدان وجيوشها بمواجهة حلف الناتو في أوروبا. وضمن الحلف للإتحاد السوفيياتي مما ضمن مركزاً للمساومات والأخذ والعطاء الدبلوماسيين. إلا أن المتتبع لمسيرة هذا الحلف ونشاطه الفعلي يجد وهنا وجه الغرابة، أن الإتحاد السوفييتي لم يستخدمه في عملية مواجهة فعلية مع الغرب وإنما استخدم قوات الحلف لسحق الإنتفاضات الديمقراطية ضد سلطة الأحزاب الشيوعية الحاكمة في تلك البلاد. ففي آب ١٩٦٨ استخدمت الحكومة السوفيياتية قوات حلف وارشو من پولندا لقمع ثورة چيكوسلوفاكيا الشعبية العارمة. وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٥٦ سُيرت قوات حلف وارشو لقمع حركة الإصلاح الديمقراطية بقيادة (إيمري ناجي) وهي حركة الطلاب والعمال والجيش في هنغاريا وأعلن (ناجي) إنسحابه من حلف وارشو وطلب من الأمم المتحدة الاعتراف بهنغاريا كدولة محايدة، ثم بادر الى تأليف حكومة إنتلافية من أحزاب الديمقراطيين الإشتراكيين والملاكين الصغار والفلاحين الوطنيين. وفي ٣-٤ تشرين الثاني دخلت الدبابات السوفييتية التابعة لحلف وارشو العاصمة بودابست وقضت على الثورة بمعارك دموية سقط فيها مئات القتلى وآلاف من المجرى وهرب ناجي =

المماثلة والمضادة فواحدها كان يريد تطويق الاخر وتغليب سياسته والجانبان كانا ينظران الى العالم الثالث او الدول النامية او ماشئت ان تسميها ومنها العراق والدول الناطقة بالعربية - بمثابة مناطق نفوذ جيدة وحقول تبتذر فيها مفاهيمها. فالغرب يريد لها لإحكام حلقة التطويق والشرق يعمل على احباط العملية بالتشجيع والتهريج العقائدي، والتلويح بقميص عثمان أي خطر الدول الاستعمارية والامبريالية العالمية على مستقبل الدول النامية وما الى ذلك بمقابل الخطر الشيوعي العظيم على حريات الشعوب. ولا ادري اكان (نوري السعيد) يدري في اعماق نفسه بان الخطر الذي جسسه للحزب الشيوعي العراقي لينحدر به الى سياسته القمعية للحريات العامة كان وهماً خلاباً وانه قدره على غير حقيقته باخلاص صاحب العقيدة لعقيدته، ام انه اتخذه مرقاة لملاحقة ومطاردة المعارضة باوسع نطاقها كما بدت له في تظاهرات المعاهدة للعام ١٩٤٨، وفي الانتفاضة الوطنية في العام ١٩٥٢. تلك الانتفاضة التي لم يسهم فيها الشيوعيون العراقيون الا اسهاماً هامشياً. وهو يعلم كما يعلم الكثيرون انذاك انه ذلك الحزب كان من الضعف بحيث قصر اهتمام بقية باقية فيه على ازالة الانشقاقات فيه وبناء كيانه الممزق^(٢٦). مشكلة هذا السياسي كانت اولاً واخيراً انه مع ايمانه المشوش الغامض بالديمقراطية

= الى رومانيا فسلم نفسه فيما بعد ونُفذ به حكم الموت شنقاً مع لفيق من قادة الحركة.

وفي بولندا أمت قوات حلف وارشو سحق إنتفاضة (پوزنان) العمالية في العام ١٩٥٦ بعد سقوط عشرات القتلى. ويذكر بالمناسبة أن الجيش السوفياتي إستُخدم بنطاق واسع لإخماد الثورة الديمقراطية التي عصفت بألمانيا الشرقية في العام ١٩٥٦. بالمناسبة لا يحدثنا التاريخ الحديث خلال هذه الفترة أو الفترات التي تلتها أن حلف الناتو أرسل قواته الى أي دولة من أعضائه لفرض نظام معين عليها بأي وجه كان.

(٢٦) المعضلة الكبيرة التي تواجه أي مؤرخ عراقي مصمم على جلاء الحقائق. هو تقدير إسهام الحزب الشيوعي العراقي في الإنتفاضات والإرهابات الجماهيرية تقديراً معقولاً خالياً من المبالغة. فهذا الحزب ظل حزباً سرياً منذ إنشائه وإنك لاتستطيع في أي فترة من الفترات القطع فيما إذا زاد عدد أعضائه العاملين المنظمين عن العشرة أو ناهز الألفين والثلاثة. لاسيما خلال تلك الفترة العصيبة التي مر بها الشيوعيون بين العامين ١٩٤٧-١٩٥٣. عندما كانت الفئات القليلة جداً التي سلمت من الاعتقالات الكبرى تتناحر على القيادة. والناجح منها هو من يحوز على مطبعة الحزب قبل غيره. فالمطبعة كانت وقد بقيت الى الأخير معيار قوة الحزب وصوته المدوي. ومن يضع يده عليها سهل جداً أن ينصب نفسه قائداً. إنك لتري الإحتراب عليها الذي كاد يكون حرباً عواناً بين قيادة الشيوعيين في مذكرات أقطابهم من أمثال بهاء الدين نوري وزكي خيرى. فبالمطبعة يمكنك أن تصدر المناشير والجرائد ذات المقدرة المدهشة على مخاطبة الجماهير والتعبير عن إحساسهم وبإثنتين أو ثلاثة من المتفانين في سبيل تحقيق نصر البروليتاريا يحملان لافتة خطت عليها شعارات وطنية ومطالب جماهير، يختفيان بها في عطفة من طريق وبيروزان بها فجأة ليجدا بدقائق معدودات خمسين أو مائة شخص يلتحقون بهم حتى تأتي الشرطة لتفريقهم والقبض على=

-كان يعتقد بان الشعب العراقي لم يصل بعد الى المرحلة التي يمكن ان يمارس بها وفيها حرياته الديمقراطية اجل ومع ذلك كله فإن مهندس حلف المعاهدة المركزية هذا (الامبريالي الاستعماري الوغد الزنيم الحقيير الكريه) واذهب في تسميته الى ماشئت. لم يكن في أي يوم من الايام اشد قسوة واعتى من اولئك الملائكة الأطهار الذين قمعوا بالنار والحديد وباسم الحرية والتقدمية والطوبائية الاشتراكية وبإسم (حلف وارشو) ويقوات حلف وارشو ثورات شعبية ديمقراطية على انظمة حكم الحزب الواحد القمعية المصادرة للحريات العامة. أفي المانيا الشرقية، اوفي بولندا او هنگاريا او چيكوسلوفاكيا. والغرب يحلف الناتو والمعاهدة المركزية وغيرهما لم يتدخل وليته تدخل في انقلابات دول الشرق الادنى او ثوراته ان شئت. ولم يفرض الناتو نظام حكم معين على اي دولة في سورية والسودان واليمن والعراق ومصر. والمقام لايتسع لإيراد الامثلة بالزمان والمكان والحدث. وإن كنت مصراً على إمتحاني في هذه المعادلة فلتفعل في حوار اخر ان شئت واذ ذاك سترى كم عبث مؤرخو عصرنا بتاريخ البلاد الناطقة بالعربية. اتريد ان احدثك بقصة ذلك الامبريالي الاستعماري (الجنرال ديغول) وكيف آمن للجزائر استقلالها؟ ام بثورة يوليو في مصر وكيف ساندها الامريكان؟ ام بحكاية استقلال

= المعروفين منهم. وفي قيادة تلت إعدامات ١٩٤٩، كان مهووس متهور يدعى (شلومو دلال) قد حاز المطبعة ونصب نفسه سكرتيراً للحزب. فصار خلال الفترة القصيرة من الحرية وقبل أن يقبض عليه ويُعدم - ينزل الأوامر الى الأعضاء المتبقين بالقيام بأمثال هذه التظاهرات الصغيرة العقيمة ليستنفدوا كل ما بقي من الشيوعيين من طاقة. ومن أمثال تلك المآزق حكاية شاع أمرها وذاع وتحدثت بها المجالس. فقد كان صدر من الكرملين للأحزاب الشيوعية كافة بالقيام بفعاليات وتظاهرات وإحتجاجات ضد الانقلاب العسكري الذي وقع في كواتيمالا من دول أمريكا اللاتينية على حكم يساري. وبحسب الأصول إنطلقت تظاهرة شيوعية في شوارع بغداد مطالبة برفع اليد عن كواتيمالا، والحرية لكواتيمالا. كان في دائرة الأمن ضابط شرطة ذكي نابه إشتهر في تعقيب الشيوعيين يدعى "نائل الحاج عيسى". وأحاط رجاله بتظاهرة كواتيمالا وقبضوا على عشرات جيء بهم الى ضابط الشرطة هذا. فأدخلهم قاعة كبيرة نشر على جدرانها خريطة للعالم. وقال لهم: "إسمعوا يا أولاد ال... أقسم بالله بأني سأطلق سراح كل من يتقدم ليؤشر لي على الخارطة موقع كواتيمالا!!" وكانت النتيجة كما توقع.

كنت ومازلت صديقاً للشيوعيين. ولي فيهم إخوة أعزاء. قدم معظمهم أنفسهم فداءً لعقيدتهم وفي سبيل خدمة وطنهم. إستشهدوا وحسنت شهادتهم. "ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً" أذكرهم بحتين وألم وإشتياق. مناضلون خير مناضلين، لكم كان يسعدني لو أن شيوعيي هذا اليوم عندنا عرباً وكرداً. إستفادوا من تجارب من سبقهم ومن دروس التاريخ. لو فكروا قليلاً لينفضوا عنهم رداء الستالينية وليخرجوا بأنفسهم ويجماهيرهم من أجواء الحرب الباردة الخائق والإلتحاق بركب التجديد والعمل على فحص الذات ومحاسبة النفس. وهو ما قام به معظم الأحزاب الشيوعية في عالمنا هذا الذي نعيشه. لتتبنى أهدافاً ديمقراطية مماشاة لروح العصر بدلاً من الإصرار على متابعة الأنماط القديمة في الإتجاهات الفكرية والإعتماد على الأدبيات والمراجع والشعارات التي تبين زيفها.

مراكش؟ اتريد ان اريك كيف جنى المورخون وكتاب الوقائع التاريخية على مسيرة الحرية وعلى المفاهيم الديمقراطية، وسبل التحرر القومية بقلبيهم الحقائق وتزييفهم المغازي؟

مع هذا كله فان نوري السعيد لم يكن (عبداً) للغرب كما صوره المؤرخون. بل كان عبداً لنوري السعيد نفسه، ولخياله السياسي وهناك مواقف كان فيها يتحدى الانكليز ويقضّ عليهم مضاجعهم. ولاريد ان اذكر تلك التي وقفها في المرحلة السياسية الاولى له. وقد اتى الى ذكرها الكتاب قبلي ولكنني ساذكر بعضاً مما اغفلوه في المرحلة الثانية.

في العام ١٩٥٣ او بعده او نحوه هدد السعيد شركات النفط والحكومة البريطانية برفع الخلاف الناشب حول حصص العراق من عائدات النفط الى المحاكم البريطانية والاستعانة برجال القانون اليساريين الانكليز في رفع الدعوى. وسأل عن اشداهم صلاحية فاشير عليه بالمحامي الشهير (د.ن. پريت D.N. Pritt) عضو مجلس العموم البريطاني المستقل الماركسي العقيدة. وهو واحد من قلة من المحامين العالميين الذين كانوا يتبرعون للدفاع عن ضحايا الحرية في سائر اقطار العالم. والكاتب البار الذي داب على تبرير مواقف الاتحاد السوفياتي من ديمقراطيات الغرب في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الاخيرة وبعدها وخلالها. وعرف بصورة خاصة عندما رئس هيئة التحقيق الدولية التي نذبت للتحقيق عن حريق الرايشتاغ وكان قد دبره هتلر في ١٩٣٦ واتهم به الشيوعيين.

اقول: استقدم (نوري السعيد) هذا القانوني الباقعة فجاء بغداد وواحتفى به وأحسن نوري إستقباله ووضع أمامه بكل ثقة وأمانة كل الوثائق المتعلقة بإمتيازات النفط حتى السرية منها. ثم هدد البريطانيين به وبالتأميم وقد نصحه پريت به. الى الحد الذي أرغم الشركات على مايريده لاسيما دفع عائدات العراق على أساس الذهب. وبه كسب للعراق تلك الملايين التي كانت الدولة بأمس الحاجة إليها لتصبح فيما بعد اساساً لمجلس الاعمار بمشاريعه الهائلة.

وربما كان ذلك في اواسط الخمسينات عندما تلكأت بريطانيا في تزويد الجيش العراقي بالاسلحة الحديثة. كان منه موقف روائي يستحق التسجيل والذكر: استدعى السفير البريطاني وفي لقاء عاصف هدد بقطع كل تعامل تجاري مع بريطانيا والتوجه بالمشتريات الى الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي ان كلف الامر. ويذكر انه الغى التمثيل الدبلوماسي مع هذه الدولة في وقت سابق.

وقد لا يكون خروجاً عن السياق ونحن نمر بأعياد (نوروز) وكان نوري قد منع في اواخر الأربعينات الإحتفال به رسمياً. الا انه عاد فالغى امر منعه عندما اعلم بانه عيد قومي فتم الإحتفال به رسمياً في كل من اربيل وسليمانية بنوع خاص ولاول مرة تحت الرعاية الرسمية.

وأذكر أيضاً أن العلامة الاستاذ توفيق وهبي تجرأ حينذاك على كتابة بحث طريف للغاية عن العيد نشر في مجلة سومر. إلا أن الحكومات التالية منعت إقامة المهرجانات رسمياً بمناسبة. مع هذا بدا كما وصفه منافسوه على الحكم. وكما رأه اعداؤه وكما كنا نحن رواد الديمقراطية نراه واحداً ممن حاول القضاء على براعم الديمقراطية بعزم وقوة وغلاظة. وهو بذلك يعبر عن وجهة نظره الخاصة وليس يدفع من قوى خارجية او خدمة للانجليز خالصة. وإلا فكيف نغفر له قيامه في العام ١٩٥٤ بالغاء امتياز اكثر من ٤٥٠ صحيفة ومجلة ونشرة دورية وغلق عشرات من النقابات والنوادي والجمعيات؟ واذا شئنا تغليب حسن النية على العمى السياسي والعناد في التزام الفكرة الخاصة. فسيلوح لنا (نوري السعيد) ذلك السياسي الحريص على مستقبل بلاده اكثر من حرصه على سمعته ومركزه وشهرته وطمعه بالسلطة.

س: عرف السعيد بمزايا شخصية واثروا عنه الوفاء لاصدقائه والاحسان والالتزام بشرف الكلمة في علاقاته الشخصية والعامة. ما قولكم؟

لم تتح لمحام بعيد عن العاصمة وصحافي محلي مثلي الا مراجعة له دامت بضع دقائق في قضية قرار اتخذه ايام كان رئيساً للوزراء في العام ١٩٥٦ بخصوص منع تصدير الاغنام الى سورية حرصاً على ابقاء اسعار اللحوم بمستواها. ولم يقتض مني اقناعه بخطأ القرار غير دقائق. على اني لاحظت كما لاحظ غيري رقعة مخطوطة معلقة على الحائط فوق رأسه بهذا المثل او القول المأثور: «إتق شر من أحسنت اليه» لم يمر وقت طويل ليزيلها الزمن من ذاكرتي. تذكرتها باثنين ركن اليهما (نوري السعيد) ومنحهما ثقته اولهما العقيد (وصفي طاهر) مرافقه الخاص الذي قاد مفرزة الهجوم على منزله وتولى امر تعقيبه في شوارع بغداد في ١٥ تموز ١٩٥٨ للقبض عليه ولولاه ما كان يضمن ترقباته وخدمة مؤقتة لانه لم يكن من خريجي الكلية العسكرية بالعراق.

ثانيهما: الوزير (خليل كنه) الذي كان (السعيد) كما يعلم الجميع ولي نعمته واحداً من انصاره الموثوقين. صاهره، ولصق به وروج لسياسته وتابعه دونما تحفظ ويلا حدود، حرص دائماً ان يبدو كالعاشق الواله المفتون ببعد نظر سيده وولي نعمته. وكان احداً من وزراء حكومة السعيد في العام ١٩٥٤ -التي وجهت بمراسيمها تلك الضربة الصاعقة للحريات العامة. واعتدت على المبادئ الديمقراطية وشدت النكير على حقوق التعبير والرأي- وفي العام ١٩٦٦ عندما اصدر خليل كنه كتاب ذكرياته «العراق امسه وغده». لم يبق مثلية ونقيصة الا ورمى سيده بها، مسنداً اليه كل مانال العراق من كوارث.

طالعت كتابه هذا وما ان بلغت به مرحلة الشتم والنقد حتى تذكرت رقعة نوري السعيد

التي رأيتها على جدار مكتبه « اتق شر من احسنت اليه ».

رشيد عالي الغيلاني

س: والآن الى الشق الثاني من سؤالنا الاصلي. وهو الجزء الخاص برشيد عالي الكيلاني. لعلكم ادركتم سر انتقائنا هذا السياسي من دون سائر رؤساء الحكومات السابقين بعد (السعيد). فهذه شخصية تباينت فيها اراء الساسة معاصريه مع آراء كتاب التاريخ الذين تحدثوا عن اعماله ولاسيما دوره المركزي في حركة مايس ١٩٤١ التي عرفت بحركة رشيد عالي ايضاً اما وانكم قد جبتهم افاقاً من تاريخ بلادنا الحديث ونقبتهم في زواياه لاسيما تلك التي حفلت بالمفاجآت، وزاحمتها الزوابع والاعاصير بالنواب والكوارث، فلا أشك في ان لديكم عن هذا السياسي ما قد يعتبر جديداً.

الغريب، ان هذا الرجل لم ينل ذرة عطف ولم يذكره باي خير كل زملائه رجال الحكم في العراق حين تطرقوا اليه في مذكراتهم ولم اجد في كل الكتب التاريخية والسياسية التي الفت حول ادواره وحياته العامة او نوّهت بذكره عرضاً في واقعة معينة -من انتقص عملا له، او نشاطاً سياسياً او رماه بمنقصة او عيب. وهم في نظري صنفان: صنف قومي يعتبر رشيد عالي رمزاً قومياً وينزله منزلة الصدر في روادها الاوائل بوقفاته ضد النفوذ الانكليزي ويقمعه ما دعي بتمرد الاشوريين، وتزعمه حركة مايس الموالية للمحور. وصنف آخر ويمكن وضعهم في قائمة اليسار او التقدمية، تراهم يهابون ولوج باب عود القراء عليها ويتهيبون من كشف الوجه الآخر للكيلاني. ومعظمهم يعرفه كما أعرفه لكنهم يضطرون الى مجازاة الآخرين الاوائل ولا أدري لماذا، أهو خوف أم تقية؟ وبهذا تتحقق الحذيفة الكبرى ويرسم للتاريخ صورة بعيدة عن الواقع جداً. صارحني كثير من قراء هذه الحلقات بأن ما يقرأون من احاديث لي فيها، يمثل نهجاً غير مألوف في دراسة الاحداث التاريخية وفي النظر الى صانعي تلك الاحداث. وهذا ليس الواقع فأنا اكتب واتحدث بما يجب ان يكون المألوف. وغير المألوف هو ما عودوا على قراءته مع الالف وانا انما استدرك ما غفلوا عنه او تغافلوا لا ما قصرنا دونه. وانا لا اخترع احداثاً اختراعاً وهي بمتناول اليد دوماً وانما اتصيداها. ولا املك من المعلومات أكثر مما لا يملكون وكلنا يغترف من معين واحد والمصادر مبدولة للجميع. لكنني اختلف نهجاً، فأرتاد ساحات صغيرة لأنفذ منها الى الميدان الواسع الرئيس. واسلك انفاقاً ضيقة لتقودني الى الطريق الارح وغييري يبدأ بالكبير فلا ينتبه الى الصغير. والساحات الصغيرة والانفاق

الضيقمة هي مادة التاريخ الاصيلة والحوض الكبير هو حصيلة تجمع القدرات، وبالطرق التقليدية التي انبذها، غُمطت حقوق كثيرين وكسب كثيرون سمعة وفضلاً لا يستحقونها وآه ثم آه لو نهض مفكرون ومؤرخونا وحملة القلم فينا بما تقتضيه الذمة والضمير فيهم واقتصدوا قليلاً في تمجيد ابطال الكوارث والمآسي والمحن ووضعوا حداً لمحاولات صفيقة في تغطية اساءات اجترحها اولاء (الابطال) بحق البلاد ومواطنيها. والكف عن تبرير الجرائم المشهودة لاسيما تلك التي ترتكب تحت زعم محاربة الامبريالية والاستعمار. او تلك التي يشتم منها روح العداة للانجليز تبريراً وتغطية لسوء الحكم والاستبداد والعبث بالحريات وخرق حرمة القانون.

عندما تقضي امانة القول من الكاتب او المؤرخ الخروج من دائرة الصمت او خرق حجاب الصوت كما يقال. بمحاولة لتغيير ما جرى مجرى المسلمات التي لا تقبل طعناً، بدا في اغلب الاحيان -ذلك الجدّي الاسود بين الخراف البيض فيعاقب ويهان وتتكالب عليه كلاب هاكي الاعراض بالتهم والطعون. ولاعجب: ان كانت الاغلبية سراقاً فان الامانة ستعاقب بوصفها جريمة.

س: مجازاة لما تقول ربما حدنا قليلاً عن موضوعنا بالسؤال اما يخطر ببالكم احد من كتابنا تجراً على اقتحام هذه الموانع الفكرية التي وصفتموها ليسمي الاشياء باسمائها الحقيقية؟ اعني ما بدا من المسلمات حسب قولكم. أليس هنا من حاول وضع الاحداث التاريخية في المنزلة التي تستحقها؟

لايخطر ببالي غير واحد. هو المؤرخ الاجتماعي المرحوم الدكتور (علي الوردى). اذكر انه اجترأ على أن يضع ما انزل منزلة المقدسات في نصابه واعني به ثورة العشرين (١٩٢٠) فقال انها ليست بشورة بالمعنى الصحيح وانما هي واحدة من انتفاضات عشائرية عديدة حفل بها تاريخ بلاد ما بين النهرين قبل العهد العثماني واثنائه لاسباب لا تتعلق بخلع نير اجنبي محتل وانما لاسباب عشائرية خاصة. فكُفّر (الوردى) وصلب.

اذكر ويذكر كثيرون غيري ان هذا الباحث الذي شق حجاب الصوت، عوقب بحملة شعواء وقذف بما لم يقذف به كاتب قبله وعُيّر وسخر به وبضعف انشائه وعدم وقوفه على قواعد اللغة العربية من بين ما قذف به وعندما انبريت للدفاع عنه وانا لا اعرفه ولاهو يعرفني عوقبت انا ايضاً.

وها انا وقد مضيت بعيداً في شرح مقصودي من تعمد الزيف في وقائع التاريخ لايسعني ابقاؤه مبتوراً فأقول: قد يتأخر الزمن ببعض الواقفين على دقائق الامور وخبايها بسبب

حرصهم على مراكز المسؤولية التي يحتلونها فيضنون بما يعرفون عنها. ويتخفى بعضهم بالمثل العربي السائر «اذكروا موتاكم بالخير». فلا يماط اللثام عنها الا بعد اكمال الصورة المزورة المكذوبة، ليصعب رمجها او يتعذر. وهنا تلوح لي اشباح اولئك (الاكاديميين) والكتاب الافذاذ الذين يتناولون -ويا للغرابة- سيرة الملك غازي. ليعزوا اليه البطولات والوطنية واصالة الفكر السياسي. يكتب متتالية وليضعوه في الخطورة على السياسة والمصالح البريطانية الى الحد الذي يرغم هؤلاء البريطانيين على تدبير قضية اغتياله. وكلهم تقريباً وقف على الحالة المرضية الواضحة التي شخصها الاطباء فيه بمرض التأخر العقلي. وهو من الأمراض الوراثية وقد ابتلي به منذ الولادة وكان الابن شغل ابيه الشاغل الذي تغلب حرصه على ابقاء العرش في ذريته على مصلحة البلاد بابعاده عن وراثة العرش. كل المقربين والوزراء ورجال الدولة كانوا يدرون بحالته المرضية تلك فأثروا السكوت عنها لفائدتهم، و(رشيد عالي) كان من أوائل مستغليها كما سنأتي اليه. تركوا اسطورة البطل القومي تنتفخ كالبالون دون ان يتصدى احد لتفجيرها. حاول ياسين الهاشمي ان يقف (غازياً) عن عبثه الجنوني ولهوه وادمانه الخمر فتصدى له الجميع ومن بين الجميع وهذا موطن العجب الحكومة البريطانية نفسها فقد وقفت دون محاولة عزله. لياأتي اكاديميوننا - ومنهم اساتذة للتاريخ في جامعة بغداد - فيحملوا الانكليز دمه في حادث سقوط عمود الكهرباء على رأسه اثناء قيادة جنونية وهو في حالة سكر شديد وعللوا بأنه كان من الخطورة بمكان على مصالحهم في العراق والمنطقة. والانكليز بكل سياساتهم البعيدة عن الاخلاق التي بنوا بها امبراطوريتهم وامنوا مصالحهم لم يكن الاغتيال وقتل الخصوم السياسيين في اي وقت من الاوقات جزءاً من اساليبهم ليفتتحوها بعاهل مختلط العقل لايمكن ان يصدر منه ضرر وما اظن (غازياً) اخطر من (غاندي) مثلاً!!



رشيد عالي الكيلاني

بهذا الشكل الذي يفتقر الى الحياء، كتب تاريخنا ومازال يكتب. وتتملكني الدهشة واحار في تحليل ما يصدر في بغداد من كتب حول اسطورة هذا الملك الضليل! وقياساً على هذا فأنا ما وجدت رئيس حكومة او سياسياً في العراق رفع من قدره واحيط بهالة من الاعجاب كذباً

ونفاقاً وتجنباً على التاريخ مثل رشيد عالي الكيلاني.

س: إعتبره المؤرخون العراقيون وعدد كبير من حملة القلم في البلاد الناطقة بالعربية من رجال القومية العربية الافذاذ، الذين خلفوا بصمات لاثمى في مقاومة الاستعمار والنفوذ الاجنبي المتمثل في بريطانيا. ويذكرون وقوفه في وجهها دفاعاً عن استقلال العراق وعرويته. ما قولكم في هذا وكبداية للتعرض الى سيرته؟

من سوء حظ اليقظة القومية العروبية ان تصطدم وهي تستقبل الافكار الحديثة لتستهدي بها الى طريق التحرر القومي، يعقبين كبيرتين حرفتاها عن السبيل القومية. وقاداتها الى كوارث وبلايا انزلتها بشعوبها العربية ويقوميات اخرى مجاورة لها.

والعقبة الاولى هي ابتلاؤها بنظرين وقادة سياسيين لاتحمد سيرتهم امثال رشيد عالي اسأوا اليها اكثر مما اساء حكم الاجنبي. ويمر امامي منهم الدكتور سامي شوكت، والاستاذ ساطع الحصري، وميشيل عفلق. والخوراني. وقسطنطين زريق ومفتي فلسطين الحسيني، وعبدالناصر وامثالهم.

العقبة الثانية انها ومنذ ان نبئت براعمها الاولى، انما تمت بين اشواك النازية والفاشية فإكتنفتها وخنقتها. هذان النظامان اللذان يجدان القوة ويدعوان الى قيام حكم اتوقراطي مركزي على رأسه زعيم دكتاتور والى السيطرة على كل شكل من نشاط الفرد والمجتمع. قاما بغزوة ناجحة جداً للافكار العروبية. لاسيما ما دعي الاشتراكية القومية التي فرضها ادولف هتلر وحزبه في ١٩٣٣ على المانيا. فبكل بشاعة التمييز العنصري وسيادة العرق المتفوق افتتن القوميون العروبيون وإنساقوا من جهة اخرى بالعداء الذي اظهرته النازية والفاشية للديمقراطيات الغربية وعلى رأسها بريطانيا وبذلك التحدي الجريء لمعاهدة فرساي وعصبة الامم. وكلها كان يتفق ومزاج العروبيين الذين فتحت قضية فلسطين ومعالجة الانكليز لها وهي في مرحلتها الاولى جراحاً لا تندمل. واعجب القوميون العروبيون وافتتنوا بما حققته النازية والفاشية من نجاح على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وقد لمسنا نحن تلاميذ الصفوف الثانوية لهيب النار الذي اوقده الاساتذة الفلسطينيين والسوريون واللبنانيون الذين استخدموا واستقدموا بالخمسينات ولاقول بالمانات امثال درويش المقدادي ومحمد عزة دروزه والكنفاني وغيرهم. كما انتشرت ترجمة كتاب (كفاحي) بقلم (يونس السبعائي) انتشاراً واسعاً واذكت أخيلة الجهلة. وفي هذه المرحلة الدقيقة برز رشيد عالي وجهاً قومياً لامعاً وقد كسبه بالاصل بموقف المعارض العنيد للمعاهدة العراقية

البريطانية الاولى. ثم بات قبلة القوميين واملهم المرجى عندما كسبت الوزارة الاولى التي شكلها في العام ١٩٣٣ لقب الوزارة القومية من الصحافة ووسائل الاعلام العراقية والعربية سواء بسواء، وبسبب ما دعي في الحوليات العراقية بقمع (تمرد الآشوريين) الذي ختم بابشع مذبحه في تاريخ الدولة العراقية الحديثة وهو الوصف الذي اطبقت عليه وسائل الاعلام الدولية. على اني استبق الحديث في هذا وسيأتي في موقعه المناسب لاعترف لك وللقراء اني ما جئت لاتحدث اليك الا وقد تكون لي رأي في هذه الشخصية السياسية، اثناء اعدادي مؤلفي الكبير «حول القومية العربية». ففيه سيرة له تزيد عن خمسين صحيفة، ليست تحت يدي الآن بل في السويد. وهي تختلف تماماً عما تقرأ عنه في مؤلفات اخرى. واصارحك القول مقدماً بأني ما وجدت لهذا الرجل حسنة واحدة او عملاً جيداً لهذا الوطن ولا موقفاً ايجابياً عقلياً من اي قضية هامة تتعلق بتصريف شؤون الحكم، ولا بمأثرة تسجل له ولا فضيلة خلقية عرفت عنه. واقول هذا وانا اضع سمعتي، ومكانتي بين يدي القراء مراهننا على دحض افتراضي هذا بايراد مأثرة او عمل جليل له لا يختلف فيهما اثنان. وبخلاف ما تميز هذا السياسي من ذكاء وما حظي به من علم عز على كثير من رجال الحكم امثاله فانه استخدم هذا الذكاء بجراءة الانانية ليجعله وقفاً على خدمة ذاته بحدة طبع وقسوة غريبة في رجل قانون واستاذ جامعي مثله. كان اول من اعتدى على الدستور بالقوانين الشاذة المقيدة للحريات. وكان اكثرهم استهانة بارواح الناس ولعله الوحيد بين رؤساء الوزارات لم يرتد الزي العسكري العثماني ايام الحرب. ولم يكن لامن بينهم ولا من بين المدنيين الذين التحقوا بالثورة الحجازية ايام الحرب العظمى الاولى وانما كان موظفاً في دائرة اوقاف ولاية بغداد عضواً ناشطاً في حزب الاتحاد والترقي بعيداً كل البعد عن الجمعيات السرية التي انبثقت بين الضباط والمدنيين العرب اثر الانقلاب العثماني. هرب من بغداد بجلاء الجيش السادس العثماني عنها وادعى انه حمل اموال المستحقين والقاصرين عند هروبه وابى تسليمها للجنرال (علي احسان) قائد الجيش. وأثر الصعود بها مع اخيه الى الموصل عاصمة الولاية. لم يذكر انه سلم الامانة لاحد هناك. في هذه المرة لم يهرب مع الجيش المنسحب من الموصل بل بقي ليعلم ولائه للفتح الجديد واستعداده للتعاون معه فاعتمده مديراً للاوقاف. وعاد الى بغداد ومعه توصيات الضباط السياسيين البريطانيين وراح يتوقل سلم المناصب القضائية بسرعة خاطفة ووجد في ياسين الهاشمي نجماً صاعداً وتوسم هذا فيه مؤهلات معينة ومشابهة به في سرعة التقلب وتبديل الولاءات. وفي ذلك الزمن كان ياسين الهاشمي والكيلائي على رأس ذلك الفريق من الساسة المعارضين للمعاهدة البريطانية العراقية. وفي ١٩٢٤ عندما لوح المندوب السامي للهاشمي برئاسة حكومة بغية اسكات معارضته وبعد اخذ العهد والميثاق بان

الوزارة ستطبق ما جاء في المعاهدة. كان الكيلاني وزيراً فيها وهو لم يبلغ الثلاثين من العمر ونشر منهاج الوزارة وفيه عبارة «التآزر مع الحليفة ضمن شروط المعاهدة». وعندما وجد الكيلاني ان لم يبق من عمر الوزارة الا ايام وان المندوب السامي استوفى حظه من ياسين ووزارته إستبق الكيلاني فاستقال بحجة تلكؤ الوزارة في اعادة النظر بشروط المعاهدة. وكان قصده ان يحتفظ برصيد الوطني المعارض الذي يمهّد له السبيل الى وزارة تالية.

واستمر الكيلاني لعبة المعاهدة، يعارض فيها وهو خارج الحكم ويطلب تعديلها او الغائها. فيأتي بفضل ذلك الى الحكم ليعلم هو ووزارته بانها ستطبق مواد المعاهدة ولن تجري اي تعديل فيها. كانت المعاهدات الثلاث مع بريطانيا -وهو يتأرجح بين رفضها والموافقة عليها- السلم الذي أمن له الصعود والفوز بأهم وزارة وهي وزارة الداخلية وقد نال حقيبتها لأول مرة بعد ثلاثة اشهر من استقالته تلك، فعشقها واصطفها لنفسه طوال وجوده فعلاً في المسرح السياسي. فان لم يكن رئيس حكومة فهو وزير داخلية وهو لا يقبل بغيرها كلما فوَّتح في ضمه الى وزارة. وكانت ذات مرة سبباً لقيام عداء شديد بينه وبين نسيبه حكمت سليمان عندما نازعه عليها في احدى الطبخات الوزارية في ١٩٣٥.

في العام ١٩٣٠ عندما لم يكن وزيراً كان رأيه عن هذه المعاهدة الجديدة (الثالثة) التي ابرمها نوري السعيد تصريحه «اقل ما يقال عنها انها استبدلت الانتداب الوقتي بالاحتلال الدائم ومن الواجب رفضها». وبعدها وقع برقية الى عصبة الامم قال فيها ان العراق يرفض المعاهدة ويرفض الدخول في عصبة الامم على اساس هذه المعاهدة. لكن عندما كلف في ١٩٣٢ بتأليف وزارة اسرع ليعلم في منهاج وزارته بانه ملتزم بينود هذه المعاهدة وعازم على احترامها.

وتواصلت لعبة المعاهدة هذه حتى ادت به وبالوطن الى كارثة مايس ١٩٤١.

اذكر بالمناسبة قولاً للاديب الفرنسي الشهير «الفونس كار» (هناك في الانسان الواحد ثلاث شخصيات الاولى هي التي يعرضها. والثانية هي الحقيقة، والثالثة هي التي يظن بانها شخصيته) وان كان لهذه المقولة نصيب من الصحة. فما اظن احداً الليق بها من (رشيد عالي) وليس بسر تكالب الساسة على وزارة الداخلية ونزاعهم عليها كلما جرى توزيع الحقائق الوزارية. فوزيرها هو المشرف على الانتخابات النيابية او قل تزويرها بواسطة موظفيه الاداريين. وبواسطة سلطته التنفيذية اللامحدودة التي يهيئها له هؤلاء مع قوات الامن الداخلي التي تؤمنها الشرطة ويمكن للوزير الشره الطامع ان يحقق ثروة طائلة من ضبط اراضٍ او ارغام الملاكين المحليين على اجتناء حصص من اراضيهم ومحاصيلهم الزراعية او اشراكهم فيها. ولم يقصر الكيلاني في استغلال هذه الناحية ايام وجوده وزيراً للداخلية بل هنالك ايضاً

فرصة لتصفية حسابات وثأرات والضعينة والحقد من صفات الشخصية في الغيلاني وتروى عنه فضائح في هذا الباب. منها قصة مع قريبه متولى الاوقاف الغيلانية الغنية اصبحت حديث المجالس، وبها اغتصب التولية بعملية غير شريفة من يد المتولى الحقيقي مسخراً القضاء الشرعي لفعلة هذه.

واشارت اصعب الاتهام اليه عندما اشعلت النار في محصول الموسم الزراعي لعبدالكريم السعدون شقيق عبدالمحسن السعدون. لعداء استحکم بينه وبين هذا السياسي المنتحر لانه ضن عليه في وقت من الاوقات بحقيبة وزارة الداخلية. اتباعاً للتقليد السائر بأن الثأر دين تتحملة الاسرة والعشيرة بالتضامن.



رشيد عالي الغيلاني

الغيلاني ومذابح آب

عرفت الوزارة الاولى التي شكلها بالوزارة القومية. وفيها اعطى الغيلاني الضوء الاخضر لتلك المذبحة التي نفذها بكر صدقي العسكري وراح ضحيتها ثلاثمائة وسبعة عشر آشورياً في قرية (سميل) من اعمال مدينة (دهوك) وبضعة وعشرين اقتيدوا من سجن المدينة ليقتلوا بظاهرها. فضلاً عن اكثر من ثلاثمائة آخرين استسلموا للجيش في شعاب جبل (بيخير) القريب من (فيشخابور) فقتلوا فوراً.

س: نوّهتم بهذا في حديثكم الماضي عن نوري السعيد. أما يكون من المفيد الادلاء ببعض التفاصيل؟

في الواقع. هذا جزء هام من حديثي عن الغيلاني. لكن ما اظن المقام يتسع لرواية شمولية وسأحاول الاختصار والتركيز.

شرد الآشوريون القاطنون في حكاري بسبب انتفاضهم على الحكومة العثمانية وربط حظوظهم مع الحلفاء بنتيجة الحرب. ووصل المتبقى منهم بعد احوال وبلايا العراق واسكنوا مؤقتاً في معسكر بقرب مدينة بعقوبة في العراق. واستخدمت سلطات الاحتلال رجالهم في وحدات عسكرية بقيادة بريطانيين. فيما عرف (باللبثي). كان هؤلاء عراقيين بحكم

عثمانيتهم مثل سائر سكان العراق، وبموجب معاهدة لوزان ١٩٢٣ وقانون الجنسية العراقي الصادر في ١٩٢٤. وبدأت محاولات بريطانية عراقية لاسكانهم بايجاد اراضٍ لهم لكن منذ وصولهم عوملوا معاملة دخلاء. وشجعت الحكومات هذه النظرة. كانوا اناساً جبليين يعيشون بعقلية القرون الوسطى تفتت فيهم الامية وركن الزعماء منهم وقلة متعلمة فيهم الى وعود غامضة من الانكليز بالحماية. واعتقد زعماءهم هؤلاء ان الاحتلال البريطاني للعراق انما وجد ليبقى. لكن تبين لهم في العام ١٩٣٢ ان الانتداب سيزول وان البريطانيين سينسحبون ويسلمون الحكم لدولة عراقية مستقلة ومشكلة استيطانهم لم تحل بعد. فشاع الخوف على مستقبلهم وعدموا في ذلك الوقت العصيب الناصح الامين، وعلى رأسهم إذ ذاك رئيس روحاني (بطريك) غير مجرب وفي مقتبل الشباب استسلم لذوي الرؤوس الحارة وقصيري العقل. فدفعوه الى المطالبة بما سموه «بالسلطة الزمنية» لنفسه على شعبه فضلاً عن السلطة الروحية. وقد تبين من الرسائل المتبادلة بينه وبين حكمت سليمان (وزير الداخلية) والكيلاني (رئيس الوزراء) عجزه عن تعريف وتحديد ما يقصده بالسلطة «الزمنية» وفهم الاثنان -او ربما شاء ان يفسرا اقواله -انه يطالب بالمشاركة في الحكم. فاحتجزاه في بغداد واراد ارقامه على توقيع تعهد مهين وانتهاز قصيرو العقول وذوو الرؤوس الحارة فرصتهم لافتنال المزيد من الضجة فبدأوا بتظاهرات عسكرية حمقاء في ربوع جبال كوردستان. وانتهاز ذوو الرؤوس الحارة من اعضاء الحكومة فرصة غياب الملك فيصل والوزراء (العقلاء) نوري السعيد والهاشمي ورستم حيدر. في الخارج. فوضعوا الخطة الدموية التي عرفت في الحوليات العراقية بـ(عملية تأديب الآشوريين).

قررت سلطة الانتداب تجنيد الآشوريين في (الليثي) وهي وحدات شكلت محلياً سداً لنقص في القوات البريطانية بسبب تسريحها بعد الحرب ويسبب ما تكلف من نفقات. وهو ينفي بالطبع زعماءً تضخم لديهم بأنهم حلفاء للبريطانيين كما كان يحلو للمتحمسين لهم ان يتغنوا به وان يرسخوه في اذهانهم. للسبب البسيط وهو انهم لم يحاربوا كوحدة ضاربة الى جانب الحلفاء في اي عملية حربية ضد العثمانيين.

وفي حدود العام ١٩٢٧ اعلنت الحكومة البريطانية عن سياستها في العراق باعترافها انها الانتداب. وادرك العراقيون ان بلادهم ستتمتع بالاستقلال في شهر تشرين الثاني العام ١٩٣٢. وعرا الآشوريين بغتة حالة من الاضطراب والقلق والهيلاج. ان الانكليز سيتخلون عنهم ومسألة استقرارهم لم تحل بعد وهي من بين المسائل الكبرى التي اعترضت السياسة العراقية. وكان هناك حوالي عشرة آلاف من افراد الليثي الذين سرحوا تبعاً وكل فرد منهم كان يعطى بندقية حديثة الطراز مع مائتي اطلاقه تعويضاً عن السلاح الذي جلبه معه بمفهوم حاجتهم

للدفاع عن انفسهم. فكل العشائر في كردستان كان مسلحاً. لم يكن في العراق منطقة موحدة مناسبة لاسكان اربعين الفاً الا باخلاتها من سكانها الاصليين ولم يكن بوسع اية حكومة عراقية ترحيل السكان الاصليين قسراً محاباةً للمسيحيين.

وذو قرن المتاعب في عز صيف العام ١٩٣٣. عندما قررت حكومة رشيد عالي ان تفتتح عهد الاستقلال بتلقين الآشوريين درساً في ما يمكن أن يمتد اليه باع الحكومة لتختتم بمذيحة شنعاء لاضرورة تدعو اليها باستغلال غياب الملك مع ثلاثة من اقوى الوزراء وابعدهم نظراً. وفي بغداد احتجز حكمت سليمان وزير الداخلية بطبركهم (مار شمعون ايشاي) محاولاً ارغامه على توقيع تعهد يتنازل فيه عن دعواه بالسلطة الزمنية. وقتما كان احد انصاره في انحاء دهوك. (مالك ياقو ابن مالك اسماعيل) من قبيلة التياري ومن سكنة قرية سميل وهو جندي كفوء لكنه احمق اهوج قصير النظر سياسياً - يقوم بمظاهرة سلمية مسلحة مع بعض اتباعه. الامر الذي يبرر للحكومة ان تعلن الاعتزام بالقيام بمناورات عسكرية في المنطقة وهو اجراء فيه حمق وقصر نظر ايضاً ان لم يكن مبيتاً وينطوي على نية سوء.

وكذب الآشوري (ياقو) عندما بث بين بني قومه القلقين على مستقبلهم والناقمين على سياسة الاسكان- نبأ مختلقاً مفاده بأنه كان على اتصال بالسلطات الفرنسية في سورية وقد ابدت استعدادها لاسكانهم سورية بشروط كريمة جداً. ونجحت اكدويته في حمل عدد من الذكور الآشوريين الذين لايملكون مستقراً بعد، ان يتبعوه الى سورية «لرؤية الاراضي التي خصصت لهم» فتركوا عائلاتهم وراءهم واكملوا الفأ وخمسائة مسلح عند وصولهم الاراضي السورية. وهناك تبين لهم خدعة (ياقو) اذ بادر الفرنسيون بنزع سلاحهم ووضعهم في معسكر، ثم امرهم بالعودة من حيث اتوا وسلموا لهم سلاحهم وفي محاولة عبورهم النهر اصطدموا بقطعات مخندقة امامهم من الجيش العراقي في نقطة (الديره بون) القريبة من مجرى فيشخابور فنشب قتال صرع فيه ضابط عراقي وبضعة عشر جندياً وسقط عدد مماثل من الآشوريين الذي انكفاؤا على اعقابهم ليجدوا لانفسهم نقطة عبور اخرى فنجحوا وانتشروا دون نظام في شعاب جبل (بيخير) كل يريد الوصول الى بيته وعياله.

كان الملك فيصل ونوري السعيد يعلمان الطبع الحاد في الكيلاني وبما يدبره فراحا يبعثان بالبرقيات المنذرة المحذرة والمناشدة بضبط النفس ومعالجة الامر بالحكمة وبضرورة اخلاء سبيل البطريك واعادته الى الموصل من دون الحصول على نتيجة اذ كان الكيلاني يكذب في برقيات الجوابية متظاهراً بأنه يعمل بالشكل الذي رسمه الملك في معالجة الامر في حين كان يهيء لعملية «التأديب».

وشحن الرأي العام ونددت الصحافة باعمال هؤلاء الدخلاء الاجرامية ونشرت اكاذيب عن الفظائع التي ارتكبتها الآشوريون في معركة (الديره بون) وتبارى نواب المجلس في القاء الخطب النارية مطالبين باستئصال الدخلاء المجرمين. وشعرت السفارة البريطانية بالخطر، فطلبت من الكيلاني بالحاح نقل (العقيد بكر صدقي) قائد القطعات وأمر المنطقة العسكرية الشمالية. فلم يفعل لان هذا العسكري كان جزءاً من الخطة المدبرة.

ووقع العائدون من الآشوريين في جبل بيخير بايدي المفارز العسكرية فكانت تفتك بهم فور استسلامهم وقد قتل منهم ما ناهز الثلاثمائة والخمسين ونجح الباقون في العودة الى بيوتهم. والاغلبية الموالية للحكومة ارادت ان تشعر السلطة بأنها بعيدة عن (ياقو) وجماعته. ورأى بعضهم الاسلام ان ينحدروا الى سميل ودهوك للاحتماء بالادارة هناك وتحت ظل العلم العراقي. وفي سميل اجتمع نحو اربعمائة وخمسون معظمهم من الرجال. وفي صباح يوم ١٠ من اب ١٩٣٣ اقبل عليهم (عبد الحميد الدبوني) قائممقام زاخو. ونصحهم بتسليم اسلحتهم له تفادياً لاي اصطدام مع دوريات الجيش المسلحة التي كانت تجوب الطريق بين الموصل ودهوك، فنزلوا له عنها طواعية، ثم عاد في اليوم التالي يجمع اسلحة القادمين الجدد وليتأكد من خلو القرية من اي سلاح. وفي اليوم الثاني عشر كان المرشح المعد للمأساة باتقان قد كمل. قد يتبادر الى الذهن ان المذبحة لم تكن مخططة من بغداد سلفاً وان وجود هؤلاء الآشوريين العزل تحت رحمة المنتقمين كانت فرصة لاتعوض بعد القتال في (الديره بون).

بدأت المذبحة بفصل النساء والاطفال عن الرجال. ثم قامت فصيلة من الجيش بقيادة الملازم اسماعيل عباوي (توحله) بالمذبحة الكبرى في صباح يوم ١٢ آب. وصرع قسم برصاص البندقيات والمسدسات ونيران الرشاش وقضى على فريق ضرباً باخامص البندقيات وطعنأ بالحرايب وحصد الباقون بصليبات الرشاش، وهم داخل المنازل او عند محاولتهم الخروج وحاول عدد من خلال ذلك النجاة بارتداء ثياب النساء. الا ان عريف شرطة المخفر اهتم بالتنقيب عنهم من كوخ الى كوخ وارغمهم على الخروج ليقتلوا بايدي الجنود. واعتدي على اعراض بعض النسوة، وارغمن على الخروج لغسل الارضية من الدماء ولم يبق دليل على وقوع مذبحة بين النساء لكن عدداً منهن لايتجاوز السبعة ذهبن ضحية لرفضهن ترك ازواجهن. واحصى عدد القتلى بثلاثمائة وسبعة عشر ثم جرياً على التقاليد العثمانية الاصيلية حثت السلطة افراد العشائر من شمر وغيرهم على عمليات النهب والتدمير فقاموا بمهماتهم خير قيام. وكتب (حكمت سليمان) وزير الداخلية للكيلاني يقول بعد ان لم يعد بالامكان التستر على الجريمة ان صداماً وقع بين الآشوريين وافراد العشائر فسقط قتلى من الطرفين!!

وحفر الجنود قبراً جماعياً اشبه بالخندق وقذفت اليه الجثث الا انها لم توار التراب تماماً.

وفي ١٩ منه وجد ضابط بريطاني عدداً من القتلى داخل اكواخ القرية فات امرها الجنود. وسحب اكثر من عشرين من سجن دهوك ليقتلوا في ظاهر المدينة وكان بينهم كهنة. ولفظ فيصل الاول آخر انفاسه وهو يجهل ما ارتكبه جيشه من فظائع في سميل. وما اقدمت عليه حكومة رشيد عالي فقد حرص هذا على ان لا يخبره بما حصل. عندما ذاع امر المذبحة وتصدرت انباؤه بتفاصيلها صحف العالم اضطرت الحكومة العراقية الى الاعتراف بما حصل عن لسان رئيس وفدها الى عصبة الامم حين بحثت القضية امام مجلس العصبة: قال ياسين الهاشمي رئيس الوفد وانا انقلها من دفاتري بالحرف الواحد: «ان الحكومة العراقية لاتريد التستر على الاعمال الاجرامية التي ارتكبت وهي تستنكرها باخلاص وحرارة لاتقل عن استنكار الحكومات الممثلة في المجلس واننا نعد وعداً قاطعاً بالتحقيق وانزال العقاب بالفاعلين».

ولم يقع تحقيق او ينزل عقاب بأحد بل كوفيء بكر صدقي بترقية ووسام. وجاء الكيلاني من بغداد ومعه الامير غازي نائب ابيه لاستعراض الجيش. ثم اخترق شوارع العاصمة بسيارة وبكر صدقي عن يمينه يتلقى تحايا الجماهير التي احتشدت للمشاركة بافراح النصر على الآشوريين الوف على الوف من رجال ونساء في الشوارع والميادين ناءت بثقلهم سطوح المنازل.

س: اما يحتمل ان يكون الجيش قد اقدم على هذا دون علم من السلطة المركزية في بغداد وان الكيلاني قد ارغم على التستر عنها؟

في رأيي هذا حسن نية يقرب من السداجة. فما صدر من الكيلاني قبل المذبحة وبعدها. وما جرى في الفرات الاوسط في ١٩٣٥ على يده وبأوامر صريحة رسمية منه دليل على قسوة هذا الرجل وطباعه الدموية. بل كان مجرد غرامه الجنوني بوزارة الداخلية دليل بحد ذاته على ولعه الشديد باستعماله سياسة البطش والتنكيل في معالجة المشاكل الداخلية وكما سأوضحه لك بعد قليل.

س: اكانت وزارة الداخلية بهذه الاهمية كما قلت بحيث ينافس عليها الكيلاني ولا يقبل بغيرها؟ نحن نعلم الان ان وزارة الخارجية في امريكا مثلاً هي اهم الوزارات وان وزارة المالية في انكلترا هي اهم الوزارات،.

في العشرينات والثلاثينات كانت وزارة الداخلية اخطر واهم وزارة عراقية. فقد ارتبطت بها مديرية الدعاية وخضعت لها مديرية السجون ومديرية الصحة وكل هذه اصبحت في الخمسينات وزارات مستقلة. ويسيطر وزير الداخلية على قوى الامن ومديرية الشرطة

والتحقيقات الجنائية والادارات كافة بما فيها المتصرفيات (المحافظات). وكانت المخصصات السرية للدولة تحت تصرف وزير الداخلية فقط. فله سلطة الاشراف على قرارات وزارة المالية المختصة بشؤون العشائر ويده نصب او عزل رئيس القبيلة المعتمد لدى الحكومة. خلاصة القول ان سلطة وزير الداخلية ونفوذه كان اكبر من سلطة رئيس الوزراء وسلطة الملك لذلك وجدنا الكيلاني لا يرضى بغيرها عندما يكلفه احد بالمشاركة في وزارة ان لم يكن هو رئيس حكومة وهذا ما كان يخلق ازمات وخلافات حادة بين رجال الحكم. بل كان الكيلاني يخلق الازمات ويفتعلها كلما طلب منه المشاركة. فيصير على ان تكون هذه الوزارة من حصته. ويكشف هو نفسه عن ذلك الغرام الجنوني برسالة شخصية لمؤلف كتاب تاريخ الوزارات العراقية. اثبتها نصاً. وكان ذلك في العام ١٩٣٥. قال الكيلاني: -وكان يستخدم ضمير الغائب لا المتكلم- لما كلف الملك ياسين الهاشمي بتأليف الوزارة قال له ان (علي جودت الايوبي) و(جميل المدفعي) رجيا ان لا يدخلني في وزارته ولا سيما كوزير داخلية لانهما يعتقدان بانني من اقوى العوامل التي ادت الى سقوط وزارتهما لاتصال الوثيق برؤساء القبائل من جهة وخشيتهما من ان ابعد اعوانهما من الوظائف من جهة اخرى. ولما فاتحني الهاشمي برغبة الملك كلفني الدخول في وزارته كوزير للمالية وكانت نية الهاشمي متجهة الى ادخال حكمت سليمان كوزير للداخلية فاعتذرت عن قبول هذا المنصب لعدم المامي بالشؤون المالية».

وفي هذه المناسبة لم يفلح الهاشمي في تأليف الوزارة فكلف (جميل المدفعي) والفها من دون الكيلاني طبعاً. الا انه لم يترك المدفعي في راحة لانه اهاج قبائل الفرات الاوسط الموالية له فاعلنت العصيان وسادت الفوضى البلاد واسرع المدفعي المعروف بالمسالمه والبعد عن المشاكل الى الاستقالة. كانت اقصر الوزارات عمراً واستقالت بعد عشرة او احد عشر يوماً من تشكيلها وتم للكيلاني ما اراد وجاء وزيراً للداخلية في الوزارة التي شكلها ياسين الهاشمي. كان الكيلاني ايضاً مبتدع لعبة اثاره قبائل الفرات الاوسط لغرض اسقاط الحكومات ونقلها عنه الآخرون وجرعوه غصصها كما جرعهم غصصها وقد وجدناه في كل الاحوال لا يهتم بمقدار ما يسفك من دماء ولا ما يهدر من اموال عامة خلالها طالما يحقق بذلك غرضاً او يثبت له مركزاً.

ها هوذا يتعرض الى ثورة عشائرية ترمي الى اسقاطه شبيهة بتلك التي عملها. ليكرر المذبحة عينها في الجنوب كالتى عملها في الشمال قبل اقل من عامين وبعين الاداة واقصد (بكر صدقي) فتجده يلح على تزكيتته وتعيينه قائداً للقوات التي وجهت الى سوق الشيوخ والرميثة والديوانية حيث شبت نيران الانتفاضات العشائرية المسلمة في العام ١٩٣٥.

واني لاحضر في ذهني تلك المجازر التي ارتكبت. وتلك القصابات والقرى التي طالتها يد الكيلائي. ولا استطيع ان امحو من ذاكرتي رؤية منظر مدينة سوق الشيوخ وقد بدت لي وانا ابن الثانية عشر كالدجاجة المنتوفة الريش كما ارادها الكيلائي ان تبدو فقد امر بكتاب رسمي صريح بقطع تيجان زهاء عشرة آلاف نخلة من حوالها عقاباً على تمرد شيوخها. وكنا قبل ذلك لانشعر الا ونحن نجوس خلال شوارعها لكثافة النخيل حولها بحيث يحجبها عن انظار القادم. امر الكيلائي بقطعها فبدت جذوعها منتصبة بالآلاف مثل اعمدة بناء يوناني متقوض. منظر مربع لا يبرح ذاكرتي. انك لتجد نص هذا الأمر ايضاً في تاريخ الوزارات العراقية وتاريخه في الثالث من حزيران ١٩٣٥. وهذا العقاب الذي امر به الكيلائي احتواه البند الثامن من العقوبات الاخرى. وتضمن البند الاخير هذا الامر «توقيف جميع الاشخاص الساكنين في المدن والقصابات سواء من الموظفين او الاهلين والذين هم ذوو علاقة بحركة التمرد او التحريض عليه وسوقهم الى المجلس العرفي العسكري لمحاكمتهم» واذكر اننا فقدنا للسجون في هذه الموجة الكاسحة من الاعتقالات ثلاثة من اعضاء اسرة التعليم تتضمن مدير معارف اللواء ومدير متوسطتنا واستاذ العربية، كما استقبلت السجون عدداً من طلابنا معظمهم لم يتجاوز سن الحلم. وبلغ عدد الذين حكم عليهم بالاعدام ٦٣ وزاد عدد المحكومين عن الثلاثمائة، في ظرف ٤٩ يوماً من نشاط المجلس العرفي. ولا يعلم عدد من قتل من القبائليين على طريقة مقاتل جبل بيخير في ١٩٣٣ وطبق ما رتبته الكيلائي بعد قيام المذبحة الاشورية، جاء بالملك غازي الى الديوانية ايضاً واجرى عرضاً عسكرياً كان هو وبكر صدقي نجميه.

ورُفِع بكر صدقي بناء على توصية الكيلائي الى رتبة فريق استثناءً لكثرة القتل التي اقدم عليها بنفسه وبعنوده وقد نسجت حولها الحكايات والقصص في الجنوب.

تفتت ذهن الكيلائي عن طريقة فذة لعقاب البارزانيين جزاء انتفاضة العام نفسه وحلف ان يقضي على مادعاه بعصاية ملا مصطفى وتابعه خليل خوشفي. فاعلن الاحكام العرفية في الزيبار وراح يطارد هذا الثائر ويلاحقه ليؤتى له برأسه مقطوعاً. وخيل له ان مصدر قوة البارزانيين يكمن في عمائمهم الحمراء فجعل من شروط الاستسلام «ترك الاعتمار باليشماغ الاحمر واتخاذ اليشماغ الازرق!».

واذكر بالمناسبة اني كنت اقرأ مرة هذه الفقرة الأخيرة في احد الكتب لاحد اصهاري وكان يجيد اللغة الكوردية بلهجتها البادية مثلما يجيد الفكاهة والتعليقات الذكية. فكر قليلاً ثم علق قائلاً: «لا بد وان يكون في طبع الكيلائي شيء من طباع ثيران المصارعة الاسبانية التي يهيج هياجها عندما يلوح لها بالخرقة الحمراء!».

واوقع الكيلاني بالكرد الايزدية مذبحه قانونية عسكرية، في عملية احتجاج مسلحة حول التجنيد الاجباري. كان يمكن حلها من دون اطلاق عيار ناري واحد لكنه اراد ان يلقنهم درساً ايضاً فضرب جبل سنجار بالمدافع وفتك جيشه بكل من وقع بيده واحرق قرى برمتها. وارسل مجلسه العرفي العسكري هناك ليصدر احكاماً على ما يقارب الاربعمائة بينهم تسعة حكما بالاعدام فأمر بتنفيذه فوراً بموجب صلاحيته في ذلك الحين ويوصفه وكيلاً لوزير العدلية. وكل ذلك تم خلال ثمانية وعشرين يوماً.

إمتهان الدستور والقوانين الشاذة

س: ذكرتم عرضاً في حلقات سابقة ان للكيلاني دوراً جوهرياً في اهدار الحريات الديمقراطية وامتهان الدستور.

مما يضاعف جنابة الكيلاني على الحريات العامة ماضيه العلمي وثقافته القانونية. كان لفترة استاذ مادة قانون العقوبات في كلية الحقوق وهو اوثق قانون صلة بحرية وحقوق المواطن. وان الكيلاني في رأيي اول من اختط سنة اصدار المراسيم المقيدة والمصادرة للحريات واول من استخدم المجالس العرفية العسكرية بنطاق واسع ويقسوة ضربت بها الامثال وكان قبل ولوجه ميدان السياسة قاضياً مدنياً يفهم حساسية ميزان العدالة اكثر مما يفهمه زملاؤه الساسة الذين تخرجوا في مدارس عسكرية عثمانية. واول ما يخطر ببالي من مراسيمه هو مرسوم اسقاط الجنسية عن العراقيين الذي اصدده في العام ١٩٣٣ ايام كان رئيس حكومة. ونزع بمقتضاه الجنسية عن بطريك الآشوريين وبضعة وعشرين من اتباعه وآل بيته. وثم مرسوم الادارة العرفية السيء الصيت الذي قام بصياغته وتقنينه بالعام ١٩٣٥ ايام كان وزيراً للدخالية ووزيراً للعدلية بالوكالة في وزارة ياسين الهاشمي. وثم مرسوم صيانة الامن العام وسلامة الدولة الذي اصدده في ١٩٤٠ ايام كان رئيساً للوزراء.

والمرء ليعجب حقاً لقصر نظر امثال هؤلاء الرجال الطغاة واستهتار وشعور مطلق بالامان من طائفة هذه القوانين الجائرة التي استنوها للآخرين دون ان يفكروا يوماً بانها ستطبق عليهم وعلى اخوانهم وزملائهم. فمثلاً طبق قانون اسقاط الجنسية على الدكتور ساطع الحصري، واحمد قدرى ودرويش المقدادي وعدد من القوميين اصدقائه في العام ١٩٤٣. كما طبق مرسوم الادارة العرفية عليه هو نفسه وعلى شركائه في حركة مائيس ونال به حكم الاعدام. وطبق المرسوم الثالث على جميع الذين شاركوا في حركة مائيس باعتقال المئات منهم وزجهم في معتقلات الجنوب بعد نهاية الحركة.

س: يعترض سؤال هنا طالما راودني: عودنا كثير من الكتاب العراقيين الذين يتناولون احداث العراق على رؤية اليد البريطانية وسفارتها في العراق في كل حدث او واقعة ويؤكدون ان لا شيء يحصل في هذه البلاد الا وللبريطانيين ارادة فيه. وأنهم كانوا يوجهون دفة السياسة المحلية ويتدخلون مباشرة في كل كبيرة وصغيرة. وهم الذين يأتون بالحكومات ويزيحونها والبريطاني هو وراء كل زاوية وكل منعطف فان كان الامر كذلك وسيافاً على هذا فقد يستنتج بان للبريطانيين بدأ في وجود الكيلاني على رأس حكومة او وزيراً للدخالية في الاحيان التي يروق لهم ذلك. واذا ذلك يحق ان نشرك البريطانيين في جنائات الكيلاني على الحريات العامة وانتهاك الدستور ان لم نعز اليهم التبعة الكبرى. أليس كذلك؟

ليس من السهولة بمكان اعطاء جواب واف في مثل هذه العجالة والحيز الضيق. لكنني ساحاول بقدر ما له علاقة بما سأتحدث عن الكيلاني ولاسيما في اطار حركة مايس ١٩٤١. فكرة رؤية بريطانيا في كل منعطف وزاوية من زوايا السياسة العراقية تنطوى على خطأ جسيم يؤدي الى استنتاجات مضللة. كان البريطانيون -بالسياسة الجديدة التي انتهجوها- يريدون التخلص من هذه التبعة باعجل ما يكون عن طريق تخلصهم من مسؤوليات الانتداب بسبب ما يكلفهم ذلك من اعباء مالية باهظة. وقد كفتهم المعاهدة وامتيازات النفط تأمين مصالحهم. قد يحصل احياناً ان يدلي السفير برأي حكومته في اسناد منصب وزاري الى وزير معين او تكليف ادهم بتأليف وزارة. لكن الرأي سيبقى استشارياً بحتاً اذ لا يصاحبه تهديد بتوقيع عقاب او حرمان من امتياز. في اكثر الاحيان -وانا اتحدث عن فترة الاستقلال - كان يضرب بنصح السفارة عرض الحائط كما ازدرى احتجاج الحكومة البريطانية على تهريب الحاج امين الحسيني من لبنان الى العراق والقي به في سلة المهملات. وكما حصل فعلاً في معالجة المشكلة الآشورية. لم يلتفت الكيلاني الى مناقشة الحكومة البريطانية الملحة بالكف عن المضي في الحل العسكري. وكمل حصل ايضاً عندما توسطت السفارة البريطانية عند رشيد عالي في قضية الايزدية فقد حذرت السفارة واحتجت على اصرار الكيلاني واعتزاه تنفيذ احكام الاعدام دون جدوى وكانت الكلمة للكيلاني في شقهم. كذلك كان من سياسة ورأي الحكومة البريطانية ان لاتعالج شكوى الكورد في العراق بطيش ونزق الحل العسكري. وان يتفادى اراقة الدماء بأي وجه من الوجوه، فيتغلب الحل العسكري الذي يتخذه حكام بغداد بعيداً عن التأثير البريطاني والامثلة كثيرة. والمسألة هي ان هؤلاء الكتاب والمؤرخين انما يستخدمون الوصفة البريطانية اي التدخل البريطاني كلما ارادوا التغطية على سوء تصرف او

عشار يقدم عليه مسؤول عراقي. عليك الآن ان تقدر وعلى ضوء حركة مايس كم كان رشيد عالي موضع اعتماد البريطانيين وكم كانت يدهم فعالة في حماية مستقبله السياسي. او تزكيتته للمناصب الخطيرة. او في مقدرتهم على احتواء اندفاعه ونزواته لاسيما وقتما كانت بريطانيا تحتجز اخطر مرحلة من تاريخها. انها مزاعم لاسند من الواقع لها.

خلال فترة امتدت زهاء سنتين (١٩٣٤-١٩٣٥) اتخذ الصراع بين كتل الطبقة الحاكمة على السلطة وجهاً بشعاً. يؤذن بانتقال الى مرحلة العنف. فلأول مرة في تاريخ الوزارات العراقية خرقت المكائد والدسائس لاسقاط الحكومات جدران المنازل والقصور لتنزل الى الساحة العامة مورطة قطاعات معينة من ابناء الشعب عن طريق الهاب الشعور القومي يشتمى المزاعم والتعاليل او عن طريق الاستعانة بشيوخ القبائل وعشائهم، وعن سبيل التهديد المسلح بالجيش. وليس هناك شك في ان الكيلاني كان اول من فطن الى قوة عشائر الفرات الاوسط في اسقاط الوزارات. فنجح في استخدامها اربع مرات لاسقاط اربع حكومات متوالية خلال هذه الفترة القصيرة. لكنه كما اشرنا -لم يكن يدري كما يبدو ان صاحب براءة الاختراع عرضة للتقليد وانه قلما يستطيع مخترع الاحتفاظ ببراءة اختراعه سراً عن الآخرين.

حركة مايس ١٩٤١

س: ما هو تقويمكم لحركة مايس بعد ان سبق وبينتم رأيكم فيها؟ واين تضعونها من التاريخ؟

بالاول كانت جزءاً من لعبة المعاهدة التي اتقنها الكيلاني في مفتح حياته العامة وكان النجاح حليفه في اغلبها تفوز له كما رأينا برئاسة الحكومة مرة وبوزارة الداخلية مرة اخرى. لكنه لم يكن وحده عندما بدأ بها في اواخر العام ١٩٤٠. فقد كانت هناك قوى معينة لا بد من الاستعانة بها او ترويضها أو تحييدها غير قوى القبائل. كان هناك الضباط العقداة الاربعة الذين يسيطرون على الجيش وقد قاموا بثلاثة انقلابات سابقة وكان هناك القوميون العربيون الذين يمثلهم (نادي المثني) وكان هناك الحاج امين الحسيني وصحبه الفلسطينيين وكان هذا في فترة من الفترات يصول ويجول عابثاً بالوزارات وبرجال الدولة الكبار بسبب استسلام العقداة الاربعة لارادته.

وقامر هؤلاء بمصير البلاد ووقعت هذه الجهات الثلاث تحت تأثير الدعاية النازية بمقادير متفاوتة. وكان الحاج امين قد ربط مصيره بمصير دول المحور وحقق صلات وثيقة بها والدعاية النازية قد غزت عقول القوميين العربيين ونفذت الى اعماق عقائدهم وللكيلاني ماض قومي

منذ ١٩٣٣ وان كان لا يقيم للقومية والعروبية وزناً إلا انها كانت الموضة الشائعة وهناك واحد من اقرب اعوانه السيد يونس السبعادي القومي مترجم كتاب (كفاحي) الى العربية.

هؤلاء قاموا بمصير البلاد. وشاءوا بأعين مفتوحة وارادة حرة اقحام الشعب العراقي في تلك الحرب العظيمة المشتعلة والعراق بعيد عنها كل البعد. قاموا بمصير البلاد واهلها باصرار غبي عنيد ودفعوا بها الى مواجهة عسكرية بائسة فاشلة منذ بدايتها ولم تكن تدعو اليها ضرورة قومية ولافائدة وطنية ولاكسب مرجي منها. وتلك النتيجة المحتومة التي آلت اليها - بدل ان تكون سبباً لشجبتها وادانة تاريخية للقائمين بها - كانت سبباً وعلّة، وهنا موطن العجب لتمجيدها وتخليدها وانزالها منزلة حركات التحرير الكبرى.

وكما قلت واكدت: لم يكن الكيلاني في اي وقت من الاوقات قومياً عروبياً لكنه وجدها حلية خلابة ومرفاة. لم يكن عراقياً وطنياً يعمل للعراق ولأهل العراق. ولا انساناً ذا عقيدة يدافع عنها ويبذل لها، ويحترم لاجلها. كان رجلاً تمثلت فيه انتهازية جيل من الحكام الذين نشأوا في فقر وخصاصة فانعكست في حبههم جمع المال مع جمع السلطة. وكانوا يؤدون رقصاتهم على حبال الانانية وحب الذات ولم يرث الكيلاني شبراً من ارض لكنه انتهى بامتلاكه آلافاً من الدونمات وقصراً باذخاً وسهاماً في زراعات كبيرة وجابيه (المهداوي) اثناء المحاكمة بهذا ولم يملك جواباً ولو بقدر ما يجيب به طفل روضة الاطفال عندما يسأل عن سبب تلوث يديه بالتراب.

وسؤالك يتضمن مطالب او شعباً ثلاثاً سأحاول الاجابة عنها دون تبويض. اقول اولاً: وجد الكيلاني نفسه في ورطة هذه المرة عندما هاجم المعاهدة البريطانية-العراقية وأبى ان يسمح بمرور او بقاء للقوات البريطانية خلال العراق او في العراق كما تفرضه صراحة المعاهدة. وكان هذه المرة يزاو الحكم عندما واجه الموقف. وقبل ذلك كان كما قلنا يعارض المعاهدة اثناء وجوده خارج الحكم. فاذا أسند اليه الحكم انتفى الغرض من معارضتها واعلن تمسكه بينودها. ولكنه وقع الآن في مأزق. كان القوميون العروبيون والضباط الاربعة يريدون ان يكونوا مع الغالب في الحرب الدائرة والبوادير كلها تشير الى ان دول المحور ستحرز النصر وان شمس الديمقراطية تميل الى الغروب. والأعين عميت عن رؤية مصائر الدول والشعوب التي كانت تهوى بفأس الغازي واحدة اثر اخرى ورغم ان النظامين الفاشيين لم يحاولا اخفاءً او تكذيباً لما عرفه العالم عنهما من الاساليب الدموية التي مارسها ضد مواطنيهم المعارضين في الداخل التي خرت صريعة تحت اقدامهما.

وقد علم المؤتمرون ومنهم الحاج المفتي نفسه ان لا امل هناك يرجى من استقلال او شبيه استقلال لبلاد الناطقة بلغة الضاد في ظل حكم نازي او فاشي واذا كان هناك استعمار

فسيكون استعماراً اشد وانكى من النوع البريطاني. كان الحاج المفتي، وناجي شوكت المفاوض العراقي للامان في انقرة يعلم انه وفي السادس من شهر شباط ١٩٤١ تم عقد مؤتمر سري بمقر اركان المخابرات العسكرية للجيش الالماني - ضم مندوبين من القيادة العليا، وموظفين كباراً من وزارة الخارجية وكان ابرز المجتمعين الدكتور فريتز غروبه الوزير المفوض الالماني في بغداد ابو الدعاية النازية في العراق الذي استقطب حوله القوميون العروبيون. وانبثق عن الاجتماع لجنة اطلق عليها (اللجنة العربية) لوضع خطة لاثارة قلاقل واضطرابات في البلاد الناطقة بالعربية التي تخضع للنفوذ البريطاني، على ان لا تؤدي مهما كلف الامر الى تورط عسكري محوري فيها يخل بخطط القيادة العليا وتوقيتها الزمني».



الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين

لم يكن القائمون بحركة مايس يعرفون طبعاً بأن من مقتضى الخطط الالمانية غزو الاتحاد السوفياتي وان الالمان غير مستعدين مطلقاً لفتح جبهة في العراق جديدة. مع هذا كله راح ابطال حركة مايس يرسلون مندوبيهم للتفاوض على «تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الناجز واقامة الوحدة العربية» كما ورد في كتاب (كمال عثمان) مندوب الحاج المفتي ومبعوثه الشخصي. بل راحوا يستجدون من هتلر او موسوليني تصريحاً واحداً.

والكيلاني ورهطه القوميون الذين اجتمعوا للمقاومة بمصير البلاد لم يكونوا كما ترى وفي اي وقت من الاوقات اكثر حرصاً على مصلحة شعبيهم واشد وطأة على النفوذ البريطاني من ذلك الرجل الهندوسي النحيل المدعو (مهاتما غاندي) الذي كان اذ ذاك يقود اعظم حركة عصيان عرفها العالم ضد الامبراطورية. لم يتردد قط وقد رأى جيوش النازية تحتاح العالم الحر، لم يتردد قط في وقف عجلة العصيان واعلان الهدنة مع مستعمري بلاده بل سمح بمشاركة الهند بالمجهود الحربي وشجع سكان هذه القارة على الانخراط في صفوف جيوش الحلفاء دفاعاً عن المثل الديمقراطية. وحذا الآخرون حذوه وتحول نضال زعماء الحركات الوطنية المناهضة للاستعمار الهولندي والفرنسي والبريطاني جنوب شرق آسيا الى المساندة الفعلية بوجه اليابان الشريك الثالث في دول المحور وقتال الغزاة الى جانب جيوش الحلفاء.

س: إذن على هذا الاساس استنتج ان الفلسطينيين كان لهم دور كبير في حركة مايس.

اكبر من ان يتسع له الحديث هنا. الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين بسحنته وسيمائه لا تفرقه عن اي نورديكي بعينيه الزرقاوين وشعره الذهبي لولا الجبة والعمامة، يقول انه عربي الا انه حتما من احفاد الصليبيين الذين حكموا بلاده قرنين من الزمن. خلق الانكليز له في فلسطين منصب الافتاء ونصبوه رئيساً للجنة العليا لفلسطين فانقلب عليهم. فطاردوه واحالوه الى المحاكم بتهم لا اريد التفصيل فيها فهرب الى لبنان ومن لبنان تم تهريبه الى العراق ليبدو هنا بفضل العقداء الاربعة والسياسيين الامعات وكأنه المرجع واليه ينتهي الرأي. ويقف الكيلاني امامه مستجدياً نفوذه في العام ١٩٤١ ليصل به الى رئاسة الحكومة مبتلعاً كرامته وغطرسته. كان للحاج الحسيني في فترة معينة من الزمن السلطان المطلق في تنصيب الوزارات وعزلها والعقداء ينقلون مشيئته الى الوصي فلا يسعه الرفض. والسلطان المطلق كما تعلم لا يقف عند حد، وهو ينقل صاحبه الى حالة من حالات الجنون فلا يعود يفكر بالصالح الجيد الا عندما يعد كل عمل صالحاً طالما كان في نظره جيداً. وهذه كانت حالة العقداء الاربعة بزعيمهم صلاح الدين الصباغ وقتذاك. وعندما وُضع الكيلاني على المحك وطلب منه تطبيق نص المعاهدة العراقية-البريطانية الصريح. وجد نفسه ازاء هؤلاء والمفتي عاجزاً عن التحكم بقواعد لعبة المعاهدة كما كان يفعل وينجح في السابق.

تمثيلية تأديب الآشوريين في ١٩٣٣ تتكرر هنا وفي العاصمة بغداد نفسها. اجتماعات صاخبة. مقالات نارية خطب حماسية من راديو بغداد. نشاط غير عادي بين ضباط الجيش القوميين، ذلك الاجتماع الكبير الذي دعا اليه نادي المثني (وكان قد صار وكراً للدعاية النازية والرتل الخامس) بمناسبة ذكرى ربع قرن على اعلان الشريف حسين ثورته في الحجاز. قالت جريدة البلاد على ما اذكر: ان المفتي الحاج تصدر ذلك الاجتماع على رأس لفيف مما دعت به بالتجمع القومي وقالت انه القيت خطب قومية. من بينها كلمة الفلسطيني الاستاذ اكرم زعبيتر بعنوان [ثورة العرب لن تنتهي] مشيراً الى طبيعة الاجتماع الخاصة والى نكت الحلفاء وعودهم المقطوعة للعرب وقيامهم بتجزئة الوطن العربي وتعنتهم الحالي رغم ظروف الحرب بعدم اعطائهم العرب تصريحاً او وعداً بضمنا حقهم في وحدتهم وحريرتهم. ثم ناشد العرب استغلال فرصة الحرب لتوحيد الرأي وتنظيم الصفوف ورضها لاطلاق صرخة داوية فالامر يتطلب الاقدام والجد والمغامرة. وكانت المغامرة القتالية.

حزم الكيلاني ورهطه امرهم على التعامل مع دول المحور. والوثائق الالمانية التي استولى عليها الحلفاء ايدت ذلك. وقد ظل الكيلاني فيما بعد يشتم العقداء الاربعة ويعزو الى

تصلبهم مع البريطانيين سبب القتال الذي زُج فيه الجيش العراقي. ومما قال انه كان يعمل احياناً والمسدس مصوب الى صدغه. ولما كان يصعب تبين صدق الكيلائي من كذبه فعلينا بالوقائع. تكشف الوثائق الالمانية فضلاً عما ذكره مندوب المفتي في كتاب صدر بعيد الخمسينات: ان الحاج المفتي بعث به في اواخر العام ١٩٤٠ وهو في بغداد الى برلين بوصفه مندوباً عن حركة وهمية لوجود لها اختراع لها اسم (الحركة القومية العربية) - وكان يرافقه (ناجي شوكت) وزير العدل في حكومة الكيلائي لاستطلاع رأي روما وبرلين في الموقف الذي ستتخذه دول المحور من القضية العربية. فلم يكن الجواب مشجعاً قط وهو لا يخرج عن نطاق التفاهم الالمانى الايطالي بما سيكون مصير البلاد. وعلى اثر هذه الوفاة اصدرت وزارة الخارجية الالمانية تعليمات لسفرائها وقناصلها تمنعهم فيها من البحث مع زعماء العرب البارزين حول مستقبل النظام السياسي الذي تنتويه المانيا للعالم العربي. واذا ضويقوا واضطروا الى الجواب فليلجأوا الى المواربة والغموض.

ولم يكن صعباً على اي قومي مخلص عاقل ان يدرك بان دولتي المحور انما تلعبان بالامال العربية القومية لعبة بعيدة عن الاستقامة فلم تقدما شيئاً يبرر قط الموقف المتصلب الذي وقفته حكومة الكيلائي من تطبيق المعاهدة البريطانية-العراقية خدمةً للمحور دون عوض. وعندما اخطأ الكيلائي النجاح هذه المرة في لعبته المفضلة وحاول الرجوع. عجز امام عقبتين: العقداء الاربعة الذين هددوه بالقتل والبريطانيين انفسهم الذين لم يعودوا يرضون باقل من تنحيته عن الحكم.

س: وحول المعاهدة العراقية البريطانية. واللعبة الكيلائية كما وصفتموها. الحبل الذي ربط به الكيلائي مستقبله السياسي؟

بالاحرى الحبل الذي كان الكيلائي يلهو به يودّي فوقه رقصاته. اجل حاولها بالسير فوقه من الجهة المعاكسة فسقط ولم يحالفه النجاح هذه المرة. وكما قلت اعترضته فيه عقدتان عجز عن تخطيهما: ارادة العقداء الاربعة ومن ورائهم الحاج امين الحسيني وكيل النازية في العراق. والارادة البريطانية بالذات. في تلك الظروف العصيبة التي كانت لندن تجتازها لم تكن مستعدة لاي مساومة ولم تعد تقبل باقل من ازاحة الكيلائي ورهطه، واخراجهم نهائياً من دائرة التعامل السياسي في الشرق الادنى. هذه المرة ليست كالمرات السابقة. ان الانكليز لا يستطيعون الآن ترك الحبل على الغارب للساسنة العراقيين وهم الآن يتدخلون تدخلاً سافراً في شؤون العراق الداخلية بمساندة القسم الاكبر من رجال الطبقة الحاكمة وعلى رأسهم الوصي عبدالاله ونوري السعيد. وكان هذا في رأيي من حسن حظ هذه البلاد. فالقوميون العروبيون

الذين كان يستقطبهم نادي المثني في بغداد - وقد وضع حقدهم على النفوذ البريطاني غشاوة على اعينهم - ما كان يهمهم قط خروج العراق من دائرة هذا النفوذ بدخوله دائرة النازية والفاشية فوراً.

س: ماذا كان موقف اليسار والديمقراطيين والشيوعيين؟ فهم يشاركون القوميون في معارضتهم النفوذ البريطاني ماذا كان موقفهم من حركة مايس؟

كنت في الصف الثاني من الدراسة في كلية الحقوق وثيق الصلة بتلك القوى اتابع ما يجري على الساحة وقد ابعدت نفسي عن الاجتماعات الصاخبة التي كانت تعقد في ابهاء الكلية واورقتها. ومجّت نفسي سماع احد اقطاب الحركة (علي محمود الشيخ علي) الذي كان يحاضرنا في قانون العقوبات وقد قلب دروسه الى مناقشات في القومية والسياسة التي يجب اتباعها ازاء المطالب البريطانية بخصوص انزال القطعات العسكرية.

في مبداء الامر صدم هؤلاء الذين ذكرتهم وقفوا موقفاً يدعو الى الرثاء حقاً. اليسار كله بما فيه الشيوعيون بدأوا يميلون الى الكفة القومية المساندة للحركة. الحزب الشيوعي الوليد اذ ذاك كان طبعاً حزباً ايمياً يتطلع دائماً الى موسكو والكومنترن قبل ان يقرر سياسة او اتجاهاً معيناً وهو مع اليسار الماركسي. طوال خمس عشرة سنة او عشرين يساير بعنف وشدة الحملة السوفييتية الصادقة والمبدئية على الدكتاتورية الفاشية في ايطاليا ثم الدكتاتورية النازية في المانيا ويعتبرهما عدو الماركسية والاشتراكية اللدود. فجأة وفي العام ١٩٣٩ وعلى اثر معاهدة عدم الاعتداء والتعاون الاقتصادي التي وقعها وزير الخارجية الالماني (فون رينتروب) مع وزير الخارجية السوفييتي (فياتسلاف مولوتوف) صدرت اوامر باتة بوقف الحملات على النظامين. وحكومة الكيلاني التي ساندتها الفئات القومية لم تكن تخفى علاقاتها مع دول المحور هذه. هناك الديمقراطيون الدستوريون رغم قلتهم لا يريدون ان يكونوا اقل حماساً في التنديد باليد البريطانية الثقيلة - من القوميون ولا اقل وطنية ان شئت الدقة ولا اقل عداً للبلاد والطبقة الحاكمة.

هكذا وجدت نفسي في البداء آسفاً على اقلام أحترمها لاصدقاء اعزة تستيق لتمجيد انقلابي حركة مايس فقرأت (لذوالنون ايوب) مقالاً يطفح بشراً بقرب زوال الامبراطورية البريطانية مقروناً بتحرر العراق من نيرها. وكذلك ظهر مقال لعبد الحق فاضل بعين الوتيرة وغيرهما وغيرهما. ووقف الحزب الشيوعي موقف حذر يحمده عليه وان كان قال كلمة طيبة اولية، وربما وردته بعض النذر بهبوب العاصفة. فعلم بان هتلر يعد العدة منذ زمن لغزو قلعة الاشتراكية. ايدت صحيفتهم "كفاح الشعب؟ او ربما الشرارة؟" لا ادري. تأييداً مشروطاً مشبعاً

بالتشاؤم للحركة. لكن الميزان انقلب فجأة وابتعد معظم الشيوعيين عن ساحة الصخب والضجيج. ثم داروا ٣٦٠ درجة بعد الغزو النازي وبعد القضاء على حركة مايس بحوالي ثلاثة اسابيع. فشرعت صحيفة الحزب السرية تكتب المقالات الطوال مؤيدة موقف الوصي والسعيد. ثم اشتدت الحماسة بعد توقيع معاهدة التحالف السوفياتي مع الدول الغربية. فراحت الجريدة تطلب بلجاجة ملاحقة اعوان الكيلاني من القوميين وعزلهم عن الجماهير خشية ان يكونوا رتلاً خامساً. ثم اصدر الحزب اوامر تحذير لنقابات العمال تحظر عليهم القيام باي اضراب او اعتصاب او اي عمل من شأنه الاخلال او عرقلة المجهود الحربي مهما كانت مطالبهم ملحة ومشروعة.

س: ونهاية الحركة.. وقد عاصرتوها؟

تجدها في عدة كتب. تفاصيل هروب القائمين بها وعلى رأسهم الكيلاني والمفتي والعقدا. وقد ابى القائمون هؤلاء ان يشاركوا الشعب نتيجة حركتهم الاجرامية الطائشة وفكروا بالنجاة وتسللوا عبر الحدود الى ايران. لم يملك اي واحد منهم شيئاً من الشجاعة وكرم النفس ليقاسم الشعب العراقي محنته ولا كان واحدهم يستحق شيئاً من التمجيد الذي مازال يخلع عليهم حتى هذه الساعة. وها اني اراها تطالعني في كتب تصدرها اقسام الدارسين الأكاديميين وأصحاب الرسائل الجامعية الميامين في جامعة بغداد وغيرهم من معالجي الاحداث التاريخية. اننا قرأنا عن من لم يملك قضية او عقيدة وعن طغاة مستبدين يعملون لانفسهم فقط، لكن كان لديهم شيء من الكرامة وعزة النفس وكرهوا الوقوع بايدي اعدائهم فانتحروا. ولا اقول عن آخرين من ذوي العقيدة والايان والقضية. فاين هؤلاء ابطال حركة مايس من اولئك؟ ماهي الامثولة التي يقدمها الكيلاني وصحبه لرواد القضية العروبية؟ وكم يعود على القومية العربية بالنفع عندما تظفر اكاليل الغار على رؤوس هؤلاء ويوضعون في قائمة شهداء العروبة؟

قبل ايام كنت اقرأ في واحد من كتب التمجيد التي اتيت لذكرها وعنوانه «سقوط النظام الملكي في العراق» وهو من تأليف الدكتور فاضل حسين الاستاذ في جامعة بغداد، صدر في العام ١٩٨٦. ولفت نظري فيه حديث نقله المؤلف عن (رجب عبدالمجيد) الذي قال له: «انه وفي ليلة اعدام العقيد فهمي سعيد ومحمود سلمان (من العقداة الاربعة) والاستاذ محمد يونس السباعوي كانت قد وردته وردته وهو ضابط خفر برقية تنبيء بتنفيذ الحكم على الثلاثة فبكى مع انه صبور على المكاره ولم يبك عندما توفي والده. فاقسم على الانتقام لاولئك الضحايا».

كرجل قانون اني من انصار الغاء عقوبة الاعدام في القوانين الجزائية وفي العام ١٩٥٥ كنت عضواً في هيئة بريطانية ذات طابع دولي مشاركاً عملياً بمقالات وابحاث لي في هذا الموضوع نشر بعضها في مجلة القانون. واني لاكره بطبعي ان تنزل هذه العقوبة باي كائن وقد اسفت كما اسفت فيما بعد واستنكرت انزال العقوبة بالعقلاء من ناحية مبدئية لاغير والعقيد (رجب عبدالمجيد) الذي كان امين سر اللجنة العليا لعصبة الضباط الذين حققوا لثورة الرابع عشر من تموز عرفتُهُ اولاً بالسماع واكبرت فيه عزة نفسه وشهامته عندما استهدف لانتقام عبدالسلام وعبدالكريم اثر نجاح الثورة فاطر الاعتزال، ولم القه ايام كان نائباً لرئيس الوزراء. بل عرفته قبلها شخصياً وعرفته في جلسة ضمتنا مع اصدقاء موجها اليّ اسئلة ذكية حول تاريخ العراق المعاصر وكبر في عيني ولم يخطر ببالي يوماً انه سخا بدموعه على من كان السبب المباشر للكارثة العظمى الذي نكب بها العراق وتسبب في مقتل (٦٨٠) ضابط وجندي ومدني و(٥٧١) مفقود لايعرف لهم قبر منهم (٣٣) قتيلاً و(٣٦) جريحاً من ضباط الجيش. فضلاً عن تدمير القوة الجوية العراقية تدميراً كاملاً وقمزيق اوصال الجيش العراقي. ولايدخل في هذا طبعاً ضحايا المذبحة التي ارتكبتها فلول الجيش ورعاع بغداد واوشابها والشباب القومي في الاحياء اليهودية من العاصمة يومي ١ و٢ من حزيران.

س: سنسألکم عن هذا فيما بعد لكننا نتوقع المزيد من التفصيل في لعبة المعاهدة؟

كانت هناك الى جانب المعاهدة طبعاً مسألة امتيازات النفط وهي تتعلق بالمعاهدة ايضاً وهي لعبة (گيلانية) اخرى. وفي العام ١٩٤١ حاول ان يعيدها فسقط من فوق الحبل. اقول في ٩ من ايلول ١٩٣٣ كلف الگيلاني إثر انتقال العرش الى غازي بتأليف ثاني وزارة له فقال في خطاب بمناسبة مراسيم الاستيزار «انا واثق كل الوثوق من السياسة التي سارت عليها البلاد تحت قيادة سيد البلاد الراحل ومن اهم اركانها الاعتماد على الصداقة المتكونة بين المملكتين الخليفتين العراق وبريطانيا العظمى اي معاهدة ١٩٣٠ التي صادق عليها مجلس الامة فسوف لايطراً عليها اي تغيير».

كان هذا الثمن الذي وجب دفعه للبريطانيين للفوز بالوزارة ولازالة الآثار التي خلفتها مذبحة الأشوريين. وتشير اوراقتي التي اعتمدها الآن. ان البلاط لم يعهد اليه بتشكيل الوزارة الا بعد ان تلقى من السفارة البريطانية اشارة OK والوثائق البريطانية تشير الى ان الگيلاني اكد للسفير في بغداد بأنه لن يتعرض للمعاهدة بالقول او الفعل. ذكر لي الراحل الاستاذ رفائيل بطي وكان من مشايخي الگيلاني ردحاً من الزمن. في اثناء احاديث لي معه في العام ١٩٥٤ او ١٩٥٥ ببغداد قوله بالحرف الواحد «ان السفارة البريطانية اخذت من الگيلاني ومن

الملك عهداً بان لا تقوم حكومة الكيلاني بالتعرض للمعاهدة في حالة تأليفه اياها. وانتهزت احزاب المعارضة والقوميون فرصتهما فاستخدموا صحافتها لفضحه والتشنيع عليه ووصفت احداها ماجاء في خطبته تلك بانها «نكسة وطنية في سياسة الدولة وقضاء على الامل المعقود في تعديل معاهدة ١٩٣٠» وانصب عليه اشد الهجوم من الشخصية الوطنية (جعفر ابو التمن) رئيس الحزب الوطني. ثم في موضع من مذكرات توفيق السويدي يذكر هذا السياسي انه في يوم ما من ايام شهر مايس ١٩٤١ ان (الكيلاني) طرق بابيه ليلاً وهو متخف- وطلب منه التدخل قائلاً: هل في وسعك مواجهة السفير البريطاني وتبين له اني مستعد للتفاهم معهم؟ فاذا وافقوا على الاعتراف بشرعية حكومتي فانا على استعداد للقيام بواجباتي حيال المعاهدة وسأترك لهم حرية مرور جيوشهم بل ابقاها في العراق بحسب ماتقتضيه ظروف الحرب ولو بلغ عددها مليون جندي» فرد عليه السويدي بقوله انه علة العلل وعدم التفاهم معه هي ذات طابع شخصي والبريطانيون ماعادوا يثقون به».

في ذلك الوقت كان الوزير المفوض الالماني (كرويه) خليله ومرافقه ومستشاره.

وخص الكيلاني امتيازات النفط بجزء من اللعبة. في العشرينات وهو الشخصية الثانية في حزب ياسين الهاشمي (حزب الشعب). كان مصيباً إحساسه بقصر عمر وزارة (ياسين) لكنه اخطأ في تقديره بعودة ياسين الى تأليفها من جديد. لكن ما ان علم بنية الملك في توجيه التاليف الى (عبد المحسن السعدون) حتى عاد مسلحاً برصيد الاستقالة الى قطع علاقته بحزب ياسين واعلن انضمامه الى حزب التقدم الذي كان يرأسه (السعدون) فضمه هذا الى حكومته وخصه طبعاً بوزارة الداخلية وكان الكيلاني يعلم بأن هذه الوزارة ماجاءت الا للتصديق على امتيازات النفط. وذهل اولئك الذين اكبروا فيه استقالته الاولى وتقدمت صحيفة جريئة بهذا السؤال للكيلاني، كيف رضى بالمصادقة على الامتياز حين كانت معارضة له سبباً لاستقالته؟ لم يجد الكيلاني جواباً غير قوله «كان لا بد لي من الاذعان للامر الواقع» وانك لتجد ذلك مسبوفاً في تاريخ الوزارات العراقية فلا داعي للتفصيل فيه. كان الكل يعلم ان سر الخطوة التي وجدها عند الملك فيصل كما يذكر (طه الهاشمي) في مذكراته قوله «معلوم عند جميع الاوساط السياسية بان الكيلاني كان جاسوس الملك ينقل اليه ما يحصل في اجتماعات حزب الشعب».

س: لكن كيف بدأت علاقة الكيلاني بدول المحور؟ اكانت مباشرة ام هي بوساطة الحاج

امين الحسيني؟

يصعب اثبات الزمن الذي بدأت به. مرّ على القوميون العراقيين وقادة الجيش فترة افتتان

واعجاب بما اعتبروه معجزة سياسية واجتماعية في ايطاليا والمانيا واسرتهم ما حققته دكتاتورية الحزب الواحد في ميادين السياسة الخارجية من موفقيات وما حازته من انتصارات عسكرية (إعادة حوض السار وضم النمسا والسوديت في المانيا، فتح اثيوبيا وانتصار فرانكو بالنسبة لايطاليا) وكلها تحديات للعالم الحر الديمقراطي والعالم الاشتراكي. موفقيات ضخمت بألة دعائية اعلامية لم ير لها العالم مثيلاً. وفي العراق نشط الممثلان الدبلوماسيان لهذين البلدين، لاسيما الوزير المفوض الالماني (الدكتور فريتز غرويه) وكان عضواً في الحزب النازي، وهناك زوجته وخبير الآثار الدكتور (يوردان) معه. كان غرويه قد تعرف في اثناء الحرب العالمية الاولى وهو ضابط صغير في بعثة الفيلد مارشال فون در غولگه للجيش العثماني الى عدد من الضباط العرب العراقيين، وهو يقوم بواجب الترجمة هناك ومنهم صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد وغيرهم. ثم والمتأمل في المراسلات التي كانت تجري بين السفارة البريطانية ووزارة الخارجية. يجد ان البريطانيين كانوا يعضون الطرف عن الدعاية النازية في العراق ولم يعارضوا تغلغل النفوذ النازي وغزوته عقول الشباب القومي وماكانوا يحسبون لها حساباً سياسياً وانما كان قلقهم يتركز في التغلغل الاقتصادي ونمو العلاقات التجارية بين العراق وهذين البلدين بكل التسهيلات المصرفية ورخص اسعار البضائع التي لاتقبل مزاحمة واعتماد صفقات سلاح للجيش العراقي. الى جانب تلك السفرات المجانية التي تعرضها المفوضيات دائماً للشباب القومي. بل لاح لفترة معينة وكأن البريطانيين مرتاحون للميل العراقي الى المحور فقد كانوا يعتبرون الافكار الاشتراكية او اليسار مصدر الخطر الحقيقي الذي ينبغي التصدي له يجد ومحاربه بقوة وتمكنت الدعاية النازية من ترسيخ الاعتقاد بان النازية ما وجدت الا للقضاء على الاتحاد السوفياتي معقل الشيوعية. او على الاقل انها ستقف سداً يحول دون الطغيان الشيوعي. وبقيت هذه النظرة تسود سياسة بريطانيا الخارجية حتى بدأت غيوم الحرب تتجمع. في تلك الفترة ترجم محمد يونس السبعواوي كتاب كفاحي ونشره تباعاً وعلى اية حال فالوثائق البريطانية وكتاب التاريخ عندنا يشيرون الى ان الكيلاني كان في ١٩٣٥ من اشد المتحمسين لشراء السلاح من المانيا وهو وزير داخلية في حكومة الهاشمي. وكانت هناك مفاوضات سرية مع المانيا عن طريق (غرويه) لعقد صفقات اسلحة. وانه صدر قرار بارسال بعثة عسكرية برئاسة طه الهاشمي رئيس الاركان لهذا الغرض الا ان سقوط وزارة الهاشمي بانقلاب بكر صدقي اوقف العملية.

الا ان الصلة الوثيقة جاءت عبر الحسيني مفتي فلسطين. كان هناك اندفاع هائل في المشاعر القومية بسبب ما عرف اذ ذاك (١٩٣٩) بالثورة الفلسطينية على الانتداب البريطاني. وذلك الاحتجاج العربي العام على تدفق المهاجرين اليهود الى فلسطين من اوربا

الوسطى - والمانيا على وجه الخصوص. كان النازيون وقتها يشجعون هجرة يهودهم الى فلسطين، بغية التخلص منهم ويقدمون كل التسهيلات وفي عين الوقت كانوا يحكمون علاقتهم بالحسيني واقطاب المقاومة الفلسطينية. وهذا من اعجب العجائب. نقول قذفت الثورة الفلسطينية الى لبنان ثم الى سورية ثم الى العراق بحوالي مائتين من ابرز المجاهدين الفلسطينيين وعلى رأسهم الحاج امين الحسيني وقد هُرب الى العراق، في اواخر العام ١٩٣٩ هو وعدد من المقربين ونزل ضيفاً على الدولة. وأسرع العقداء الاربعة الذين كانوا وقتذاك يعيشون بالوزارات ماشاء لهم العيث اسرعوا الى القادم الجديد يجددون عهد الصداقة الغابرة وعلى رأسهم صلاح الدين الصباغ وكانوا ثلاثتهم رفاق سلاح مع الحاج المفتي ايام كان ضابطاً في الجيش العثماني.

وكما ذكرت ما لبث هذا الرجل ان اصبح رب البلاط الفعلي والقطب الذي يدور حوله النشاط السياسي في البلاد وبؤرة النزاع على الحكم. وفي غضون ذلك تضاعف نفوذ نوري السعيد وتأثيره على العقداء الاربعة وزال كلياً عندما برز الكيلاني في الميدان لاسباب لا يعيننا شرحها هنا.

ووجد الوصي عبدالاله نفسه كميةً مهملة بعد ان امسك الحاج امين بخيوط السياسة الداخلية. الخلاصة وجد الحاج في الكيلاني خير من قدمه العقداء له ليغدو رئيس حكومة، ووقع الوصي مكرهاً ارادة التكليف الملكية. وحيء بالسبعراوي وزيراً. وانتظم الجميع وهذا عنصر الفكاهة بعصبة سرية عرفت فيما بعد عندما انكشفت الامور "بلجنة السبعة" وتتألف من الحاج والكيلاني والسبعراوي والعقداء الاربعة. اقساموا فيما بينهم كما في الجمعيات السرية بالا يخون احدهم الآخر وان يتابعوا نهجاً معيناً في النضال القومي على الصعيد العراقي واتخاذ موقف موحد من المطالب البريطانية وكان الكيلاني اول من ابدى استعداداه للحنث بالقسم وخيانة اصدقائه. كما رأيت عندما طلب توسط السويدي عند السفير البريطاني.

تبين في هذه الفترة من نشاط الكيلاني السياسي انه لم يعد بحاجة الى الاستمرار في اللعبة فقد بدا المستقبل لدول المحور، والامبراطورية البريطانية في العام ١٩٤٠ تقف وحدها بعد سقوط فرنسا بمواجهة اعظم واحداث ماكنة حربية عرفها التاريخ، والجزر البريطانية معقل الامبراطورية تدق دقاً عنيفاً من الجو والحصار مضروب عليها من البحر وغزوها متوقع بين يوم وآخر حتى بدا لمن كان يصغي الى اذاعة برلين العربية وكأن عمرها قصير وأنها في ساعات نزعها الاخير.

ومنطق الكيلاني واضح وبسيط. منطق كل انتهازي لا مبدء له او عقيدة "ان تكون مع

الغالب دوماً. لأنك ان وضعتَ نفسك في الجانب الخاسر فأنت خاسرٌ من الاول".

قال اولئك الذين حاولوا تلمس الاعذار له انه كان حينذاك اسير المفتي وعقدائه الاربعة وما ابعدها عن الواقع كان في موقف يسهل له الخروج من الورطة سليماً بالافادة من الرزقة الدستورية التي وضعه فيها افلات الوصي من قبضة العقداً وهروبه. في ذلك الحين كانت هناك وزارة دستورية قائمة برئاسة طه الهاشمي عندما اعلن الكيلاني عن تأليف حكومة الى جانبها واطلق عليها اسم (حكومة الدفاع الوطني). وبها وبما قام به بعد ذلك كان يشير الى اجراءات قانونية لا يفقه منها العقداً شيئاً لعدم خبرة لهم بالاصول القانونية.

وقع الكيلاني أمراً بوصفه رئيس حكومة غير دستورية. واسرع لجمع اعضاء مجلسي النواب والاعيان في جلسة مشتركة وبين التهديد والوعيد والخوف حملهم على خلع الوصي ونصب آخر واعلن عن تشكيل وزارة قومية.

لفت نظري تعليق جذاب في الصحيفة ٤٨ من كتاب عنوانه (التاريخ لم يبدأ غداً) وهو عنوان غريب تعمد صاحبه الخطأ اللغوي الفاضح فيه لسبب لا ادركه. وهو من تأليف نجم الدين السهروردي يتضمن سيرة حياة الكيلاني وحميّه والد زوجته قال السهروردي:

«عمل السيد الكيلاني في مطلع حياته استاذاً للقانون في كلية الحقوق ولذلك لم يكن من السهل اقناعه بارتكاب اي تجاوز على القانون والدستور»!!

س: أرى ان لكم رأياً في حركة مايس ١٩٤١ يخالف ما درج عليه الآخرون وما قرأناه عنها ففي نظركم انها قدمت لرواد التاريخ على غير حقيقتها. كيف تقدرتون وقع ما ترون فيها على اولئك الذين مجدوها ووضعوها في مصاف الحركات التقدمية والتحررية، ورفعوا القائمين بها ومنهم الكيلاني الى مصاف القادة الوطنيين المخلدون. ألا تجدون شيئاً من الصعوبة الآن في زحزحة هؤلاء عن مراكز الخلود واعطائهم المنزلة التي يستحقونها في تاريخ العراق؟

اعدت القول مراراً ان الاوصاف والنعوت الملتصقة باسماء الاشخاص لا تزيد من واقع الحال ولا من قيمة الموصوف رفعاً ولا تنقص منه خفضاً. وقد ادركتُ الاقلام الاوروبية منذ زمن بعيد جداً سخف ذلك. ادرك العقلاء كتاباً وقراءً هذه الحقيقة وهي انك لا تستطيع ان ترفع الشخص شبراً واحداً من فوق الارض ان لم يستحق ذلك. ثم ان كثيراً ما تستخدم الاوصاف الفخمة ونعوت التعظيم والاجلال لغرض الزلفى او التقرب واحياناً وقايةً للنفس من مظنة السوء. وبذلك يستوى المخلص فيها مع المرئي والدجال بل كثيراً وكما في حالة رجال حركة مايس ما تستخدم الاوصاف مسايرةً للتقليد طبق ما ورد في الآية الكريمة: «إنا وجدنا آباءنا على امةٍ

وانا على آثارهم مقتدون». ثم اني لا أراني اجد صعوبة ما في وضع الامور في نصابها لاسيما بخصوص ابطال حركة مايس، فالمادة وفيرة والعيب في الكتاب العروبيين والقوميين انهم يتجاهلون، او يبذلون الجهد في اخفائها او طلائها بالوان زاهية مع تعميم وتغطية تامة للاتار المدمرة التي تسببت عن اعمالهم. فمثلاً بلغت الصفاقة ببعضهم حداً ان القوا الذنب في المذبحة التي اوقعت بيهود بغداد في اعقاب الحركة. على اليهود انفسهم!

وهؤلاء الذين اشادوا بحركة مايس وعظموا ابطالها وخلدوهم وبكوا على مصائرهم مع اغراق بالشعارات القومية الحماسية وسمو المقصد والاسف الشديد على نهاياتهم المحزنة. لم يجدوا كالسيد (رجب عبدالمجيد) دمةً واحدة تذر على من راح ضحية وسبباً لطيش قومي. وتلك واحدة من سوء حظ الفكرة القومية العروبية السامية انها افتقدت دوماً الرمز الصالح للقدوة والزعامة.

في أعقاب الحركة: مذابح اليهود

س: ما علاقة مذابح اليهود البغداديين بحركة مايس؟ نوهتم بالحادث اكثر من مرة في هذا الحوار. فهل من زيادة؟

تجد تفاصيل لها في "تاريخ الوزارات العراقية" ومؤلف هذا الكتاب وهو من القوميين الذين شايعوا الحركة ولقوا عنها شر الجزاء. لا ينسى هو الآخر بعد روايتها ان يلقي بعض اللوم على الضحايا المغدور بهم. والمذبحة بحد ذاتها تعيد الى الازهان المذبحة التي اوقعها الكيلاني بالآشوريين في سميل. والمذابح التي نظمها لعشائر الفرات الاوسط في الرميثة والدغارة وسوق الشيوخ. في هذه المذبحة الاخيرة شارك رعاع بغداد واوشابها والجنود والشرطة الذين انطلقوا يومي ١ و٢ من حزيران وبعد هروب ابطال الحركة. انطلقوا بلا ضابط في شوارع بغداد وازقتها واحيائها ينهبون ويقتلون ويحرقون ويهتكون الاعراض، بذلك الحقد الدفين الذي زرعتة النازية في النفوس ضد اليهود، وبالبحث الغيبي المجرم عن كبش فداء للهزيمة التي لحقت بالجيش. وجد الكتاب القوميون وجهاً لتبريرها وسبيلاً للاعتذار عنها بانها كانت نتيجة الاستفزاز الذي تعرض له افراد الجيش عندما اظهر اليهود فرحتهم بالقوات البريطانية وخروجهم لاستقبال الوصي والسياسيين العائدين معه. كان يهود بغداد حالهم مثل حال آشوريي سميل، عزلاً لا يملكون ما يدافعون به عن انفسهم. دخل الشقاة عليهم في منازلهم بعد كسر الابواب وجزروهم جزراً بعين السلاح الذي وجب استخدامه للحيلولة دون دخول الوصي ورد الهجوم البريطاني عن بغداد.

كان انتقام الجيش لهزيمته. تواصلت المذابح والمحرقات والنهب يوميين كاملين وقدرت لجنة

التحقيق الرسمية التي تم تشكيلها فيما بعد عدد قتلى اليهود بمائة وعشرة منهم ثمان وعشرون امرأة وفتاة. وقدرت الجرحى بموجب سجلات المستشفيات بمائتين واربعه. وهي اعداد ضئيلة نسبة الى الاحصاءات اليهودية المستندة الى سجلات الدفن ولم يورد التقرير الرسمي احصاء بالدور والدكاكين والمخازن المنهوبة الا ان المذكرة التي قدمها رئيس الطائفة لتلك اللجنة ذكرت ان ٥٨٦ حانوتاً ومتجراً ومخزناً و٩١١ داراً قد تعرضت للنهب. وان ١٢٣٠٠ باتوا بدون مأوى بسبب تركهم منازلهم خوفاً.

والمشاعر المعادية لليهود لم تكن بنت ساعتها في العراق فقد غذتها الدعاية النازية سنوات مقترنة بخطط اليهودية العالمية وبالمعونة البريطانية على جعل فلسطين موطناً قومياً لليهود دخلاء حقاً.

روي لي بغداداي لا اشك بصحة قوله: ان الجنود والاشباب الذين انتشروا في احياء بغداد كانوا يستوقفون من يلاقونه من المارة ويسألونه أهو يهودي او غير يهودي ثم يستدلون عليه من لهجته ان لم يحمل هوية.

س: فيما سبق نوهتم بعمليات اثراء غير مشروع اقدم عليها الكيلاني ايام وجوده في السلطة لا تليق بسمعة زعيم قومي او قطب سياسي؟

ليست بسر من الاسرار والجميع يعرفها. وقد واجهه المهداوي ببعضها وقت محاكمته فكانت اجابته مضحكة وعجز عن اعطاء اجابة معقولة. ذكره المهداوي مثلاً باغتصابه التولية من اصحابها الشرعيين دون الدخول في التفاصيل. كيف انتزع تولية الاوقاف الذرية الكيلانية من اعقاب عبدالرحمن النقيب، واليك مجمل القصة:

كان عبدالوهاب والد رشيد عالي قد تزوج باخت غير شقيقة لعبدالرحمن الكيلاني فظلت عاقراً ولم تنجب. فاتخذ والده زوجة اخرى هي ابنة سرغال من بعقوبة من عشيرة البيات. انجبت له مما انجبت رشيد عالي. وغضب عبدالرحمن وبادر بوصفه متولي الاوقاف الذرية الكيلانية الى حرمان والد الكيلاني من نصيب كان يتقاضاه منها ووضع الاسرة في عسر مالي شديد. وحفظها الكيلاني ثم وجد الفرصة سانحة للانتصاف في اوائل ١٩٣٦ عندما كان وزير داخلية ووزير عدلية بالوكالة في وزارة الهاشمي - فانزع وبشكل ابتزازي وبالتهديد الايجارات والايراد من مستاجري الاوقاف القادرية على مرقد الامام ومساجده. بل اقدم على استصدار قرار تولية جديد لتلك الاوقاف يقضي بتجزئة التولية بينه وبين المتولي الاصيل وهو عمل مخالف تماماً للاصول الشرعية لاسابقة له في تاريخ الوقف وممارسة حقوق التولية وراح يجني الارباح من مستغلات الوقف الغنية حتى سقطت الوزارة وطرده بكر صدقي من العراق

فسارع حكمت سليمان بإبطال قرار التولية بالمناصفة. كان عمل الكيلاني هذا حديث المجالس لكنه لم يعياً.

وشمل طبعه الانتقامي عبدالمحسن السعدون واسرته. كان ذلك في العام ١٩٢٦ وهو وزير داخلية ايضاً في وزارة لجعفر العسكري. وكانت عملية ذات طابع جنائي. حاول بالاول تحريض سراكيل اشقاء عبدالمحسن على تقديم شكواٍ ضدّهم للملك الا ان الملك كان اذكى من ان يتدخل وعندها دبر معهم اشعال النار في مزروعات آل السعدون بقرية (مجرّجة) مستغلاً غياب عبدالمحسن. اذكر ان ابنة لعبد المحسن قالت في مقابلة لها في السبعينات مع مؤلف عراقي كتب سيرة ابيها انه اي (عبدالمحسن) كان يعلم حق العلم بان الكيلاني هو الرأس المدبر والموعز بحرق تلك المزروعات والمتسبب في ضائقة مالية عسيرة لاختوة عبدالمحسن طوال سنة كاملة. وان اباهما بقي يردد طوال حياته بان المقصود هو من اذية الكيلاني وليس اخوته.

ونجحت ثروته الاقطاعية عن عملية سطو شائنة لأراضٍ أميرية صرفة تبلغ مساحتها عدة آلاف من الدونمات وهي الاراضي المعروفة بالشاذي في لواء الكوت. استولى عليها بطريقة نصب المضخات على دجلة المجاور واستئسار الفلاحين بوصفهم اجراء له. ثم جاءت التسوية فسجلت الاراضي باسمه (٢٧). وكان للكيلاني شريك تجاري لبناني الجنسية يدعى (جبرائيل جورج عبيديني). يزاول تجارة واسعة في الاستيراد والتصدير مركزها بغداد ويتمتع بكل الحماية والتفضيل الذي تسبغه عليه شخصية الكيلاني. بقيت العلاقة مستمرة بين الاثنين حتى آخر يوم من ايام شهر مايس وهرب معه الى ايران. وكانت الشائعات تدور في اوساط بغداد ان المساعدات المالية الالمانية والايطالية للكيلاني والفئات القومية وبعض الضباط تأتي عن طريق هذا التاجر محولةً من اليابان: ولهذا السبب نجح كل من ساهم في حركة مايس في نفي اي علاقة مالية له بدول المحور. هذا التاجر اللبناني عاد الى بلاده واختفت اثاره ولم يسمع به احد بعدها.

(٢٧) لم يكن جشع الكيلاني يعرف حداً. كان هناك إجماع تام من كل اللاجئين في ألمانيا، عقب حركة مايس ولاسيما كل من كتب مذكراته حولها، على أن الكيلاني الذي إنتمته الألمان على توزيع مخصصات العراقيين كان يسرقها ويستأثر بها لنفسه ولأسرته ولبعض المقربين. كتبت مديحة زوجة العقيد محمود سلمان أحد الضباط الأربعة الذين كانوا على رأس حركة مايس. (كتابها: الأسيرة رقم ٩٣: مذكرات مديحة السلطان زوجة الشهيد محمود سلمان. ط. بغداد. دار واسط للنشر والتوزيع ١٩٩٠). «ولذلك إبتعد عنه معظم العراقيين والتحقوا بالمفتي الحسيني الذي كان يدفع حصصهم كاملة. ومنه نشأ العداة المستحکم بينه وبين المفتي حتى ان الكيلاني عندما يسمع بأن أحداً من العرب قد إتصل بالمفتي كان لايتأخر عن طرده ووصفه بالماسوس - ص ٢٢١». وقالت أيضاً «العدالة كانت مفقودة عند الكيلاني في توزيع هذه الحاجات وكانت عائلة الكيلاني والمحسوبون عليه يستأثرون بحصة الأسد ويلبسون أفر الثياب والأزياء والمعاطف من أنواع الفراء الجيد - ص ٢٢٣».

الغيلاني وهتلر

س: ذكرت أيضاً ان دائرة استخبارات الجيش الالمانى استطاعت تهريب الغيلاني من تركيا. هل لكم ان تفصلوا في هذا؟

بالشكل الذي رواها (نجم الدين السهروردي) زوج ابنته ومرافقه حينذاك (واشهد انه كان دقيقاً اميناً في اثبات تفاصيلها وهي مؤيدة بالوثائق الرسمية الالمانية التي ضبطها الحلفاء فيما بعد) بدت رواية لايسمو اليها خيال فطاحل كتاب القمص البوليسية والروايات الجاسوسية من امثال (اغاثا كريستي وگراهام گرین). كتبها السهروردي متوهماً بسذاجة غريبة انها ستترفع من قدر (حَمِيه) وتزيد من رصيده القومي (وهي ليست على كل من اغراض هذا الحوار) كما خيل له ايضاً ان ايراده وقائع مقابلة الغيلاني لهتلر تعد شرفاً. حتى الساعة التي خرج فيها كتابه هذا الى القراء (طبع في بغداد ١٩٨٩) ومنها كيف رفع الغيلاني ذراعه اليمنى بالتحية النازية للفوهرر. كما اورد نص الخطاب الذي اعده الغيلاني لالقائه بالمناسبة وقد سجلته ووجدته بين اوراقى. واليك هذه الفقرات الرائعة منه.

«اني (كذا) اشكر الفوهرر على مقابلته رغم اشغاله الخطيرة. وانتهاز الفرصة لاعرب اولاً عن تهانئي القلبية باسم الشعب العربي على ما احرزه الجيش الالمانى تحت قيادته الحاذقة من انتصارات باهرة في مختلف ميادين الحرب ضد اعدائنا المشتركين الانكليز وحليفتيها (كذا) امريكا وروسيا الشيوعية واليهودية العالمية التي تلعب وراءهم (كذا) وارجو من الفوهرر ان يثق بان الشعب العربي عامة والعراقي خاصة لم يكن ازاء ذلك يقف بالموقف المقدر المعجب بطولاتكم وعبقريتكم ووطنية الشعب الجرمانى وتضحية جيشه الباسل فحسب، وانما يشارككم ويشارك شعبيكم النبيل في الشعور والعمل والهدف السامي الذي من اجله تحاربون. ان الشعب العربي باسره مستعد لان يقوم بما يستطيع حتى النصر النهائي لانه يعتبر نصره نصراً لكم».

ويختم خطابه بقوله:

«نحن مصممون ان تطبق النظم التي تطبقونها ضد الشيوعية وضدهم (اليهود) ضد الديمقراطيات الغربية. وانا استطيع ان اؤكد للفوهرر بان الامة العربية بما فيها العراق ناظرة اليكم وترقب نصركم وتشجع كل ظفر تحرزونه.. وقد توجهت اليكم بجمييع قلوبها منتظرة قرب وصول جيشكم الى بلادها لتحريرها من الانكليز وتخليصها من اليهودية العالمية وعدم تسرب الشيوعية اليها...».

لو طبع كتاب السهروردي في المانيا لصودر ولأحيل مؤلفه الى محكمة تطهير النازية. لكنه طبع في بغداد مرتين في غضون سنتين متتاليتين (١٩٨٨ و١٩٨٩).

وكان (هتلر) يجيب معتذراً لضعف المساندة الالمانية بقلة البنزين! قلة البنزين هي التي حالت بين انجاد رجال حركة مايس (التحررية!) اجل قلة البنزين ولم يكلف الكيلاني نفسه بالرد بان في العراق من مصادر البنزين ما يكفي جيوش هتلر احقاباً لو خطر بباله ان يفتح جبهة عراقية..



رشيد عالي الكيلاني

س: القضية التي اتهم بها

الكيلاني ايام عبدالكريم

قاسم. وحكم عليه

بالاعدام. قيل انها كانت

تهمة زائفة وان الادلة

ملفقة والقصد منها النيل

من سمعته بوصفه احد

رواد القومية العربية

ورموزها. وان (قاسماً)

كان يخشى من نفوذ كبير

له عند الضباط القوميين في

الجيش العراقي. وكذلك لصلته

الوثيقة بعبدالناصر وترويجه دعوة الوحدة، فحبك له هذه التهمة بقصد اخراجه من دائرة التعامل السياسي. وقد قرأنا آراء مماثلة مؤكدة لهذا في مراجع عديدة.

أستطيع القول بوصفي احد ممارسي القانون ان القضية التي ادين بها الكيلاني كانت تمتاز عن كل ما نظرتة هذه المحكمة العجيبة بوفرة من الدلائل والبيانات القوية ومما لايبقي اي شك في وجود مؤامرة ترمي الى اطاحة نظام عبدالكريم قاسم. بكل تشعباتها وابعادها وصلاتها بالجمهورية العربية المتحدة وقطبها الكيلاني بالذات والفضل في توفر تلك البيانات والادلة يعود الى اندساس عناصر حكومية فيها من مبدئها حتى منتهاها. وقد جرت المحاكمة بصورة سرية في كل جلساتها ثم نشرت في سلسلة محاضر محاكمات تلك المحكمة التي عرفت بمحكمة (المهداوي) وهو اسم رئيسها. ربما عاد تأخر اذاعتها او نشرها بسبب علاقة مازالت

طيبة حينذاك بين عراق قاسم والجمهورية العربية المتحدة (ج.ع.م) يحرص قاسم على الابقاء عليها. وربما لانها كانت اول تأمر على النظام الجديد الذي يمثله الزعيم الاوحد. وهو لا يريد ان يبدو حكمه وهو في اوله مهدداً بمحاولات انقلاب لاسيما بورود اسما طائفة كبيرة من رجال الجيش المعروفين في المؤامرة بما كان ينفي ادعاءه المستمر بان كل الجيش معه.

المفارقة الكبيرة في هذه المحاكمة او بالاحرى المؤامرة. هو تدخل ج.ع.م في تحالف من القوميين مع رجال الاقطاع من رؤساء العشائر الى جانب الضباط الثوريين الذين اصعدتهم ثورة الرابع عشر من تموز الى المراكز القيادية.



س: بالضبط ما هي المادة القانونية التي ادين بها. وكيفية انطباقها بصفتمكم قانونيين؟

رشيد عالي الكيلاني و هتلر

كانت وفق المادة الثانية من الباب الثاني عشر من قانون العقوبات

المطبق حينذاك. وهو يعرف بقانون العقوبات البغدادي. ونصّها يُطال: « كل من حاول ان يحمل دولة اجنبية على اتيان اعمال عدوانية ضد الدولة العراقية. او على اشهار الحرب عليها او حاول ان يوجد لتلك الدولة الاجنبية الوسائل التي تمكنها من القيام بذلك عن طريق دس الدسائس مع تلك الدولة الاجنبية او عقد عهود معها او مع احد مأموريها. فانه يعاقب بالاعدام سواء أ أعقب العدوان تلك الدسائس ام لم يعقب».

وهي كما ترى مادة صيغت بشكل عام وشمولية، صالحة للتطبيق على اي عمل تشك الدولة في انه يرمي الى زعزعة النظام القائم.

س: لكن كيف عاد الكيلاني؟ كيف استطاع بعد الغياب الطويل وفي خلال مدة قصيرة من الزمن ان يجد في نفسه الامكانية والاشياع للقيام باي نشاط سياسي يؤدي الى عملية انقلابية؟ متى قدم العراق؟ اين قضى فترة مابعد الحرب؟

ليس من اغراض حديثي تفصيل في سيرته. لكن لمحة بسيطة قد تساعد في فهم الظروف التي احاطت بعودته. وللحظ مفارقات ينعم بها الاشرار والصلحاء معاً. ابتسم له الحظ وآتاه فنجا من تعقيب اللجان العسكرية التي شكلها الحلفاء للبحث والتنقيب عن مجرمي الحرب الكبار وكان هو منهم فأصبح خادماً، وتزياً بزي طالب واشتغل عتالاً (حمالاً) ومنظفاً لكابينات المسافرين في السفن ليبلغ خاتمة مطافه بمساعدة بعض القوميين السوريين الطيبين السلميين النية الى المملكة العربية السعودية. وابى ملكها عبدالعزيز تسليمه للعراق رغم إلحاح بغداد المتواصل لعدم وجود معاهدة له مع العراق ترغمه على تسليم المتهمين السياسيين. وعاش في حمى الملك السعودي الذي جعله واحداً من مستشاريه وكان له حظوه عنده لكن خلفه (سعود) ضاق ذرعاً بتدخله ولم يحتمل صلافة فيه فاهمله والكيلاني بطبعه الحاد الحساس لم يطق صبراً على الاهمال. قال من كان هناك وقتذاك ان الاهمال المتعمد كان احياناً يخرج عن طوره ليتعدى به حدود اللياقة، وادى به الامر الى الطلب من الملك مغادرة البلاد. كان الموقف السياسي في سورية ملائماً له والخصام على اشده بين النظامين العراقي والسوري فقبل فيها لاجئاً وعاش في دمشق. ثم سارع للانتقال الى القاهرة في ١٩٥٥ بعد ان منحه عبدالناصر حق اللجوء السياسي نكايه بالعراق وبموقف حكومة نوري السعيد مدخراً اياه كما يبدو لمعركة مع النظام العراقي. وفي الاول من شهر ايلول ١٩٥٨ عاد الكيلاني الى بغداد بعد غياب سبع عشرة سنة وقد بلغ من العمر بحسب تقديره السادسة والستين.

روى لي من لأشك بقوله (ذاعت هذه الحكاية طبعاً فيما بعد) انه نزل من الطائرة في مطار بغداد وهو يحمل كالطفل الصغير صورة كبيرة للعقيد صلاح الدين الصباغ احد العقداء الاربعة الذين اعدموا. ذكر لي هذا الرجل الكريم وكان من جملة الصحافيين المستقبليين ان سحنة الكيلاني تبدلت فجأة وماتت الابتسامه على فمه وحل محلها قطوب حينما وجد ان المستقبلين لا يتجاوزون المائتين. اذ كان بالتأكيد يتوقع استقبالا جماهيرياً بالآلاف واللافتات والشعارات (٢٨).

قال صاحبي: سمعت واحداً من القوميين المعروفين وكان ضابطاً سابقاً طورد بعد حركة

(٢٨) (ذكرت صاحبة كتاب الأسيرة رقم ٩٣- ص ٢٢٣ هامش رقم ٢٧) «كان صلاح الدين الصباغ لاجئاً سياسياً في تركيا وقد أرسلت الحكومة المدعي العام حمدي صدر الدين وهو الذي حاكم القادة العسكريين الى تركيا- لمفاوضة حكومتها بتسليم الصباغ باعتباره مجرماً عادياً لا لاجئاً سياسياً وكان صدر الدين يحمل في حقيبته جميع الأوراق التي يبرهن فيها على وجهة نظره التي هي وجهة نظر المحكمة العراقية والحكومة. وعندما علمت الحكومة الألمانية بهذا الأمر إتصلت بالسيد الكيلاني. وتذاكرت معه في مجيء الصباغ الى برلين لإنقاذه من المصير المحتوم الأسود إذا ما سلمته تركيا للعراق بعد ضغط شديد فكان رد الفعل قوياً لدى الكيلاني وأبدى رفضه لهذا الرأي الألماني =

مايس واحيل على التقاعد. سمعته يقول بصوت مسموع وهو يلكز صاحباً مشيراً الى الكيلاني «انظر الى هذا المنافق. انه يلوح بصورة ذلك الذي وضع فوهة مسدسه على صدغه مرتين وهدده بالقتل ايام الحركة».

المؤامرة والمحاكمة

بعد ثلاثة ايام من وصول الكيلاني. وقّع عبدالكريم قاسم مرسوماً جمهورياً مرقماً ٢٣ او ٣٣ يجعل من حكومة الدفاع الوطني التي فيها الكيلاني في ١٩٤١ وحركة مايس رائدة لثورة الرابع عشر من تموز وشمل بعفو عام المحكومين السياسيين جراًها، واصفاً حركة مايس ١٩٤١ بأنها نضال وطني يستحق تقدير الوطن.

في القاهرة بدا الكيلاني مدافعاً صلباً عن العروبة ومؤيداً لوحدة العراق مع ج.ع.م. قبل رحيله الى بغداد جرت له مقابلة صحفية قاهرية قامت بنقلها صحف بغداد القومية قال فيها بكل بساطة وحرارة (ان العراقيين يشعرون بوجود اقامة وحدة كاملة مع ج.ع.م. وستكون هذه الوحدة بدورها نواة للوحدة العربية الشاملة. واملي العظيم ان ارى بغداد اليوم مثلما رأيت دمشق قبل اربعة اشهر) «مشيراً الى قيام الوحدة في آذار». وفي القرار بفسح السبيل للكيلاني بالعودة، وجب الاقرار بكفاءة (قاسم) ومقدرته على ان يكون وفق مايريد اي شخص. فهو الذي اقترح عودته واصر رغم ممانعة عبدالسلام الشديدة في ذلك. ولاادري لماذا؟ وربما كان اقرب التفسير الى المنطق ان عبدالسلام الذي بدا القطب القومي الاوحد وقتذاك كان يخشى ان ينازعه الكيلاني مقامه هذا وربما كان هذا عين السبب الذي حدا به (قاسم) الى الاصرار على استقدامه ليكون نداءً لعبدالسلام وليرمي به في ميدان المعركة القومية المتأججة بقصد احداث شق. وتلك سياسة قاسم مع الاحزاب فيما بعد كما رأينا.

= بل وأكثر من هذا فقد كان جدياً وهدد بالخروج من ألمانيا في حالة لجوء الصباغ إليها. فيما وإما. وبسبب هذا الموقف الجدي فقد سكت الألمان على مضمض. ولكن الأنباء وافتهم من سفارتهم في تركيا بأن تركيا رفضت تسليم الصباغ الى حكومة العراق. - ص ٢٢٠.

وفي معرض آخر ص ٢١٩- حول شتم الكيلاني السبعوي (بعد تنفيذ الحكم عليه) قالت: «ان الكيلاني كان لا يتأخر عن شتمنا في كل مرة وكل مناسبة ولقد تأكدت من هذا من خلال الزيارات المتبادلة بيننا نحن العوائل العراقية الأربعة، فقد كانت تغلت بعض الكلمات والتصرفات التي من لسان الكيلاني في أثناء الجلسات والأحاديث تنم عن سروره وإبتهاجه بعد أن تخلص من القواد العسكريين أي زوجي ورفاقه الأحرار وخلا له الجو لكي يسرح ويمرح في حالة إنتصار ألمانيا وعودته الى العراق مكللاً بالغار!»

كانت اشادة هذا المرسوم بحركة مايس خير هدية يستقبل بها الثائر المجاهد العريق. وعلى هذا المجد المؤثل جلس الكيلاني في منزله وبدأ بهمة الشاب الطموح يتابع انانيته ورغباته الجامعة الى السلطة. واتفقت المصادر كلها على ان عبدالسلام لم يزره الا بعد حث والحاح وقد زاره مكرهاً مرة واحدة لاغير.

س: لكن كيف بدأ التآمر؟

نحن والمؤرخين جميعاً ندين بالتفاصيل الكاملة والمشوقة الى حرص ضابط مغمور، مغرور كل الغرور بقابلياته الخطابية وثقافته لم ينل منها غير يسيرها الذي كاد لا يستر جهلاً. رفعت ثوره الرابع عشر من تموز الى رئاسة اهم جهاز قضائي احدثته تلك الثورة باصدارها قانون معاقبة المتامرين ومفاسدي نظام الحكم. رجل محدود الذكاء يحتل منصباً خطيراً لامؤهلات مهنية تزكيه اليه أقنع بسذاجة الطفل بأنه يؤدي خدمة جليلة لقريبه وزعيمه ولبلاده. ووثق بتشجيع النظارة والمتفرجين بعظم قدره وجلاله وبأنه واحده من الدرر الكامنة والمواهب الفذة التي اكتشفتها ثورة تموز يقوم بهذه الخدمة ويمارسها بلذة وانسراح حيال المتهمين المنكمشين على انفسهم.



رشيد عالي الكيلاني متهما

والذين عاشوا تلك الفترة لاشك يشهدون على صحة قولي كيف انقلبت محكمته الى شيء اشبه بالسيرك. هو يتفلسف ويتقنعر ويصب من الالهانات ماشاء على رؤوس المتهمين، والكورس وهو النظارة في القاعة والشرفة يضح بهتاف الاستحسان والشعراء ينشدون القصائد التي تشيد بالمحكمة وبالشعب والحرية والزعيم والاشتراكية بل اطرف ما فيها ذلك التجاوب الوجداني وتبادل عبارات الاطراء والمجاملة بين الرئيس والمستمعين كانت محاكمة المهداوي سرية ومع ان المهداوي حرم النظارة فيها الا انه لم يبخل بدروسه في الوطنية والقومية والاخلاق على المتفرج الوحيد وهو الكيلاني نفسه. وبفضل هذا الحرص وبغية المحافظة على تلك الاقوال والحكم، تم نشر محاضر الجلسات كما وقعت دون حذف او تغيير.

تبين من المحاکمتين اللتين جرتا للكيلاني انه ما استقر به المقام حتى جعل منزله ملتقى

اصدقائه القدماء منهم والمُحدثين. الا ان محاكمة عبدالسلام عارف والتحذيرات التي جاءته من بعض الضباط القوميين جعلته يدرك ان (قاسماً) سيبقى ابداً يعارض في وحدة سياسية مع ج.ع.م باصرار وعناد. وبدا من احاديثه انه يخشى من الشيوعية ويخشى على الاسلام. وبدا سخطه على الاصلاح الزراعي متأتياً عنده -وعلى الاقل - من آثاره الاجتماعية والاقتصادية معاً. ولانه سيسلبه سطوة ومكانة له عند رؤساء العشائر الاقطاعيين فقد

لا يكونون بذى فائدة له حين يفقدون سلطانهم على فلاحيههم وعلينا ان لانسى بانه كان قد شرع اثناء توليه رئاسة الوزارة في العام ١٩٣٣ قانوناً من اسوء القوانين الاقطاعية التي صدرت في العهد الملكي يمثل عودة قبيحة لنظم الاقطاع في القرون الوسطى وهو شبيه بما ساد روسيا قبل تحرير الأفتان في ١٨٦٤. عرف هذا القانون باسم «حقوق وواجبات الزراعة» الذي جعل من الفلاح المدين الاجير اسيراً بيد مالك الارض بمنعه من الانتقال الى مكان آخر من غير موافقة المالك. شرعه الكيلاني عندما بدأ يخطب ود رؤساء العشائر وعندما بدأ هو وياسين الهاشمي بعملية الاستيلاء على الاراضي الزراعية فاستحلا الاراضي الاميرية في سامراء وديالى والكوت واصبحا من كبار الملاك.



العميد ناظم الطبقچلي

س: نفهم من هذا انهم كانوا جزء من خطته هنا. اعني عودته الى اسلوبه القديم في اثاره القبائل كما كان يفعل في ١٩٣٥ لكن الاصلاح الزراعي كان ايضاً مطلب القوميين العربيين وقد تحمسوا له في مصر وفي العراق؟

ربما تصور انهم مازالوا يملكون ذلك النفوذ. الظاهر انه لم يدرك بان الزمان قد تغير خلال الاسبوع القلائل التي عقيبت ١٤ تموز وان معظم الشيوخ وزعماء القبائل الذين يعتمد عليهم قد اضطروا الى الهرب وبعضهم لم يسعه العراق فسافر الى الخارج ويمكن ان نضيف الى هذا شعوره بالخيبة الناشيء عن عنده من الاهمال وعدم الاهتمام به مع تقدير مفرط لنفوذه ومؤهلته.

وبدءً بشهر تشرين الثاني ١٩٥٨ ادت به شكواه من الوضع، الى التركيز على امكان القيام بعمل ما «لتعديل وضع اصبح لا يطاق» كما كان يقول لمن يزوره. وراح ينشد حلفاء بخلاف شيوخ القبائل - بين ضباط الجيش. وكان لعدد كبير من ضباط الجيش الناقمين على استئثار (قاسم) بالحكم - علم بالمؤامرة. وبصلة موظفي سفارة ج ع م بها. ومن ابرزهم : (طاهر يحيى) الذي كان مديراً عاماً للشرطة. والعميد الركن (شاكر محمود نديم) معاون رئيس اركان الجيش، والعميد (عبد اللطيف الدراجي) والعميد (رفعت الحاج سري) والعميد الركن (ناظم الطبقجلي) قائد الفرقة الثانية والعميد الركن (عبد العزيز العقيلي) قائد الفرقة الخامسة. والعميد (الشواف) آمر اللواء الخامس و(رجب عبد المجيد) والعميد (عبد الغني الراوي) وكل هؤلاء وردت اسماءهم في التحقيق بوصفهم من المجندين المشجعين الذين سيتحركون بعد قيام المؤامرة. وكانت هناك شخصية لا تمت الى هاتين المجموعتين بكثير صلة. لكنها ذات علاقة وثيقة بالغيلاني هو (محمد محمود الصواف) زعيم الاخوان المسلمين في العراق.

والتفاصيل لا تهمنا، لكن اقتصار الاتهام على تقديم ثلاثة فقط للمحاكمة، من ضمنهم الغيلاني رغم ضلوع الكثير فيها، لا يدل في رأبي الا على شيء واحد وقد نوهت به في اول هذه الحلقة وهي الاولى من وقائع عديدة تظهر تردد (قاسم) في الاعلان عن الاستيلاء وعدم الرضا بحكمه.

كان هناك تسجيلات صوتية واعترافات عديدة وكانت هناك مبالغ ارسلت للمتآمرين من ج ع م محولة على مصارف معتبرة.

لكن الفشل كان مقدراً للمؤامرة. انها لسذاجة لا يتصورها العقل ان يتوقع لقاسم الوقوع فريسة سهلة للغيلاني وزمرته ليشيع الى مثواه الاخير بانتفاضة عشائرية ومظاهرة نسائية يدعمها عدد من ضباط الجيش الحذرين الى اقصى درجة من الحذر. كان الغيلاني يحاول هنا بقدر ما ملك من خيال وعزم تكرار الانقلاب الذي امن له السلطة في ١٩٣٥. الا ان ظروف ١٩٥٨ كانت تختلف جداً.

وكما جرى في المحاكمات السالفة. كان محامو الدفاع الذين عينتهم المحكمة في القضية الاولى من اليساريين ولم يتظاهروا حتى بتقديم دفاع قانوني عن موكلهم وركزوا دفاعهم على القول بأن المتهم وشريكه الآخر رجلا قانون ومحامون ايضاً، وهو دفاع لاسابق له! وصدر القرار بثبوت التهمة على مبدر الغيلاني ابن اخيه وعلى عبدالرحيم الراوي المحامي (وهو من زملاء الدراسة). وبرت ساحة الغيلاني لعدم توفر الادلة ضده، الا ان المحكمة اوصت بنفيه خارج العراق لمدة خمس سنوات «رغبةً في قطع دابر المؤامرات وعدم استغلال القومية العربية

بطرق غير شرعية للوصول الى الحكم».

ربما كانت المرة الوحيدة التي لم يستطع المهداوي قراءة فكر الزعيم الاوحد وابن الخالة، فلم يدن الكيلاني.

لم يطلق سراح الكيلاني بل مثل وحده بعد خمسة ايام متهماً هذه المرة بتحريض من دولة اجنبية على القيام باعمال عدوانية ضد العراق وقد سردت عليك نصّها، فحكم بالموت شنقاً.

س: اذا كانت التهمة والدلائل نفسها في القضيتين، ماهو السبب في اجراء محاكمة أخرى؟ الم يكن من السهل ان يصدر الحكم ذاته في المحاكمة الأولى؟

لايتسع المجال لشرح قضية فقهية تتعلق بتطبيق المواد القانونية هذه والمحكمة لاتتألف من رجال قانون، بل من ضباط بعينين عن مهنة القضاء. على أن الادعاء العام عرض هذه المرة الادلة والبيّنات التي حبسها عن المحكمة في المحاكمة الاولى وهي كثيرة وكثيرة. وظهرها مبلغ قدره (٢٥) الف دينار كان الكيلاني سيقوم بتوزيعها على رؤساء العشائر. ارسلت من القاهرة بتوسط فرع بغداد لمصرف فرنسي معروف مقره الشرق اوسطي ببيروت باستخدام اجراءات مصرفية معقدة لأخفاء المصدر. وكانت مشاركة المدعو (خضوري شوع) وسيطاً لحمل المبلغ للكيلاني -وهو مصرفي وتاجر أقمشة يهودي- مصدر لذة واستمتاع كبيرين للمهداوي اثناء المحاكمة.

وحكم على الكيلاني بالأعدام شنقاً. وفي رأيي ان (قاسماً) لم يكن وراء دمه. كان يريد ان يتجنب الصداق وانشغال البال من هذا السياسي المستهام بالسلطة بابقائه خلف القضبان فالإبعاد عن العراق كان سيبقي الكيلاني بؤرة للمؤامرات من دون شك.

ثلاثة واربعون عاماً مرت على نشر وقائع هذه المحاكمة وليس ثم من انبرى للطعن بصحة نصوص محاضرها وسلامتها. وقد اعيد طبعها مرات ضمن سلسلة المحاكمات. ووجدت مكانها بين سجلات تأريخ العراق الحديث المعتبرة، وفيها صور الكيلاني. وظهرها صورته وهو في قفص الاتهام وقد بدا الغضنفر الغطريس المتحجر القلب الذي خطط لمذابح آب ١٩٣٣ في سميل، ومذابح الفرات الاوسط في ١٩٣٥. وبطل كارثة مايس ١٩٤١، وهو في حالة ادعى الى الرثاء من الذلة والخنوع امام ضابط نكرة ويكل مظاهر استجداء العطف والمصانعة والمسكنة التي يبديها أخط المتهمين العاديين في محاولة كسب جانب عطف قضاته بدت اجاباته وكأنها نداء استغاثة. وقد احصيت من بضع صحائف لأستجوابه وافادته (١١٢) لفظة «سيدي» و«يا سيدي» و«بالله ياسيدي» و«والله وبالله يا سيدي»، وعشرات من لفظة «سيادتكم»، معظمها بل كلها لايدعو لها المقام قط. غير ناس ايضاً عبارات ثناء لعبدالكريم

قاسم «زعيماً الاوحد». "زعيماً الذي نفديه بارواحنا"، وغيرها وغيرها، وهي الفاظ عافها وتحاشاها غيره من ذوي الكرامة وعزة النفس امثال الطيب الذكر (سعيد قزاز) واللواء الركن (غازي الداغستاني) والآخرين.

كما لايسعني الا وأن أقارن لهجته هنا، بلهجة البرقيات التي كان يرسلها في ١٩٣٣ الى الملك فيصل جواباً على نصحه هذا العاهل بالتعقل والحكمة في معالجة المسألة الآشورية وقد شابتها تلك اللهجة الغطريسة الوقحة، ويمكنك مراجعتها في كتاب الحسني عن الوزارات العراقية للمقارنة ليس الا.

ان كنت مؤمناً بقضاء الله فلاريب في انك ستجد يد العناية الالهية في تدبير مصيرالغيلاني بتركه حياً ليعاني الآلام والتحقير وشظف العيش. وليس اهونها واقلها شأناً ان تبقى حياته طوال سنتين كاملتين مرتهنه بتوقيع صغير لضابط صغير كان برتبة ملازم اول حين بدا رشيد عالي رئيس حكومة الدفاع الوطني سيد البلاد الأوحد في العام ١٩٤١.

روى لي شاهد عيان موثوق الرواية انه كان بين الحاضرين مساء الرابع عشر من تموز ١٩٦١ عندما جيء بالغيلاني من السجن لمقابلة (قاسم) مع عدد من رجال العهد الملكي الذين شملهم بعفوه، فقد أثر الجميع الصمت، الا الغيلاني الذي وقف دون سائرهم يشكر الدكتاتور ويعدد مزاياه ومناقبيه ويشيد بعبقريته مسرفاً الى حد الاسفاف. وقال الراوي لوحظت ابتسامات الاستخفاف والاحتقار ترتسم على الوجوه.

الا انه بعث من بيروت برقية حارة يهنئ فيها انقلابي شباط ١٩٦٣ على القضاء على حكم الطاغية المجنون!!

س: ارى وقبل الانتقال الى الحديث عن بكر صدقي العسكري وهو آخر شخصية في اسئلتنا ان أسأل عن ردود الفعل التي خلفها الحكم الصادر على الغيلاني على الصحافة والحكومة؟ ووسائل الاعلام الاخرى؟

كانت المحاكمة كما قلت سرية ولم تنشر عنها الصحف العراقية شيئاً. لم يصدر غير البيان الذي اذيع في كانون الاول ١٩٥٨ الصادر من عبدالكريم قاسم نفسه بوصفه القائد العام للقوات المسلحة، ثم جرى عرض تلفزيوني لرزم من الاوراق المالية. وبقي الرأي العام والجمهور في ظلام، والشيوعيون واليسار اتهمتا الامبريالية بتدبير المؤامرة وشارت وسائل الاعلام والصحافة في ج ع م الى الولايات المتحدة بأصبع وكانت العلاقات بين عبدالناصر وامريكا متردية جداً حينذاك. الا ان وكالات الانباء العالمية توصلت الى لب القضية، وشارت الى الغيلاني والايدي المصرية. مع هذا ويقدر ما تساعفني الذاكرة لم يبد من الصحافة المصرية او

السورية تعليق يتضمن نفيًا أو اثباتاً، وبان الحذر الشديد عند ج ع م ولم يصدر شيء عدائي، الا بعد مؤامرة الشواف وفضح اليد القاهرية -الدمشقية فيها. ونشر وقائع المحاكمة وإذ ذاك بسطت الاوراق على المائدة، وبادرت وسائل الاعلام الى نفي ضلوع القاهرة في المؤامرة، بل نفي وجود المؤامرة اصلاً، وكثرت التعليقات الهازئة بكل ما في المصريين من روح الدعاية. ومما علق بذهني هذه الفكاهة التي راجت في حينه، قالوا: جاءوا «بالغيلاني بعد الحكم عليه الى (الزنزانة) التي كانوا قد وضعوا فيها الدكتور فاضل الجمالي وهو ايضاً رئيس وزراء سابق الذي سبق وان حكم ايضاً بالإعدام، فسأل الغيلاني: «ما سبب الحكم عليك؟» قال الغيلاني: «لأنني كنت مع عبدالناصر، وانت ما الذي جاء بك الى هنا؟ أجب الجمالي: «لأنني كنت ضد عبدالناصر!!»

لا ادري كيف علم الصحفيون انهما وضعا في غرفة واحدة، وقيل انهما عكفا على وضع نفسي لآيات القرآن معاً.

الفريق بكر صدقي

س: الفريق بكر صدقي العسكري هو من الشخصيات السياسية التي تباين القوم في الحكم عليها وتقويم دورها، ومكانتها في تاريخ العراق السياسي. سيما وأنه محدث اول انقلاب عسكري اسقط به حكومة وفرض به حكومة. هل كان حقاً يتحلى بصفات الدكتاتور؟ هل مارس سلطة مطلقة خلال الفترة القصيرة التي عاشها بعد الانقلاب وختمت بأغتياله في الموصل مدينتكم؟

قال لي احد الاصدقاء الذين يتابعون ما تنشرون من احاديث لي وهو يعلم بأن الكلام عن هذا العسكري سيكون آخر المطاف. قال لي: هناك عدد من الكورد البسطاء قد يستأؤن من ذكر هذا العسكري بسوء وعليك ان تلتزم جانب الحذر، وأظنني اجبته بهذا: لو اني سبقت اقوالي وكتاباتني بالتفكير فيما سيقول الناس عنها او بما ستخلفه من انطباع ولو توخيت بها الأرضاء العام، ووضعت نصب عيني تحاشي كل ما يسيء او يجرح عواطف فريق دون فريق ولو احجمت عن مطاعنة كل ماجرى مجرى المسلمات، لآثرت العافية بالسكوت، وحطمت قلمي على ركبتي قبل المرور به فوق الطرس ولجعت في فمي حصة واطبقت عليها شفتي، الا اني لم أوتر السلامة والعافية، وتصديت عامداً متقصداً لما جرى مجرى المسلمات الخاطئة في تأريخنا الحديث وانا ماضيعت دقيقة نوم واحدة بسبب نقد يوجه لي بل كنت اعتبر النقد الموضوعي هبةً وعطية تفتح لي آفاقاً ومنها ما يهديني سواء السبيل.

والباحثون وكتاب التاريخ عندنا لعبة في يد الحكام مع الاسف والناس يقرأون ما وضع في ايديهم مما يستقيم مع المزاج الرسمي في فترة معينة من الزمن طالت او قصرت ليغدو ما قرأوه من قبيل الحقائق التي لا تحتاج الى برهان ولا يأتيتها عيب أو ريب.

وبسرعة تقلبات النظم السياسية على العراق، وتوخياً لأرضاء هذه الدولة أو تلك، بدأ تأريخ العراق وكأنه ميدان صراع للعقائد السياسية كل يتناوله بالشكل الذي يناسب اتجاهه السياسي، وتبعاً لهذا يجري الحكم على صانعيه من السياسة والحكام.

وفي الحديث عن «بكر صدقي شوقي العسكري» لا يستطيع ان اسقط من ذاكرتي كون هذا الرجل صاحب اول انقلاب عسكري لافي العراق وحده بل في سائر الاقطار الناطقة بالعربية. كما لا يستطيع تجاوز مشاركته الفعالة في المذبحة التي دبرت للأشوريين في قرية سميل. ولا القتل الجماعية والاحكام البربرية التي ارتكبت اثناء قمع انتفاضات الفرات الاوسط العشائرية في الاعوام ١٩٣٥-١٩٣٦ حيث كان (بكر صدقي) قائداً للقوات حاكماً مطلق الصلاحية. وفي هاتين الوقعتين كان بكر صدقي على اوثق صلة بالغيلاني وواحداً من منفذي أوامره مثلما لا يستطيع التجاوز عن حقيقة اخرى لا تكسبه مجداً وشرفاً بأنه كان اول من شرع الأعتيالات السياسية المنظمة، وقد راح ضحيتها هو الآخر باسم القومية العربية على ايدي ضباط لا يفضلون عنه بشيء.

ومن هنا كما اظن نشأ ذلك العطف الكوردي عليه بل الفخر به عند فريق من المتعلمين باعتباره كوردي النجار (وهو ما انكره مدعياً العروية كما سأتطرق اليه فيما بعد) وأني لأفهم جيداً ما أتى هذا العطف الكوردي وهو ليس بجديد على تلك الشعوب المستضعفة المستعبدة المناضلة في سبيل حريتها التي تفتقد في تاريخ معاناتها الطويل زعامة وطنية حيث تعز الزعامات الحقيقية أو ينذر وجودها ويدافع لايقاوم لسد ما يعتبرونه نقصاً تاريخياً او ثغرة يجب ان تملأ. يبادرون الى الاستدانة واختيار شخصية لامعة الاسم لبيئتها مركزاً في تأريخهم، وسمعة بكر صدقي عند فريق من الكورد متأتية من هويته الكوردية لا أكثر وهي هوية لم يدعيها هو لنفسه في أي وقت ولم ينسب نفسه اليها ولم يقدم على عمل صغر أو كبر لخيرها واسعادها.

ربط بكر صدقي حظوظه بالغيلاني أربع سنوات متتالية فشاركه جرائمه الجماعية الكبرى. وكوفيء عنها بترقيات خيالية صعدت به من رتبة عقيد في اواخر العام ١٩٣٣ الى رتبة فريق في اواسط العام ١٩٣٦، ثلاث ترقيات بأقل من ثلاث سنوات.

قال الغيلاني لصاحب تأريخ الوزارات العراقية في ١٩٣٧ بعد انقلاب بكر صدقي عليه واعتزاه القضاء على حياته.

« كنت قد ساعدت بكر صدقي منذ ابرز كفاءته المشهودة في حركات تأديب التياراتيين (الآشوريين) عام ١٩٣٣، وكان هو يخلص لي اخلاصاً مطلقاً ويتظاهر بالتفاني في محبته لي. حتى انه كثيراً ما كان يفتح باب سيارتي لأنزل منها، أو يمسك معظفي لألبسه وكنت لا ارد له رجاءً ولا يرد لي أمراً، فلم يكن هناك والحالة هذه ما يستلزم اساءة الظن به؟! »

بمقتضى السلطة الممنوحة لوزير الداخلية ورئيس الوزراء كان لأحدهما الحق في تحريك الجيش والقاء الاوامر اليه بكل ما يتعلق بأمور الامن الداخلي. اذ كان لوزير الداخلية ان يطلب من وزير الدفاع سوق القطعات العسكرية الى مواقع الاحداث لفض الاشتباكات العشوائية.



جعفر العسكري

وعن بكر صدقي لا ارى مندوحة لي -وقد تطرقت الى علاقته الخاصة بالكيلاني- ان افيد القراء علماء بشيء من حياته العسكرية الاولى، كان برتبة ملازم ثان عندما دب الإنحلال في الجيش العثماني الرابع بسورية فانضم الى جيش الملك فيصل عند اعلانه نفسه ملكاً على سورية. وفي أواخر العام ١٩٢٠ بعد الاحتلال الفرنسي، كانت هناك جماعات صغيرة متخلفة من الضباط، شعروا بان لامستقبل ينتظرهم. عاد بعضهم الى تركيا وبعضهم الى العراق. وكان ثم عدد الضباط العراقيين مكثوا في (الرقعة) حيث شكلت حكومة صغيرة برئاسة الشيخ (حاجم ابن مهيد) بتأييد من

الأتراك. وبين هؤلاء (بكر صدقي وتحسين علي ويوسف العزاوي) وآخرون، ما لبث الشيخ حاجم ان ضاق بهم ذرعاً فطردهم قاتلاً (وانقل هذا عن الدكتور علي الوردى على ما اذكر): روحوا لأهلكم وحصلوا على استقلالهم وخلصونا بحالنا (٢٩).

وعاد بكر صدقي الى العراق. ليبقى عاطلاً مدة ثم استخدمته سلطات الاحتلال البريطاني موظفاً تابعاً لمخابرات القوات البريطانية في المناطق المنازع عليها بين العراق وتركيا. وفي أواخر كانون الثاني ١٩٢١ عند تشكيل الجيش العراقي دخل الجيش بعين رتبته العثمانية

(٢٩) علي الوردى: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. ج ٥ ص ١٥٩. بغداد.

بتوسط البريطانيين كما تؤيده الوثائق. ومن المفيد ان نذكر هنا انه قضى فترةً من الزمن في معهد (بلكاوم) للضباط الأقدمين في الهند وكان محبوباً من ضباط البعثة العسكرية البريطانية عموماً. وربما كان هذا السر في وصوله الى رتبة عقيد من ملازم ثان في ظرف اثنتي عشرة سنة.

س: نلاحظ ويلاحظ قراؤكم انكم تهتمون في احيان كثيرة بالجوانب الخصوصية لمن تتناولونهم. السلوك الشخصي، النشأة، عوامل البيئة والمجتمع في النشاط والحياة العامة. هل من خلفيات لبكر صدقي الضابط؟

لا اعرف الكثير رغم جهود بذلتها. وليس تحت يدي الآن السيرة التي كتبتها له لتكون جزءاً من كتابي الذي يطبع الآن حول القومية العربية. عرفت ان لقب (العسكري) الذي عرف به لايمت الى حرفته، بل الى قرية (عسكر) مسقط رأسه وهي كما تعلمون قرية مازالت قائمة في نواحي كركوك تماماً كلقب ابن قريته الفريق جعفر العسكري وان ميلاده في ١٨٩٠ كان فيها. ذكر اعداؤه وخصومه انه اتخذه تقليداً وحسداً من (جعفر). كما عرفت ان له شقيقاً يدعى (برقي) او (محمد برقي) احيل الى التقاعد وهو برتبة نقيب بسبب هزيمة شنعاء لحقت به وهو يقود رتلاً ضد الشيخ احمد البارزاني في ١٩٣١ فوقع في كمين وكادت سريره تباد على آخرها. ولم ينقذه من المحاكمة غير تشفع جعفر العسكري. عرفت ايضاً ان لبكر صدقي زوجة من آل الزهاوي مطلقة وله منها ابنة ولا ادري ايهما تدعى بلقيس. لكنه عاد فتزوج بغانية المانية او نمساوية عندما حقق انقلابه وتم زفافه في بغداد بمظاهر فخمة. كما عرف بمقدرة فذة على شرب مقادير كبيرة من الكحول دون ان يظهر عليه اثر، فيبقى محافظاً على وقار واتزان. والتقارير تشير الى انه ضابط كفوء. ووصفه الجنرال (هاي) رئيس البعثة العسكرية البريطانية بتقرير له الى وزارة الخارجية البريطانية بعد الانقلاب بهذا:

« ١٠٠٪ من ضباط الجيش العراقي يهابونه ويخشون صولته، و ٧٥٪ يقدرون كفاءته. و ٦٠٪ يكرهونه و ١٠٪ تقريباً يحبونه. ولا يجرؤ على اظهار الكره له اكثر من ١٪ » وفي علاقته مع الالمان صميمة، والوزير المفوض الالمانى فريتز غروبا صديق شخصي له. « وفي عهده نشأت الصلات الوثيقة التي استقطبت في عهد الكيلاني. مما اذكر من مظاهر تلك العلاقات - باستثناء صفقات السلاح. التسهيلات العجيبة التي كانت تبذلها الحكومة الالمانية لتشجيع الزيارات والسفريات السياحية العراقية. كان سعر الدينار العراقي الرسمي ١٢ ماركاً المانياً الا ان السلطات الالمانية رتبت صرفه بسعر ٢٤ ماركاً للزوار والسياح. وفي زمنه ادخلت اللغة الالمانية الى جنب اللغة الانكليزية على الدراسة الثانوية كبديل عن الفرنسية. وكان بكر

صدقي قد دعي رسمياً لحضور مناورات الجيش التركي ثم الالماني فاغتيل وهو في طريقه لحضورها في بهو مطار الموصل.

المذابح: سدهيل

س: هل لكم ان نحدثونا عن مذبحه (سميل) ومدى ضلوع بكر صدقي فيها؟ كان ذلك ايام وزارة الكيلاني، وقد شرحتم في الحلقات الماضية طرفاً عن موقفه منها. هل كان هناك تنسيق بين بغداد وبين بكر صدقي؟ من المؤسف اننا لا نملك عنها غير المصادر العراقية. وهي بين نفي حصول المذبحه نفيّاً تاماً. وبين تبرئة الجيش منها؛ وبين وصفها بحركة تأديب لعصاة خارجين عن القانون صغيرة الحجم الى حد ما استدعت في اوائها الحكومة الى الاستنجااد بقوانين الطوارئء المستخدمة عادة في قمع الانتفاضات.

هذا صحيح. كانت قضية سوء تفاهم صغيرة بالاساس لا يقتضي حلها الا قليل من الحكمة والصبر والمرونة من اية حكومة رشيدة وقد أتيت بشرح وافٍ لهذه النقطة فيما سلف. الا ان حكومة الكيلاني وقتذاك كانت تمزقها الخلافات وتتعرض لهجمات المعارضين الاقوياء وهي تترنح والجميع يتوقعون سقوطها حال عودة الملك من الخارج. اذ ذاك برزت المشكلة الآشورية فكان هبة غير متوقعة استخدمتها بتضخيمها وسكب الزيت عليها عذراً للبقاء في الحكم فبادرت الى شحن الرأي العام العراقي ضد هذه الاقلية وألّبت الصحافة كلها. ودفعت نوابها الى القاء الخطب النارية في المجلس مطالبة بانزال اشد العقاب بهذه الفئة معظمة الخطر الآشوري لتبدو البلاد وكأنها معرضة لخطر عدوان خارجي، وانه من الضروري بقاء الحكومة لمعالجة الازمة حتى لكأن مصير العراق يتعلق بها. كانت مؤامرة نجسة للتشبيث بالحكم انتهت بمأساة مروعة. ونجح الكيلاني في البقاء.

وكان لا بد من التغطية بعد وقوعها عن طريق التعمية ثم العبث بالوقائع. حتى بدت مع تمادي الزمن وكأن النسخة الرسمية التي اعدتها الحكومة لها- المصدر الوحيد للكتاب والمؤرخين المغرضين منهم والبسطاء. وتواصلت التغطية ومنع دخول ما كتب عنها باقلام محايدة حرة اجنبية الى العراق. ووجدنا بينهم من ينكر حصول جريمة الابادة كالاستاذ عبدالرحمن البزاز احد رؤساء حكومات العهد الجمهوري ففي كتابه «العراق من الاحتلال حتى الاستقلال» المطبوع في ١٩٥٥ وجدناه يقول ما نصه: «ان ما سمي بمذابح الآشوريين انما كان بنتيجة تواطوء الصهيونية والمسيحية ضد الدولة الاسلامية الناشئة». الا انه عاد بعد

السنة ١٩٦٧ في طبعة ثالثة ليعترف بدور الجيش في تلك المذابح. السبب؟ في هذه السنة كان ينقم على الجيش العراقي لأن ضباطه ازاحوه من رئاسة الحكومة.

ووجدنا كاتباً (تقديماً) ماركسي النجّار. ومترجماً لكتب عديدة شهيرة هو الاديب سليم طه التكريتي، يحذف صفحات كاملات حول المأساة عند ترجمته كتاب ستيشن لونجر «العراق ما بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠» وهناك امثلة كثيرة.

وكانت مؤامرة نفي وليتها كانت مؤامرة صمت.

حُرّق حجاب الصمت هذا بكتاب الفه رياض رشيد ناجي الحيدري وطبعه في القاهرة ١٩٧٧ فيه تنويه عابر بالمذبحة لا يغطي ذبلاً من ابعادها. وجاء الاستاذ عبدالمجيد حسيب القيسي ليهتك الستر عن مؤامرة التعتيم بكتابه المطبوع في لندن ١٩٩٩ الموسوم (الآثوريون) وليضع القضية الآشورية في مكانها الحقيقي من تاريخ العراق ويدين فاعليها بلسان الحق والعدالة. رغم اعتذاره بقصور متآت عن قلة مصادره وهو الداء الذي ابتلي به كتابنا عموماً.. الكسل والاهمال في تعقيب المراجع وقد اقر هو بها فلا لوم عليه وسأختصر أنا في المقدمات وهي ضرورية وأستدرك ما فات الأستاذ القيسي.

طار صواب الآشوريين عندما علموا بأن العراق سينال استقلاله في اواخر ١٩٣٢. وتوهما ان الانكليز الذين اعتبروهم حماتهم سيتخلون عنهم فأقدموا على اعمال صيبانية حمقاء بتحريض عدد من ذوي الرؤوس الحارة. كذب هؤلاء على فريق منهم بقولهم ان سلطة الانتداب الفرنسية في سورية قد اعدت لهم اراضي شاسعة لاسكانهم فقاد اثنان منهم (ياقو) و(لوقو) زهاء الف وخمسائة مسلح عبر الحدود الى سورية. وهناك تبينوا ان لاصحة مطلقاً لما قيل لهم. واعيدت اليهم اسلحتهم فحاولوا العودة من حيث اتوا الى بيوتهم واصطدموا بالجيش المخندق. لم يعلم من اي جانب صدرت الاطلاقة الاولى. لكن حصل اشتباك وسقط قتلى من الجانبين. فارتد الآشوريون على اعقابهم ولاحقتهم الطائرات ووقعت بهم خسائر. ثم وجدوا لانفسهم موضعاً ضحلاً من النهر فعبروا وانتشروا جماعات صغيرة او فرادى كل يقصد منزله. وفي الخامس حتى التاسع من شهر آب جدت القوات العسكرية بتعقيب هؤلاء وتمشيط جبل بيخير وكانت تعثر هنا وهناك في شعاب الجبل على افراد منهم فترديهم قتلى. وقد اتضح ان قيادة الجيش لم تكن تريد اشغال نفسها بالقبض الذي يستدعي اجراء تحقيق وما الى ذلك. وكائناً من كان مصدر هذه الاوامر في حالة وجودها فقد كانت قيادة الجيش على ثقة بان كل ما تفعله بحق الآشوريين سيكون موضع رضى الرأي العام الذي شحن شحناً تاماً بانباء الفظائع الوحشية التي ارتكبها الآشوريون في موقعة (الديره بون) المشار اليها وقد هولت فخرجت عن كل معقول.

ذكر الميجر ألفري في شهادته المقدمة لعصبة الامم وهو عضو البعثة العسكرية البريطانية وكان ملحقاً بقوات بكر صدقي معيناً بصفة ضابط ارتباط للرتل. انه وقع على جثث خمسة عشر آثورياً كان واضحاً أنهم قتلوا بعد استسلامهم فاتهم بهم (بكر صدقي) فأجابه هذا: ان تنفيذ هذه الاعدامات كانت انتقاماً للفظائع التي ارتكبتها الآثوريون في (الديره بون).

تم اعدام حوالي ثلاثمائة في جبل بيخير، وتلك البداية.

في قاطع دهوك كان جميع الآثوريين تقريباً موالين للسلطة. لم يقدموا على اي عمل عدائي او مساهمة في حماقة (ياقو). وفي قصبة دهوك كانت ترابط قوة عسكرية صغيرة. الا ان ضباط الاستخبارات كانوا يلغون القبض على الآثوريين البالغين دون علم من ادارة القضاء او ابلاغها وهو اجراء غير قانوني. اذ لم تكن السلطة بيد الجيش. ولم يكن في حينه مرسوم للاحكام العرفية حيث تنزع السلطة من الادارة وتسلم للجيش. واشنع عمليات القتل كان ضحاياها اولئك التعساء الذين شاء سوء حظهم ان يكونوا تحت متناول السلطة العسكرية، ابرياءً تماماً من اية مساهمة في نشاط (ياقو) لا فكرة لديهم اطلاقاً عما جرى. بالنسبة لضباط الجيش كان يكفي بانهم آثوريون فيجمعون في السجن ثم يحملون في لوريات على دفعات تتألف الواحدة من ثمانية الى عشرة، الى ظاهر المدينة ويؤمرون بالخروج ليحصدوا حصداً بصليبات رشاش. وفي مناسبة واحدة على الاقل مرت سيارة مصفحة ثقيلة على اجساد الموتى والمحترضين. وبالنظر الى الشهادات المضبوطة والمرفوعة الى مجلس العصبة، يظهر ان عدد من قتل من اهل دهوك والقرى المجاورة يناهز ثمانين رجلاً بينهم ثلاثة من الكهنة. لكن المصادر الآشورية تقدر العدد باكثر من هذا.

س: اسمحوا لي بالمقاطعة. انا لا اريد التشكيك قط فيما قلتم وفيما ستعرضونه. تعودنا منكم الدقة والامانة في النقل وتحاشي المبالغة والتهميل وما تتحدثون به قد يستدعي اسناداً وتساؤلاً من القراء عن مرجع معتمد فهذا شيء جديد لا عهد للقراء بمثله.

كان علي ان استنجد بملفات ووثائق عصبة الامم للحصول على الشهادات المحفوظة هناك فضلاً عن جميع التقارير والخطابات والمحاضر، وانا بصدد تأليف كتابي الذي اشرت اليه قبل قليل. وقد حصلت عليها كلها مصورة وهي في حوزتي فضلاً عن ذلك الكتاب الذي افتقده الاستاذ (عبدالمجيد القيسي) ولم يعثر عليه فقد ترجمته نصاً وسيكون جزءاً من كتابي وهو بعنوان (مأساة الآشوريين The Tragedy of the Assyrians) وقد طبع في العام ١٩٣٥ ونسخه ميسورة وان كانت ممنوعة في العراق. هذا فضلاً عن عدة تقارير صحفية انكليزية

وفرنسية وسويسرية. واهمها تقرير الصحافي المعروف «ارنست مين» وتلك هي مصادر رئيسية وهناك مصادر ثانوية اخرى وهذا ما استطيع قوله جواباً على السؤال.

أعود الى روايتي. فأقول وكنت ابن العاشرة او الحادية عشرة وقتذاك في الموصل اذكر جيداً حالة الرعب التي سادت مسيحيي المدينة. وهذا ليس مما يعنينا الآن. لاشك ان الارهاب الذي حل في دهوك كان مضاعفاً. في بعض الاحيان كانت الجثث تبقى في العراء ولا تدفن فتتناهشها الذئاب والضباع. لكن مهما بلغ سوء الحال هناك. فانه لا يمكن ان يقاس بما ادخر لقرية (سميل) في الحادي عشر من شهر آب.

يقول المقدم (رونالد سيمپل ستافورد) المفتش الاداري في الموصل مؤلف كتاب «مأساة الآشوريين»

«كنت في مكنتي صبيحة يوم ١٥ آب عندما عاد حكمت بك (سليمان) من جولته. دخل غرفتي وهو في حالة انهيار تام. فقد جاء لتوه من (سميل) وشاهد ما شاهد. هذا التركي الحديدي الاعصاب نالت منه المناظر المريعة التي رآها فلم يصمد واصابته حالة من الانهيار النفسي».

تعلم اين تقع (سميل). تقع على الطريق الرئيس الى زاخو وتبعد عن دهوك زهاء ١١ كيلومتراً وهي تابعة لادارة هذا القضاء. كانت في حينه اكبر القرى المجاورة. وفيها حوالي مائة بيت آشوري وعشرة بيوت عربية وقد يبلغ عدد سكانها سبعمائة معظمهم من قبيلة الباز وقليل من قبيلتي تباري العليا والديز.

اخذ شعور بالقلق يستولي على اهالي القرية بشكل مطرد وكانوا ممن اعلن ولاءه للحكومة في اجتماع عقد في متصرفية اللواء بالموصل قبل اسابيع قلائل. هؤلاء مكثوا في سميل ولم تبلغهم انباء موقعة الديره بون.

في الثامن من آب ظهر في القرية قائممقام زاخو «عبدالحميد الدبوني». مع شاحنة مملوءة جنوداً. ولم يكن هناك اي مبرر لوجوده في منطقة لاتقع ضمن ادارته ولم يقدم دليلاً مقنعاً لقيادته هذه الفصيلة من الجنود فهو موظف اداري. دخل القرية وجمع الآشوريين وطلب منهم تسليم اسلحتهم للجنود قائلاً انه يعرف جيداً بأنهم موالون للحكومة وقد يحتمل ان ينشب قتال بين المتمردين الآشوريين وقوات الحكومة وربما زين لاهالي سميل المشاركة فيه في حالة وجود السلاح عندهم، مؤكداً لهم بقول ظاهره الصدق والحكمة وباطنه الكذب الصراح بأنهم سيكونون في مأمن بحماية العلم العراقي الخفاق فوق مخفر الشرطة. فسلم الآشوريون كل ما لديهم من قطع السلاح دون ان يخالجهم شك في النوايا وحملها الجنود وذهبوا بها في اليوم

التالي التاسع من آب اقبلت الفصييلة من الجنود ذاتها ولم يكن القانممقام بينهم لينزعوا اسلحة القادمين الجدد الذين جاؤا من القرى المجاورة. فاخذوها وذهبوا بها.

ومر اليوم التالي وهو العاشر هادئاً ولم يقع حادث. خلا قيام بعض الاعراب والكرد بنهب القرى المجاورة المتروكة، وبعض اطراف سميل، مجردين ارض الدريس العامة من محصول القمح والشعير ولم يكن بوسع الاهالي ان يفعلوا شيئاً وهم عزل.

ثم بدأت الحقيقة البشعة تنكشف تدريجياً عما سيقع. لم يعد الامر قاصراً على متابعتهم عمليات السلب والنهب فقد حظر عليهم عريف شرطة المخفر امتراء الماء من نبع القرية بل من المجري الرئيس القذر ثم شاهدوا من بعيد الجنود وهم يصرعون بالرصاص اسراهم الذين اقتادوهم من دهوك. كما شاهدوا الاسقف (ساده) يقاد خارج سميل من قبل الشرطة الى حيث لا يعلمون.

في الساعات الاخيرة من اليوم الحادي عشر كانوا يتابعون على ضوء القمر جيران قريتهم من العرب يستاقون قطعانهم وحيواناتهم ففتح بذلك اعينهم وربما ادركوا المصير الذي ينتظرهم.

في الوقت الذي امر عريف الشرطة الآشوريين المحتممين بالمخفر بالخروج منه والذهاب الى القرية. لاحت فجأة شاحنات عسكرية ومصفحات تدنو من القرية فاستداروا فشاهدوا شرطياً ينزل العلم العراقي من الصارية.

ونزل الجنود وانتشروا بنسق المعركة وفتحوا النار على الآشوريين العزل من دون سابق انذار فسقط عدد وبينهم نسوة واطفال وفر الباقون الى البيوت ليستتروا ولم يبق احد في الدروب كان الجنود على ثقة تامة بان القرية خالية من اي سلاح ناري.

بعد بضع دقائق دخل القرية الملازم (اسماعيل عباوي توخله) راكباً سيارةً وتوجه الى الجنود آمراً بأن يمسكوا عن قتل النساء والاطفال. ثم امرهن بالخروج من البيوت مع اطفالهن. والتوجه الى مخفر الشرطة فاطاع اكثرهن.

كان الرجال عزلاً. ولو كان سلاحهم بيدهم فمن المؤكد ان رجال (اسماعيل عباوي) سيترددون في اخذهم بقتال متكافي. وهي خطة مرسومة لا تحتاج الى برهان بدأت بتجريدتهم من السلاح كما لم يكن هناك احتمال لنجدة لو تدخل خارجي.

ونصبت اعداد الرشاشات رشاشاتها وصويتها الى نوافذ البيوت وفيها الآشوريون التاعسون الذين سمرهم الرعب وشلهم وقد اجتمعوا في الغرف التي غصت بهم. وفتحت الرشاشات نارها حتى سقطوا جميعاً ولم يبق واقف على رجليه. وفي بعض الاحيان اتخذ

تعطش الجنود للدماء طابعاً حماسياً نوعاً ما . فكانوا يدخلون على البيوت ويجرون الاحياء والمحتضرين جراً الى الخارج ويطلقون النار عليهم او يخدمون انفسهم ضرباً وركلاً ليقتلوا جثثهم الى الكدس من الاجساد الهامدة.

من المناظر التي سجلتها الشهادات. هناك (كبريل) مختار القرية. هتف بحياة الملك مسترحماً قائلاً ان ابن اخيه (عززه) معاون شرطة وابرز واثق جنسيته العراقية فمزقت امامه وقتل نخلًا بالرصاص، والقي الشرطة من المخفر الى الجنود بكاهن يدعى (شموييل) فشد حبلٌ حول عنقه وانزله الجنود ركلاً باحذيتهم وسحبوه ثم اردوه قتيلاً.

وفيم كانت المجزرة تتواصل والدماء تلتطخ باحة المخفر امرت النسوة الآشوريات بازالة آثار الدماء فاطعن لبرهة ثم ثارت نفوسهن وأهبن بالجنود بأن يديروا فوهات الرشاشات اليهن فهن يفضلن الموت.

بعد هذا ساق الجنود ما تبقى من الاحياء الى وهدة وقضوا عليهم رمياً بالرصاص. ثم اكتشفوا بضعة رجال اخفوا انفسهم بين النساء ومنهم من ارتدى ثياباً نسائية فاخذوهم وقتلوهم.

ورحل الجنود في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم. وعلى اثر رحيلهم دخل الاعراب الذين كانوا على مبعدة فاكملوا نهب ما ابقاه الجنود لهم.

وفي ساعة متأخرة من مساء اليوم عنه عاد الجنود وكان عريف المخفر قد انبأهم بوصول عدد من الآشوريين والتجائهم الى المخفر فتعقبوهم وفتكوا بهم.

في صباح اليوم التالي شاهدت النسوة الفاقدمات عقولهن الجنود يعودون لدفن القتلى. ثم جمعت الجثث والقيت في اخدودٍ قليل العمق واهيل عليها شيء من التراب.

بحسب التقارير العسكرية تم دفن (٣٠٥) من الذكور و(٤) من الاناث و(٦) اطفال وكثير من قتلى الذكور كانوا ايفاعاً وصبياناً لم يصلوا حد البلوغ. كما اصيب عشرون من الاطفال والنساء بجراح.

يقول ستافورد:

«رأيت بعيني فيما بعد طفلاً اصيب بطلق ناري في رسيه معاً. اذ كان والده الذي قتل يحتضنه بين ذراعيه».

وكملت المساة في تلك الليلة بالاعتداء على اعراض عدد من النسوة من قبل عريف المخفر وشرطته.

في البدء لم يكن بالوسع انكار وقوع المذبحة. لكن اذيع في كل مكان بان قتالاً نشب بين

الآشوريين ورجال القبائل العربية وان القتل هم من الطرفين ثم عدل عن هذا الزعم بسبب احتجاج قام به عجيل الياور شيخ مشايخ شمر. فقبل انها كانت من عمل الشرطة غير النظامية (المرتزقة) الذين جندهم (جلال بابان) وزير الدفاع وهو كذب محض لان هؤلاء لم يدخلوا قط معركة. والقنول قامت بها سرية رشاشات مرتبطة رأساً بأمر المنطقة (بكر صدقي). وهو البطل الذي صفقت له الدهماء في الموصل وفي بغداد عندما دخلها دخول الفاتح راكباً سيارة عن يمين الكيلاني رئيس الحكومة. انزلته الحكومة منزلة المنقذ وقلدته وساماً ومنحته ترفيحاً.

حقاً أنه لم يكن في (سميل) بل كان في الموصل. الا ان الاوامر اوامره. ونفوس الجنود مهياة والرأي العام مستعد لقبول اي اكدوية رسمية وانزالها منزلة المسلمات.

قال الذين شهدوا المذبحة والذين زاروا القرية، بان مواراة الجثث في خندق قليل العمق وعملية الدفن التي جرت بشكل اعتباطي سببت انبعاث الروائح العفنة من الاجساد المتفسخة في حر آب اللاهب وبشكل لا يطاق واجتذب الى القرية كل ذبابة وحشرة وبائية من مسافة اميال. في هذا الجو الذي يعجز القلم عن وصفه عاش لمدة اسبوع (١٠٠٠) امرأة وطفل صعقهم الرعب واطار صوابهم مشاهدة آباتهم وازواجهم واخوانهم يبادون، وكل مالديهم من قوت وشراب قليل من حبوب البطيخ المجفف وكمية شحيحة من الماء. ويستذكر (ستافورد) وخبير الاسكان (تومسن): «عندما قمت بزيارة للقرية في السابع عشر كان منظر النسوة المفجوعات واطفالهن من المناظر التي لانساها ما حييت وانا الذي قضى ثلاث سنوات في اهوال خنادق الحرب بفرنسا».

بذلت السلطات كل مجهود متصور لاسدال غطاء كثيف على المذبحة وفرضت رقابة لفترة من الزمن على المراسلات الخارجية الا ان مجزرة كهذه لا يمكن ان تبقى سراً فقد تسربت انبائها ونشرت تفاصيل لها ودقائق صحف (بيروت) قبل ان تعلم (الموصل) عنها شيئاً. ثم بدأت الحكومة بالاقرار بحصول بعض القنول والقت تبعتها على رجال العشائر والشرطة غير النظامية. بالاخير وجدت ان هذه الوسائل لاتجدي. فنهض (ياسين الهاشمي) المندوب العراقي الى عصبة الامم ليقر «بانتهاكات ارتكبها الجيش العراقي وانها تستحق الادانة الشديدة». واكد لمجلس العصبة بان فاعليها قد نالوا ما يستحقون وكان يكذب طبعاً. فما وقع فعلاً هو ان الوحدات العسكرية استقبلت في الموصل وبغداد استقبال الفاتحين وشحن الكيلاني (غازي) ولي العهد الى الموصل هو يحف به من اليمين وبكر صدقي من اليسار ليقلد وساماً لرؤية القطعات المشاركة في اثناء عرض عسكري وحصل بكر صدقي على ترقية استثنائية وعندما وصل بغداد وشق شوارع العاصمة بسيارة عن يمين الكيلاني حيثه الجموع الحاشدة وراحت

تهتف بحياته وتنشر عليه الورد.

رغم اعتراف الحكومة رسمياً بالمذابح فقد بقي المؤرخون والكتاب العراقيون ينفون حصولها.

س: بهمنا موقف الكورد من هذه الاحداث، فالمذابح وقعت فوق اديم كوردستان وفي

مجتمع الاغلبية الكوردية السكانية.

كاد يكون شبه اجماع من التقارير والشهادات

والكتب التي الفها كتاب وصحفيون اجانب. على الاشادة بالموقف الكوردي. كان هناك اجماع تقريباً بان العشائر الكوردية لم تستجب للتحريض ولم تخضع للضغوط التي جرت عليها من الجهات الرسمية للمشاركة في المذابح او اقامتها في اية منطقة يتواجد فيها الآشوريون. ويذكر (ستافورد) و(ارنست مين) ان الكورد بصورة عامة كان مسلكتهم افضل بكثير من المتوقع. في مواضع ثلاثة او اربعة ارتكبت جريمة قتل منفردة. لكنهم شاركوا في نهب عدد من القرى. من الناحية الاخرى سجلت للكورد مواقف مشرفة سيما قيامهم بحماية النسوة والاطفال. ونوه بصورة خاصة بموقف (محمد آغا گرمأوه) الذي اظهر نبلاً وشهامة. وموقف قائممقام العمادية (عبدالمجيد اليعقوبي) وهو من اكراد كركوك، نجح في ابعاد قضائه عن اي عمل من اعمال العنف وكذلك كان الموقف في كل من قضائي عقرة والزيبار.



بكر صدقي

يد بكر صدقي

س: لكن ما الذي يثبت صدور الامر بالمذبحة من بكر صدقي؟ الم يكن ذلك نتيجة

تصرف فردي من أمر السرية؟ هل هناك بينات او وثائق تربط بكر صدقي بها ام

هو مجرد افتراض؟

بل قل تحصيل حاصل. وان كنت تقصد وجود امر خطي يحمل توقيعيه، فكلاً. ان كنت

تقصد وجوده شخصياً واشرافاً مباشراً، فكلاً. ان كنت تبحث عن شهود عيان يؤيدون اعطاء

الاورامر بذلك فكللاً. لكن هناك ماندعوه نحن الحقوقيين (بالادلة الظرفية) التي تؤلف عند اجتماعها وتألّفها دليل اثبات قاطع لاشائية فيه يأخذ به القضاء ويحكم بالادانة بوجهه. واريد ان اقرب لك ولقرائنا المعنى المقصود من الادلة الظرفية. ولان بكر صدقي والضباط الذين ارتكبوا المجازر لم يجز معهم تحقيق ولم يقدم اي منهم الى محكمة لذلك لم يتح المجال لوزن تلك الادلة الظرفية التي نسميها احياناً (بالقرائن) ولم يخطُ خطوة واحدة ليثبت بصورة رسمية ان هذا القائد العسكري او غيره مدان بها.

نحن الحقوقيين نعرف جيداً بان اي حادث قتل عمد مخطط له ومدروس، يتعذر بل ينذر جداً ان تجد له ادلة مباشرة كشهود عيان او وثيقة اقرار او مخطط مكتوب. وتبعاً لذلك عليك ان لا تتوقع صدور أمر كتابي من بكر صدقي او الكيلاني بتنفيذ هذه الجريمة. ولا ان نجد مثيلاً لهذا يثبت بان بكر صدقي اتفق مع قائممقام زاخو على الذهاب الى سميل وجمع الاسلحة. ومن وجهة النظر القانونية هناك فرق عظيم بين (الاستنتاج) وبين (التخمين) عندما يتطلب منا وأن الادلة الظرفية وهذا الفرق يتضح من المثل التالي:

«تصور انك تقطع بالسيارة الطريق بين الموصل وبغداد. فاعترضتك على حافة الطريق جثة بدويّ قتيل بطلق ناري. سيكون (تخمينك) انه قتل على يد واحد من العرب. لكن لو انك رأيت احدهم يسرع مبتعداً عن محل الحادث ويده بندقيّة متجهاً الى القرية المجاورة، فسيكون (استنتاجك) بأن القتل جرى بيد واحد من افراد تلك القرية».

وفي كتابي (حول القومية العربية) الذي اشترت اليه. استطعت جمع (١٩) دليلاً ظرفياً يثبت بان المذبحة كانت من اعداد وتخطيط وسبق تفاهم بين الحكومة المركزية وقائد القوات بكر صدقي وقائممقام زاخو. لايسعني هنا ايرادها والا خرجت عن الموضوع الاصيلي الا اني اضعها في خدمة كل من يغار على سمعة الكيلاني وبكر صدقي.

س: ماذا عن الموقف البريطاني من المذابح؟

ها هنا موطن الغرابة. درست الوثائق الرسمية البريطانية وقارنتها بالاجراءات الدبلوماسية وتحركات مسؤوليهم الذين هم في خدمة الدولة العراقية. وكلها كشفت لي عن مقدار المساندة الادبية والدعم الدبلوماسي الذي حظيت به وزارة رشيد عالي القومية، من البريطانيين وقد بدا التعاون واضحاً على اسدال الستار على المجازر والجرائم. في ذلك الحين كانت بريطانيا تحرص اشد الحرص على سمعة الدولة المستقلة الجديدة التي رشحتها لعضوية عصبة الامم عندما قدمتها لتلك الهيئة الدولية والعالم قبل أشهر وجيزة كدولة ناضجة سياسياً وبحكومات

رشيدة وفيه بتعهداتها الدولية وعهوده للأقليات العنصرية والمذهبية.

من ناحية ثانية كان في وزارة الخارجية البريطانية تخوف حقيقي من فقدان بريطانيا نفوذها في العراق بتصاعد المد القومي الذي تركز دعائمه على كره البريطانيين ويستقطب هدفه حول ازالة نفوذهم بله ازاحة كابوسهم عن العراق والتظاهر بالعداء لكل من ينتسب اليهم او يلوذ بهم. ولذلك حاولت بريطانيا جهدها ان تنأى بنفسها عن الآشوريين في محتهم. ووقفت موقف



بکر صدقي مودعاً حکمت سليمان في
أقصى اليسار. فريتز كرويه في أقصى
اليمين

متفرج وناصح لا مصلحة له عند الطرفين. بل حاولت اكثر من مرة اثبات حسن نيتها واستعدادها لخدمة حكومة الكيلاني. فمثلاً استجابت فوراً لطلبها تزويد الطائرات العراقية بالقنابل التي امطرت على الآشوريين اثناء محاولتهم عبور النهر. كما عاونت الدبلوماسية البريطانية في كتابة الخطاب الذي القاه (ياسين الهاشمي) بالمناسبة ووقفت سداً حائلاً دون مضي عصبة الامم في تحقيقاتها. وبنتيجه تلك المساعي التي بذلتها حكومة (رامسي ماكدونالد)^(٣٠). اكتفت العصبة باقرار

العراق رسمياً بوقوع هذه الجرائم وبوعد بانزال العقاب بمرتكبيها وحفظت القضية بالبينات والشهادات في ارشيفات العصبة، حتى ازلت الغبار عنها وتعقبها شخصياً.

واری ختاماً لهذا ان اثبت تعليقاً هامشياً على وثيقة رسمية لمستتر (وارد) J.G. WARD احد المسؤولين الكبار في وزارة الخارجية البريطانية. إثر إنقلاب بكر صدقي كتب:
« سادت الدهشة ضباط الجيش العراقي عندما سمحت لهم حكومة صاحب الجلالة

(٣٠) جيمس رامسي ماكدونالد (١٨٦٦-١٩٣٧) من الساسة البريطانيين، تزعم حزب العمال بين الأعوام ١٩١١ و١٩١٤، ثم عاد ليتزعمه ما بين ١٩٢٢ و١٩٣٧ وهو عام وفاته. كان واحداً من الإشتراكيين الفاييين وقد ترأس الحكومة العمالية البريطانية في ١٩٢٤، كما ترأس حكومة إئتلافية بين الأعوام (١٩٣٠-١٩٣٥).

البريطانية بالخروج سالمين من هذا الحدث (يقصد مجازر آب) حتى صغار الضباط الذين اشرفوا بانفسهم مثلاً على مجزرة (سميل) فقد نجوا حتى من عقاب انضباطي ولا اقول الطرد. ان تلك الثقة والاعتماد اللذين وضعتهما الحكومة في الجيش لغرض حفظ النظام والامن الداخليين باستخدامه في الحرب الخفية على كراسي الحكم في السنوات التي تلت المجزرة وبالاسلوب الذي سار عليه في

استخدام القوة البربرية دون قيد على الطريقة التركيبية. بل برضى وتشجيع، بلغت ذروتها بمذابح الجنوب الشيعي التي قام بها عين الطاقم، بحيث دخل في روع هؤلاء الضباط انهم قادرون على انتزاع السلطة المدنية بعين الطريقة التي اتبعتها الجيوش مؤخراً في اقطار اكثر تقدماً».



اللواء بكر صدقي

وكتب (وارد) مذيلاً برقيسة وردت وزارته من السفير البريطاني ببغداد بعد الانقلابات العسكرية التي حصلت خلال ١٩٣٧-١٩٤١.

«بالانقلاب العسكري الذي اقدم عليه بكر صدقي وما عقبه من انقلابات متتالية اخرى. اكانت ستحصل لو لقي بكر صدقي والضباط المشاركون في مجازر الآشوريين والجنوب الشيعي عقاباً». وبهذا لا يمكننا قط ان ننظر الى ما حصل في آب كمجرد مأساة آشورية بل باعتبارها واحدة من الكوارث الوطنية الكبرى.

مذابح في الفرات الأوسط

س: ماذا كان دور بكر صدقي في الجنوب الشيعي؟ صورتهم الامر او بالاحرى جعلتمونا نتصور من التنويهات العابرة -ان ما حصل في الفرات الاوسط من انتهاكات في عهد الكيلاني- الهاشمي. وعلى يد بكر صدقي- يكاد يساوي ما حصل في آب ١٩٣٣. هل لكم ببعض ايضاح؟

هذا ما انتسويت الحديث عنه. بل ربما فاق هناك ما وقع في آب ١٩٣٣، الا اننا مع الاسف الشديد لانملك احصاءات ولا وثائق كتلك التي توفرت لدينا لمذابح آب وربما عاد ذلك في نظري الى طبيعة الانتفاضات العشائرية واطهرها ثورتا الرميثة وثورة عشائر سوق الشيوخ وموقعة الدغايرة فهنا لا توجد اقلية طائفية او عنصرية تعهدت هيئة دولية ودولة معظمة برعايتها بل هي الاغلبية الشيعية، فلا محل ولا ضرورة هناك لتأليب الرأي العام وتجنيدده بقصد كسب التأييد الشعبي للاجراءات الصارمة اللانسانية التي تباشرها الحكومات في معالجة الثورات والانتفاضات.



حكمت سليمان

كان يتزعم تلك الانتفاضات رؤساء العشائر المتحزبون لهذا الفريق او ذاك من رجال الطبقة الحاكمة المضطربة على السلطة. يستخدم بعضهم لاسقاط هذه الوزارة ونصب الاخرى. ويستخدم الاخرون لعين الغرض وتدوم لعبة جر الحبل ولا يسقط تحت اقدام اللاعبين غير الفلاحين ورجال القبائل البسطاء. فمن قواعد اللعبة ان يكون اللاعبون مصانين عند الحساب، وسواء في الامر اكانوا مع الخاسر او الرابح. وقلما كان الكتاب والمؤرخون يعبأون بتسجيل تفاصيل عما تحدثه اجراءات القمع العسكرية من خراب ودمار وما يزهق خلالها من ارواح. ونحن لانملك ارقاماً او احصاءات بالقتلى الذين هلكوا في عمليات التآديب او اخماد الثورات في الفرات الاوسط خلال العامين

١٩٣٥-١٩٣٦. على اني عثرت مثلاً في حاشية لكتاب عبدالرزاق الحسيني وقد اشرت اليه سابقاً. على رقم تقديري لحصيلة القتلى في معركة احتلال سوق الشيوخ قدره له احد الثقات المطلعين بـ (٦٠٠) قتيل خلف الجرحى. كما وجدت في احد المصادر ان قصبة (الرميثة) ضربت ضرباً قاسياً بالمدافع وبالطائرات بحيث لم يجد الجيش الذي دخلها حيواناً يسعى على اثنين او اربعة. وقد سبق لي ان وصفت ما حل بسوق الشيوخ وانا شاهد عيان. وما حصل للدغايرة وهو عين ما حصل للرميثة. وقد تولى الفريق بكر صدقي سير العمليات كلها بوصفه قائد القوات العسكرية. اقول اسرع (جعفر العسكري) وزير الدفاع الى المنطقة بعد ان بلغته انباء تفيد بأن هناك اوامر صادرة من القيادة بوجوب قتل الاسرى من رجال القبائل، بل حتى صبيانهم، فتح تحقيقاً وكتب تقريراً. ماذا كان مضمون هذا التقرير؟ لا احد يدري. يقول



في مخيم بالقرب من العقبة في العام ١٩١٧ الفارس الأول من اليمين
جعفر العسكري و يليه فيصل الأول

الحسني انه وبعد اغتيال بكر صدقي، سمع (رستم حيدر) رئيس الديوان الملكي يلوم نفسه لانه كان بين من كذب شائعة قتل الاسرى، في حين انها كانت حقيقة وهو عين ماجرى في جبل بيخير.

من الفظائع الفردية التي وجد لها شهود عيان. ماسجله (هاشم العلوي) مدير الشرطة العام. قال القى الجيش مرة القبض على ثلاثين من الفلاحين فامر (بكر صدقي) بقتلهم رمياً بالرصاص وبمعرفته قامت رئاسة بلدية الديوانية بدفنهم في حفرة واحدة. واورد الاستاذ سلمان الصفواني في كتابه (محكوميتي) اسم اثني عشر شخصاً جرى اعدامهم رمياً بالرصاص دون محاكمة. كما ذكر القاضي عبدالرحمن خضر وهو احد عضوين مدنيين في المجلس العرفي العسكري المنعقد في الديوانية. ان قائد القوات بكر صدقي طلب اصدار حكم الاعدام على شخصين (ذكرهما بالاسم) باعتبارهما جاسوسين بريطانيين (قديمين) الا ان المجلس برأهما وزودهما ببطاقتي سفر بالقطار. فما كان من بكر صدقي الا وارسل من يرديهما رمياً بالرصاص وهما يهيمان بركوب القطار.

هناك شهادات وروايات مماثلة الا اني اسقطها الآن لصدورها عن جهات قومية معادية لبكر صدقي بالاصل. لكنني لاستطيع اغفال رواية محايدة وردت في كتاب (الملوك الهاشميون) للكاتب الانكليزي (جيمس موريس) عن ثورات الجنوب الشيعي قال:

«جرى سحق هذه الانتفاضات بوحشية، وبلا رحمة. وبطلها بكر صدقي ذلك الذي دبر مذبحه للاشوريين في ١٩٣٣. كانت قواته تقتحم معاقل تلك الثورات كالعصار الكاسح فتبطش وتضرب وتقتل وتذبح ثم تعتقل المئات وتشنق العشرات دون محاكمة. وحياناً بعد محاكمات صورية».



بكر صدقي بالملابس المدنية

وبالمناسبة يذكر ان احكام الاعدام التي اصدرها المجلس العرفي في احداث الرميثة الثانية وسوق الشيوخ بلغت (٦٣) نفذ منها تسعة.

في العامين ١٩٣٥ و١٩٣٦ لم يكن بكر صدقي بحاجة الى اتخاذ احتياطات لابقاء شخصه بعيداً عن مسرح الفظائع والانتهاكات كما حاول في مذابح ١٩٣٣. ولا كان هو بحاجة الى من يتستر عليه. وقد وجد من تجربته الاولى ١٩٣٣ انه كلما اوغل في استخدام القسوة ارتفع قدره وثقل ميزانه في ميدان الصراع على السلطة. ففي ثورات الجنوب الشيعي كان هناك مرسوم الادارة العرفية الذي شرعه الهاشمي والكيلائي بالمناسبة. وكان بكر صدقي يملك الحرية التامة بموجبه ويوصفه قائد القوات في التصرف المطلق الخالي من كل قيد. فهو المرجع الاعلى للادارة

والقوانين معطلة. وله صلاحية توزيع المهام والواجبات على جميع الموظفين في المنطقة المشمولة بالاحكام العرفية حسبما يترأى له. ولم يكن فوقه رقيب يحصي عليه خطواته كما كان الامر في العام ١٩٣٣ كما كان هو على معرفة تامة بالتقليد المتبع وهو اعتماد الحكومة المستقيلة اتلاف كل الوثائق التي تدينها او تدين احد رجالها قبل ذهابها وما من شك في ان تقرير جعفر العسكري حول ادانة بكر صدقي بالفظائع المرتكبة في الفرات الاوسط قد اتلف عند تحقيق انقلابه. على ان اصرار جعفر العسكري على وجوب محاكمة بكر صدقي حول دوره في مجازر آب كان معروفاً في اوساط عديدة. ولايخالفني كبير شك في ان موقف (جعفر) هذا هو الذي كان السبب في قتله.

س: اسمحوا لي بالمقاطعة. كان جعفر العسكري كما ذكرت وزير دفاع في تلك الحكومة. اما كان بمقدوره ان يضع حداً لكل هذا بتنحيته مثلاً بحكم تابعة (بكر)

له وظيفياً؟ بدل من قيام باجراء تحقيق وكتابة تقرير؟

كلاً لم يكن بإمكانه. ففي حالة اعلان الاحكام العرفية. كل ما يترتب على وزير الدفاع من واجب هو وضع قطع عسكرية تحت تصرف وزير الداخلية. اذ ما ان يطلب هذا الوزير معاونة الجيش في اخماد ثورة داخلية، فان مهمة وزير الدفاع تنتهي بتخصيص الوحدات والقيادات اللازمة وعندها تصبح تلك القطعات جزءاً من قوات الامن الداخلي وتأمّر بامر وزير الداخلية ومنه تتلقى التعليمات وهو الذي يوجهها ويحركها.

الإنقلاب العسكري

س: بما قرأنا ان بكر صدقي كان يخشى ان يفسد قدوم (جعفر) عليه انقلابه بمجرد اظهار نفسه لضباط القوة الزاحفة على بغداد. نظراً الى المنزلة التي يتمتع بها عند الضباط بصورة عامة وهذا هو السبب الذي حمل بكر صدقي على اعتراض سبيله فارسل من يقضي على حياته.

ذلك ما اتفق عليه الكتاب. لكنني لاستطيع التسليم به كلياً. فمن يملك القدرة على القتل، يملك القدرة على الاعتقال. ولو كان الامر كما تقول، ولو كان بكر صدقي ممن يكره القتل بطبعه فقد كان في مركز يتيح له اعتقال جعفر ووضعه في محل امين حتى يحقق انقلابه. الا ان تعامل بكر صدقي مع رجال الحكم السابقين يؤيد بأنه لم يكن يرضى باقل من التصفية الجسدية ومما لاشك فيه ان جعفرأ سيبقى بعد الانقلاب شوكة في خاصرة بكر صدقي ثم ان هناك ثأراً قديماً بين القائدين. فقد ذكرت لك ان (جعفرأ) كان قد طالب بتقديم بكر صدقي مع ضباط الى المحاكمة بسبب مجازر آب ١٩٣٣ كما طالب بتنحيته من قيادة القوات التي جردت لقمع انتفاضات الجنوب الشيعي واحالته الى التقاعد.

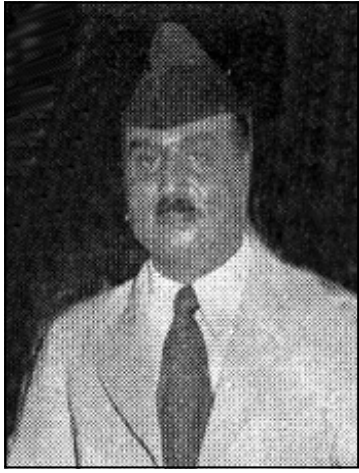
كثيراً ما ذكرني مقتل (جعفر العسكري) وهو بدء الانقلاب بمقتل الزعيم الركن (جلال جعفر الاوقاتي) أمر القوة الجوية في انقلاب الثامن من شباط وهو ساعة الصفر.

فكلا الرجلين كان زعيما باحباط الانقلاب لو اعطي الوقت الكافي وكلا القتيلين كان يشاركان في عالي الخصال والطيبة والترفع عن الدنيئة.

لم يحاول (جعفر العسكري) استخدام السلطة لجمع المال او الاثراء وبقي فقير الجيب غني النفس وترفع عن المؤامرات الصغيرة لانتزاع الحكم ودس الدسائس في ميدان الصراع على السلطة. عرف بذكاء نادر وحباً للمعرفة والاطلاع. وبساطة المعشر لايتركه احد الا وهو

معجب به. قالت عنه «گروتروود بل» الرحالة والكاتبة وواحدة من بُناة الدولة العراقية في احدى رسائلها لوالدها:

«انه (اي جعفر) يتكلم بطلاقة ويكتب بسبع لغات. وقد جربني بكلها. ماكان يوسعي الحكم على لغته الكوردية لقصوري فيها. ولم ابادله الحديث بالتركية. لكنني صمدت له بالعربية والالمانية والانكليزية والفرنسية والفارسية. قيل لي انه اقدر اداري في البلاد العربية رجل بدين ظريف طيب الفكاهة يحمل درجة قانون من انكلترا». وهذه صفات نادرة بين رجال الحكم العراقيين ربما قاربه فيها (ساسون حسقييل) وزير المالية الشهير في اوائل عهد الدولة العراقية. كان قتلاً متعمداً في نظري. تبعه اكثر من حادث اغتيال ومحاولة اغتيال وهروب من محاولات اغتيال.



بكر صدقي

س: هناك من ينفي صفة الانقلاب العسكري

عما جرى في يوم ٢٩ من تشرين الاول ١٩٣٦. وحجتهم ان بكر صدقي لم يحاول تغيير النظام بل احتفظ بالجهاز الدستوري خلا انه فرض على رئيس الدولة وزارة جديدة. كما انه تعاون في

الانقلاب مع دعاة الاصلاح وهم جماعة الاهالي التي عرفت بالتقدمية وعلى رأسها اثنان من الوطنيين الديمقراطيين الذين لم تشب حياتهم الوطنية شائبة. هما السيد جعفر ابو التمن والاستاذ كامل الجادرچي وقد ساهما في الحكومة الجديدة. كما ان قائد الانقلاب هذا بقي قانعاً بعين المنصب الذي اشغله قبل الانقلاب وهو الثالث بين المقامات العسكرية الاولى فما قولكم في هذا؟

كل ماذكرت لا ينفي عنه صفة الانقلاب العسكري. ففيه استخدم بكر صدقي الجيش لاسقاط حكومة شرعية. ومورست القوة بضرب العاصمة من الجو بالقنابل وفيه قتل وزير الدفاع. وما جرى بعد ذلك من بقاء القوة والسلطة الفعلية في يد القائم بالانقلاب، لا يغير من حقيقة بقاء المظاهر والشكليات الدستورية. فموسولينني ابقى على النظام الملكي طوال فترة قيام الدكتاتورية الفاشية في ايطاليا. كما ابقى الجنرال فرانكو دكتاتور اسبانيا على النظام

الملكي. ومن العسكريين الذين استبدوا بالسلطة بوجود النظام الديمقراطي او الدستور اذكر مثلاً الجنرال (مانرهايم) في فنلندا والجنرال بلسودسكي في بولندا والاميرال هورتي في المجر فكل هؤلاء حكموا حكماً مطلقاً غير عابئين بالدساتير الديمقراطية التي شرعتها شعوبهم. ثم شرّهم واعظم من نكبت به البشرية من الطغاة (ستالين) الذي حكم بلاده حكماً مطلقاً لمدة ١٧ سنة وبوجود ابدع دستور ديمقراطي تفتقت عنه عقلية رجال القانون واقصد به دستور العام ١٩٣٦ السوفياتي الميت ساعة ولادته. اذ كان القصد من اشتراعه الدعاية فحسب.

جماعة الاهالي التي كانت تمثل الفكر التقدمي مع اليسار الماركسي في المجتمع وفي الميدان السياسي لم تكن بدرجة من النضوج لتدرك بأن قائد الانقلاب انما استخدمها مرقاة وواجهة. استقبل يساريوها وديماگوغيوها الجيش بالمظاهرات والتهنئات عند دخوله العاصمة ليبدو الانقلاب «شعبياً» ومتفقاً مع الرغبة العامة في التغيير وبعد القيام بهذا الواجب انزل بها ضربته فحل الجمعية وشتت شملها. وهرب الجادرجي الى الخارج خوفاً على حياته بعد تقديم استقالته مع الوزراء الثلاثة الآخرين.

كل ما كان بكر صدقي في حاجة اليه هو ضوضاء الشارع. ولجنة استقبال وترحيب شعبية عند دخوله بغداد على رأس الجيش. وقد نال ما اراد. ودخل هذه المرة بغداد وحده لا تابعاً مثلما كان الامر في العام ١٩٣٣. كانت هناك شعارات بالحربة والانعتاق، من الاسار الفكري كما كانت هناك اعلام حمراء ورقصات وهوسات هنا وهناك.

س: هل كان هناك ما يشير الى تغيير ما. في المجتمع يمكن ان يعزى الى الانقلاب؟

الحرية العامة؟ الوضع الاقتصادي؟

والله لا ادري. ليس بيدي شيء يدل على حصول تغيير في مفهوم الحرية وكما اصابها من غنم. كل ما سجل لذلك العهد منها يعود ابرزه الى (الجادرجي) الذي تولى وزارة الاقتصاد فله عاد الفضل في تحديد ساعات العمل واعتنائه بشؤون النفط ومحاولته تعديل الاتفاقات مع شركاتها الا ان الاجل لم يمتد به واستقال وكل ما علق بذاكرتي شخصياً من مظاهر تلك الحرية وانا في الثالث المتوسط ان مدير مدرستنا القى بنا خطاباً في الاجتماع العام الاسبوعي بعد الانقلاب باسابيع قلائل اشار فيه الى الحرية التي اطلقها الانقلاب في اختيار غطاء الرأس بدلاً من (السدارة) قائلاً ان لنا اختيار ما نعتمر به. واعتقد ان القصد كان التشجيع على استخدام القبعة او الكاسكيت الاوروبيين وقد لوحظ نزول كميات كبيرة منها في الاسواق. ربما كان ذلك احتذاء بما فرضه مصطفى كمال اتاتورك ورضاً بهلوي على مواطنيهما. وللعلم كانت السدارة وهي من اختراع الملك فيصل واسمها الرسمي الفيصلية

نسبة إليه باهظة الثمن وهي تكملة للزي المدرسي ولاسبيل للاستغناء عنها.

كان مديرنا كمن وضع بيد الطلاب مادة للفكاهة فقد بيت المشاغبون امراً. وجاءوا المدرسة في اليوم التالي، هذا يعتمر بطربوش احمر وآخر بعقال مقصب وآخر بكوفية وعقال اسود. وآخر بعمامة رجل دين. وحفلت الرؤوس بشتى العمام الكوردية المختلفة الملونة والكمداء والمخططة والمرززة وأشكال اخرى شتى وبينها طبعاً البرنيطة (القبعة) والبيريه والكاسكيت. وبدت المدرسة كلها وكأنها في حفلة مسأخر (كرنقال) يقصر قلبي عن وصف الاضطراب الذي حصل في الدراسة. والمشادات التي كانت تقع بين الطلاب والمدرسين وهي مما لااستطيع كتم ضحكتي كلما استذكرت مشاهداها.



ياسين الهاشمي

هذه هي الحرية الوحيدة التي لمستها بنفسي من اثار الانقلاب فقد كان من نتائجها الجيدة انها قضت على حتمية لبس السدارة وشجعت على ابقاء الرؤوس حاسرة فيما بعد.

لا ادري كم اطلق الانقلاب من امثال هذه الحريات الصغيرة. وكما تعلم فالحرية نسبية اي على درجات- وربما كان اقلها شأننا حرية اختيار غطاء الرأس- فالسجين الانفرادي اقل حرية من السجن الاعتيادي ومعسكر الاعتقال هو جنة بالنسبة الى السجن. حتى النظم الدكتاتورية والتوتاليتارية التي تصنف في قائمة الانظمة المقيدة للحريات فان ايطاليا الفاشية كانت تعد بلاداً حرة بمقارنتها مع المانيا النازية. وكانت المانيا النازية تعد بلاداً حرة اذا ما قورنت بالنظام الستاليني في الاتحاد السوفياتي. في حين

عدت فرنسا في الاربعينات بلاداً مقيدة للحريات بمقارنتها بالولايات المتحدة مثلاً وهلم جراً.

وبكل المقاييس التي وضعتها لنفسني ما اظن انقلاب بكر صدقي قد حقق اي درجة من الحرية يزيد عما كان موفوراً منها قبل الانقلاب. وما وصلنا عن الاشهر الثمانية التي امتد اليها حكمه كان معظمه بقلم خصومه والمتآمرين على انقلابه وحياته وليس فيه الا مايقصد به التشهير كالاصرار على التسبيب الخلفي في العاصمة الناجم عن استقدام الفنانات الاجنبيات وكثرة غالبية في دور الملاهي ان كان ذلك يندرج في قائمة الحريات التي اطلقها الانقلاب.

لم يكن من قبيل الرجم بالغيب ان الدكتاتور الجديد كان يشعر دائماً بضعف مركزه وبأنه

هدف. صحيح انه لم يفتح السجون على مصراعيها للزج بالخصوم فخصومه ليسوا عقائديين وانما رجال يناصبونه العداة بسبب انتزاع الحكم منهم بالقوة فهؤلاء يجب تصفيتهم كما فعل بجعفر او اخراجهم من البلاد. واختط بذلك سنة الاغتيال وتعقب كثيراً من رجال الحكم السابقين للقضاء عليهم واهمهم نوري السعيد والهاشمي والكيلاني ولاحق البقية ليتبعهم الى ارض المنفى كرستم حيدر والمدفعي وطه الهاشمي وقيام رجاله باغتيال ضياء يونس سكرتير مجلس الوزراء الاسبق. ومحاولة اغتيال العين ورئيس مجلس النواب السابق مولود مخلص. وعزيت الى مجموعة الاغتيال هذه المرتبطة به جرائم قتل اخرى.

س: تحدثوا كثيراً عن مشاريع بكر صدقي الكوردية ونواياه في خلق دولة كوردية مستقلة يقوم هو على رأسها. كما عزوا اليه محاباته للكورد والتزامه ضباطهم في الجيش العراقي وتقريبه لهم وابعاد الضباط العرب. وقيل انه رفع من نسبة القبول للتلاميذ الحربيين في الكلية العسكرية ليزيد عن عدد المقبولين العرب. وزعموا انه كان يمد الثوار الكورد في تركيا بالمال والسلاح وذكروا ايضاً انه استقدم خبيراً عسكرياً المانياً لاقامة تحصينات عسكرية في كردستان العراقية اتقاء لغزو ايراني محتمل. هل لكم ان تلقوا بعض الضوء على هذه الشائعات. ما مبلغ نصيبها من الصحة؟ ما هو مصدرها؟ هناك اوساط كوردية مازالت تؤمن بمثل هذه الشائعات وتنزلها منزلة الحقائق لترفع بها من قدر (بكر صدقي) وليتبوه مركزاً بارزاً في العمل الوطني والنضال الكوردي؟

ليس عندي لمن يرى في بكر صدقي هذا الرأي غير الرثاء ان كان الرثاء يجديده. يمكن لهؤلاء ان ينفوا بان بكر صدقي صاحب انقلاب عسكري؟ يمكن ان ينفوا عنه صفة عزائها هو لنفسه ببيان شرح فيه غايته ويحمل توقيعته بالآلاف النسخ منه القيت على العاصمة من الجو ووزعت على الجمهور. يمكن ان يدحضوا حقيقة القاء القنابل على العاصمة قبل زحفه عليها ودخولها على رأس قطعاته العسكرية. يمكن ان ينفوا عنه واقع فرضه على رئيس الدولة حكومة اختارها هو؟

نحن هنا في كردستان اقدمنا على إشهار السلاح في العام ١٩٦١ بوجه دكتاتورية عسكرية ورفعنا مع السلاح اهدافاً وشعارات ديمقراطية. بقينا نحارب الدكتاتورية ومؤسساتها وفقدنا ارواحاً عزيزة ووضعنا شعبنا على خط النار طوال اربعين عاماً في سبيل تثبيت المفاهيم الديمقراطية. ومن مفاهيمها رفض اي شكل من اشكال حكم الفرد. واطهار مساوئ الدكتاتورية والنظم التوتاليتارية. ونحن اولاء نحاول تربية ابناء جيلنا على هذا. افلا تجد من

الغربة بمكان ان ينبري احدهم لتمجيد دكتاتور في هذا الوسط الذي نعيش فيه؟ هؤلاء الذين ذكرتهم لي يعيشون معنا وينعمون بالحرية التي يوفرها جو الديمقراطية وما اظنهم يفضلون عليه العيش في ظل حكم دكتاتوري. مع هذا ينزلون دكتاتوراً منزلة احترام وينبرون للدفاع عنه؟ هؤلاء لا ارى خيراً من ان اذكّرهم بالآية الكريمة: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون».

أسطورة الدولة الكردية

واعود الآن للاجابة على اصل السؤال. كم كان بكر صدقي كوردياً؟ وكم لشائعة عمله لمصلحة الكورد نصيب من الصحة فاقول انطلقت هذه الاقاويل من الوسط القومي العربي ولاسيما من تكتلات الضباط القومية في الجيش. وغرضها الاساس النيل من نظامه بتوجيه اسوء تهمة يمكن توجيهها لحكومة في بلاد رفعت راية العروبة خفاقة قبل كل احد وعدّ العراق من اجلها بطل القومية العربية ورمزها بين جميع الشعوب الناطقة بالعربية. وقد شاعت في حينه صفة للعراق في وسائل الاعلام فقد لقبه الكتاب العرب بـ(پروسيا) العرب. فهذه الدولة الصغيرة الالمانية حققت الوحدة الالمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بجيشها القوي وبراعة ساستها. وعنصر التشبيبه واضح هنا وله سند من الواقع في نظر القوميين العربيين الذين كانوا يرون العراق نقطة الانطلاق الى الوحدة العربية. فالعراق اول دولة منتدبة او محمية في البلاد الناطقة بالعربية نالت استقلالها وكان لها في العام ١٩٣٦ مثلاً كان لپروسيا اكبر جيش تعتز به وتفخر بما حققه من انتصارات في شمال العراق وجنوبه. وقد قامت فيه حكومات وصفت بالحكومات القومية كما كان العراق اول الدول التي تبنت قضية فلسطين. فضلاً عن ان معظم رجال الحكم فيها كانوا قد شاركوا فعلياً في الثورة التي اعلنها الشريف حسين ابن علي في مكة ١٩١٥.

ومن هذا تجد كم كان اتهام الانقلاب بأنه ضد القومية العربية واتهام بطله بالعمل للقضية الكردية ولصالح الكرد كم كان فعالاً وخطيراً وكم كان سلاحاً ماضياً في يد اعداء الانقلاب والمتريصين به.

من المفارقات -بل من سخرية الاقدار- ان يتناول فريق من الكرد هذا الزعم بجدية ومن دون ان يكون له اساس من الواقع كما سنرى فيكتب بعضهم حول الكرد والقضية الكردية ما لم يجرؤا على كتابة مثله من قبل مؤيدين بذلك (تهمة) القوميين العرب من حيث لا يدرون. وتعيش هذه الاكذوبة لتلصق ببكر صدقي رغم محاربتة لها ونفيه نفيماً قاطعاً ان يكون كما

اتهمه القوميون من كونه يعمل للقضية الكردية على حساب القومية العربية. كانت اكدوية رائعة والحق يقال عاشت بعد مقتله لتغدو اسطورة «لانتقلابي كردي يعمل لاقامة دولة كردية مستقلة». ومن الاساطير ما يجعله مرور الزمن حقيقة تصعب ازاحتها عن المقام الذي احتلته. إنه من السخف ان نفسح لبكر صدقي مكاناً بين رواد القضية الكردية. وربما كان بكر صدقي اعرف من غيره بهذه الحقيقة. وكما الحققت به التهمة من ضرر وكما حاول ان يدرءها عن نفسه في حال حياته وهو ما ساعرضه بتفصيل.



الدكتور فريتز غروبا وزير ألمانيا
المفوض في العراق

من اولئك المتحمسين البسطاء الذين استبشروا بكردية بكر صدقي . وابتلعوا شائعة القوميون العربيين عنه. محام شاب يدعى «ابراهيم احمد». سارع فكتب كراسة عنوانها «الاكرد والعرب». وهي بجملتها خطاباً عاطفياً وشكوى من غمط حقوق الكرد ووجوب انصافهم. ذكر لي صاحبها وهو الاستاذ ابراهيم احمد نفسه انه لم يضع اسمه عليها. وان دوائر الامن سارعت لجمعها من الباعة والوراقين وحيل دون انتشارها وهي تقع في ثلاثين وبضع صفحات. والظاهر ان بكر صدقي خيب ظن الوطنيين الكرد به.

س: ماذا عن تقريبه الضباط الكرد وابعاد الضباط العرب؟

هذا جزء من الاسطورة او الشائعة . نحن لانملك

مثلاً لم يملك اصحاب هذه الشائعة ثبناً بالاسماء والهوية العنصرية لغرض التحقق من صحة هذا الزعم. الا ان بعض الاسماء التي برزت في عهده قد تصلح مقياساً. فهؤلاء الذين استخلصهم لنفسه مثلاً وادع كل ثقته بهم ليجعلهم منفذين لاغتيالاته والذين اطلقهم وراء اعدائه من رجال الحكم ليس بينهم كردي واحد -والحمد لله- وكان ممن وضع فيه ثقته الكبرى وسلمه قيادة القوة الجوية -وهو اخطر سلاح في الجيش- لم يكن كردياً وقد قتل معه. وشريكه قائد الفرقة الاولى في الانقلاب لم يكن كردياً بل عربياً. ومثلاً كان مدير حركاته ورجله المعتمد شاكر الوادي عربياً إلا أن حسين فوزي فقط كان كردياً ورئيس الوزراء الذي إختاره لم يكن كردياً. وليس في الحكومة التي شكلها وزير كردي واحد كان بكر صدقي يعمل لحسابه

الخاص. فعما قليل، يضع سنوات اخرى سيبلغ ختام الشوط في مسلكه العسكري وهو في عنفوان حياته ابن السابعة والاربعين ومآله التقاعد والحمول. وهؤلاء الضباط العثمانيون الذين علوه رتبةً وسناً سبقوه ونضوا عنهم الشيباء العسكرية ودخلوا حلبة السياسة فتناوبوا الحكم وزراءً ورؤساء وزارات. وكانت فرصته في تلك المغامرة العسكرية فأهتبلها.

هناك دلائل لا يرقى اليها شك في ان بكر صدقي لم يضيّع ساعة واحدة من حياته للتفكير في القضية الكوردية او الاهتمام ببناء قومه. بل كان يهتم اكثر من اي شيء آخر بدعم مركزه بتقريبه من المعسكر القومي العربي بأي شكل متاح ولو كان على حساب مصالح الكرد. ودعك من خلو الحكومة التي فرضها من اي عنصر كوردي. فان عهده سجل واحدة من اكبر المؤامرات على نضال الشعب الكردي وهو توقيع حكومته على ميثاق (سعد آباد) المشؤوم.

ميثاق سعد آباد

كانت فكرة عقد هذا الميثاق قد تبلورت في اول عهد وزارة الهاشمي وعقدت اجتماعات تمهيدية بين الحكومات العراقية والتركية والارمانية ثم الافغانية. وكانت الدول الثلاث الاولى كلاً من جانبيها تخشى الانتفاضات الكردية على الحدود وتنشد التعاون فيما بينها على التصدي لها. انقلاب بكر صدقي اخرج المعاهدة الى حيز التطبيق وتم التوقيع عليها في تموز ١٩٣٧ بقصر سعدآباد في طهران.

س: قد يكون في التفصيل فائدة هنا. كم كان تأثير الميثاق على الحركات الوطنية الكوردية؟

كانت المعاهدة ترمي الى ضرب كل حركة كوردية قد تقوم في احدى الدول الثلاث المجاورة للحيلولة دون مضاعفات لها في الدول الاخرى او تأثيرها على كرد الدولة الاخرى وهذا هو نص المادة السابعة من المعاهدة:

«يتعهد كل الفرقاء السامين المتعاقدين كل داخل حدوده بعدم اعطاء المجال الى تأليف العصابات المسلحة والجمعيات او كل ترتيب غايته قلب المؤسسات القائمة او قيامها باعمال لغرض الاخلال بالنظام والامن العام في اي قسم من بلاد الفريق الآخر سواء أكان في منطقة الحدود او غيرها. أو الاخلال بنظام الحكم السائد في بلاد الفريق الآخر».

بعد عشر سنوات بالضبط. طبقت هذه المادة بشكلها البشع المنفروالفضل لبكر صدقي-

عندما وجدنا جيوش الدول الثلاث تطبق كلاً من ناحيتها على البارزانيين الذين كان يقودهم ملا مصطفى ويتنسّق وتعاون للقضاء عليه وهو في سبيل اللجوء الى الاتحاد السوفياتي على نحو ما هو معروف.

ليس هذا فحسب. كانت هناك ثورة (ديرسيم) الكبرى مشتعلة في تركيا. والحكومة التركية تتهم بعض العناصر الوطنية في السليمانية بالاتصال بزعماء الثورة هناك. فيشخص بكر صدقي بنفسه الى السليمانية ويلقي القبض على عدد من الوطنيين الكرد وبعض اعضاء من حزب هبوا تعاوناً من الترك لإخمادها.



رشيد عالي الكيلاني في حديقة بيت الكيلاني مع كروبا بعد نجاح الثورة عام ١٩٥٨

س: بعض الاسماء؟ من كان بين المعتقلين؟

لا فكرة لي عن هذا وقد حاولت كثيراً الحصول على تفاصيل دون جدوى، بعد ان وجدت تنويهاً بهذا في كتاب طبع في لبنان عام ١٩٣٧ لمحمد عبدالفتاح اليافي. وهو من الكتب التي اصدها العراقيون المبعدون ضد عهد الانقلاب فقد ذكر هذا المؤلف ان بكر صدقي قام بنفسه بالقاء القبض على عدد من المواليين للشيخ محمود (الحفيد) الذي كان مبعداً وقتذاك. وتحت الاقامة الجبرية في بغداد. ولم يتسن لي الحصول على معلومات اكثر في مضان عراقية او كردية اخرى.

ويغض النظر عن هذا. فأنا لا استطيع ان أمر مرور الكرام كما يقولون عن واقع واحد، لو اقدم عليه بكر صدقي لبرر الى حد ما موقف اولئك المؤمنين باسطورة (كوردائيتي) بكر صدقي. اما كان بامكانه ان ينهي معاناة الشيخ محمود الحفيد اسير النظام العراقي لمدة عشر سنوات؟ اما كان بامكانه ان يعيد شيوخ بارزان المنفيين الى ديارهم؟ وقد ذاقوا الام النفي والتشريد والابعاد طوال سبع سنين. اقول كان يوسع ان يفعل ذلك بجرة قلم واحدة. او بأيمائة

منه. لكنه كان دائماً يحاول ان ينادى بنفسه عن الكرد وعن قضيتهم وهو محاصر من قبل الفئات القومية العروبية على جميع الاصعدة بالضجة المحدثه في الخارج وفي الداخل. وهو حريص بعين الدرجة على علاقاته الصميمة مع رجال الحكم في تركيا. ويذكر انه قُتل وهو في طريقه لحضور مناورات الجيش الالماني والتركي الذي خرج لتوه من معركة ديرسيم منتصراً.

في النهاية. ما وجد له من سبيل غير انكار اصله الكردي والادعاء بالهوية العربية.

كانت "البلاد" الجريدة التي تنطق بلسانه. وفيها نشرت تصريحاته حول اليسار والتقدمية وهجومه على النقابات. وسياسته ازاء بريطانيا وفي التاسع من آب ١٩٣٧ ظهر في هذه الصحيفة مقال بتوقيع "احد المشتغلين بالقضية العربية" اجتريء منه لك هذه الفقرة:

«اولئك الوصوليون، يذيعون عن الفريق بكر صدقي العسكري بانه كردي لا يعطف على العرب. اما اذا وضعنا عرويته وعروية زعماء العرب الآخرين في الميزان. لرأينا ان في دم بكر صدقي العسكري من العروية، اكثر مما في دم الزعيم المغفور له "ابراهيم بك هنانو" و"شكري القوتلي". و"الدكتور عبدالرحمن الشهبندر". وغيرهم من زعماء العرب. ولو اراد بطل الانقلاب التبجح بارومته العربية لكان في استطاعته ذلك. انه ينحدر في تتبع نسبه من اسرة عربية مكية عريقة نزحت الى العراق مع من نزح من عرب الحجاز في عهد الفتوح العربية. هذا فضلاً عن نشأته العربية وثقافته العربية وجهاده من اجل العرب والعروية...».

بطبيعة الحال. ان لم يكن المقال قد كتب ونشر بايعاز منه فهو على الاقل بموافقته.

كان بكر صدقي يضيق ذرعاً بكرديته. ويحاول النأي عنها ما استطاع. فيرفض المعجبون الحاليون به ذلك ويأبونها عليه وهذا اعجب العجائب!

س: هناك مصدرٌ يتحدث بتفصيل عن نوايا بكر صدقي في اقامة دولة كردية مستقلة

تضم الاجزاء المقسمة بين الدول المتجاورة. هو فصل اختار الاستاذ (مجددة فتحي صفوة) ترجمته من مذكرات الدكتور (فريتز غرويه) حول العراق. ونشره بعنوان (العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب) ما رأيكم فيما دونه هذا الدبلوماسي حول علاقته ببكر صدقي وحول ما نقله عنه؟

في الحقيقة لا ادري ما الذي حمل الاستاذ صفوة على تضمين كتابه هذا الفصل من مذكرات الوزير المفوض الالماني وبنوع خاص هذه الفقرة. ولا اظنه كان غافلاً عن الدور العظيم لهذا الدبلوماسي في نشر الافكار النازية في العراق طوال السنين الخمس التي قضاه فيها

وصلاته الوثيقة مع ضباط الجيش ولاسيما القومييين منهم. هناك امور اخرى لا بد لي من ذكرها عنه اولاً. كان (گرويه) عضواً بارزاً في الحزب النازي ومن رجال الدكتور غوبلز وزير الدعاية في حكومة المانيا الهتلرية الموثوقين. عين مشرفاً وضابطاً ارتباطاً لحكومته على اللاجئين القومييين الذين نجحوا في الوصول الى المانيا بعد القضاء على حركة الكيلاني، من العراق وسورية وبينهم كثير من الفلسطينيين ثم احيل بعد الحرب كمجرم حرب وادين وحكم عليه بالسجن خمس سنوات او عشر؟ لست واثقاً. وخرج من السجن ليبحث عن اصدقائه القدامى في الشرق الادنى وقام بزيارة للمفتي الحسيني. وزيارة اخرى للكيلاني بعد عودته الى بغداد ونزل عليه ضيفاً وعاد ليوثق ما انبت من حبال المودة مع اولئك الذين عرفهم من القومييين في العراق وفي المانيا. وكان من الطبيعي وقد تصاعد المد القومي العروبي لاستاذ عريق في فن الدعاية ونسج الاكاذيب ان ينتهز الفرصة في كتابة ما ينسجم والذوق العام السائد. أي خدمة يمكن أن يقدمها لهؤلاء أفضل من تقديم أبداع تبرير للضباط العرب المتأمرين على حياة شخص يريد أن يخلق دولة كردية في الوطن العربي. معطياً أحسن تعليل وتزكية للفتك به.

وانا لا ادري كم يستطيع المؤرخ الجاد الحقيقي الاعتماد على مصدر كهذا برواية لا تؤيدها بينة ولا يدعمها دليل. لكن صبراً فلآتي اولاً بنص الترجمة وانا لا اشك بامانة الاستاذ صفوة في النقل:

« كان بكر صدقي يزورني كل يوم تقريباً لبحث موضوع شراء الاسلحة. وفي احد الايام قال انه يود ان يستقدم ضابطاً المانياً من ضباط الاركان يعهد اليه مهمة وضع خطة للدفاع عن كردستان. وعلى اثر ذلك حضر الى بغداد (س.هاينتز) وهو ضابط كبير متقاعد منتحلاً صفة جيولوجي.. وطلب اليه بكر صدقي ان يقدم اليه اقتراحات للدفاع عن كردستان على نطاق واسع وعن مقاومة اي هجوم محتمل من الجانب الايراني وتنفيذاً لرغبة بكر صدقي سافر (هاينتز) الى حدود ايران للاطلاع على وضع الحدود وتكوين فكرة عن العدو المحتمل. كما ذهب الى كردستان مرتين وتحادث هناك مع شيوخها واغواتها في موضوع الدفاع واختيار مواقع استراتيجية. وتباحث مع بكر صدقي في كيفية تأسيس جيش كردي والاستعدادات اللازمة لتسليحه وقمونه... وعندما كان بكر صدقي يتصل بي ويحادثني عن خطته في الدفاع عن كردستان. اخبرني ايضاً وبصورة سرية انه كردي وانه يهدف الى خلق دولة كردية تضم السكان الاكراد في العراق وتركيا وايران. وان هذه الدولة يجب ان تكون قادرة على صيانة استقلالها من اعتداءات جيرانها. وان هذه القضية مهمة لديه لانها في قلبه. ويبدو ان بكر صدقي قد صرح بهذه الفكرة ليس

لي فقط وإنما صرح بها للآخرين وهذا يفسر عداة القوميين العرب له كما يفسر اغتياالاته وكما سبق وبينت كان بكر صدقي يرمي الى هدف آخر وهو خلق كردستان مستقلة. ولهذا كان يعمل على تأليف جيش يحتوي على عناصر كردية».

هذا ما وجدته في اوراقى منقولاً عن ترجمة الاستاذ صفوة، لكني اثبت للخبير المشار اليه. ولم اذكر المصدر - اسماً يختلف عما جاء في الترجمة هكذا: «اللفتنت جنرال المتقاعد أ.د. هاينز ودونت تحت هذه العبارة «انه قام بعمل خطة دفاعية لهجوم ايراني محتمل».

ليس بوسعي نفي أو تأكيد صدور مثل هذه الاقوال عن بكر صدقي رغم تشكيكي العظيم بشخصية الناقل (٣١). الا اني لاستطيع ان اعزو الى بكر صدقي بلاهة أو خفة عقل تجعله يختار من دون سائر الناس أو من اخلص المقربين اليه رجلاً دبلوماسياً اجنبياً ارسل ليخدم مصالح بلاده، من اولى واجباته واهمها نقل كل ما يسمعه او يقف عليه من شؤون - تتعلق بالسياسة والساسة - الى حكومته.

كيف يمكن لرجل العراق القوي، ان يستودع سراً خطيراً من شأنه لو طبق ان يحدث هزة عظي في بلاد الشرق الادنى ويحدث تغييراً جوهرياً في ميزان القوى ينجم عنه تغيير لا بد منه في خريطة العالم؟ كم كان بكر صدقي يعتقد عندما افضى بهذا السر العظيم. ان الهر گرويه سيحتفظ به لنفسه وأن لا يجعل لنفسه منه نجاحاً دبلوماسياً بايلاغ حكومته فوراً بما سمع؟ وبكر صدقي لم يعرف قط بالطيش والحمق بل كان صموتاً نزر الكلام وقد وصفه بعضهم بـ«أبي الهول» لقلته حديثه ولأنه يجيد الاصغاء الى حد اشاعة الضيق عند محدثيه.

(٣١) بين القول والعمل بون شاسع. ولكم قلنا ولم نفعل. يعرض بولوتارك (وقد مر ذكره) مثلاً للفرق بين العلم بالشيء والعمل له من رجل شيخ راح يبحث عن مقعد في أثناء الألعاب الأولمبية فأخذ الجمع الحاشد من الناس يسخرون منه ويعلقون على جهوده بسماجة. لكنه عندما وصل الموضوع الذي كان يحتله السيارطيون، هب كل شاب وكثير من المسنين من أمكنتهم وقدموا له مقاعدهم، فهتف الجمع الحاشد للسيارطيين إستحساناً. وعندما علق الرجل المسن متنهداً: اليونانيون كلهم يعرفون ما هو العمل الصحيح. لكن السيارطيين وحدهم يعملونه". إن الكتاب الذي نقل عنه الأستاذ صفوة عنوانه بالالمانية:

Manner und Macht im Orient (Frits Grobba) Frankfurt: 1967 (P 173) الرجاء والسلطة في الشرق (ص ١٧٣) لاحظ أن تاريخ طبع الكتاب كان في ١٩٦٧ والحديث يدور في الأوساط العربية عن نوايا الثورة الكردية الانفصالية، والجو يعبق بدخان الحرب التي كان سيسنها عبدالناصر على إسرائيل. فأى خدمة أفضل لگرويه يقدمها لأصدقائه العرب في هذه المناسبة. والشائعات تملأ الأنبياء العالمية عن المساعدات التي تتلقاها الثورة الكردية من إسرائيل، بطرح هذه الكذبة الرائعة في الأوساط العربية تحذيراً من النوايا الكردية؟

ذكر لي مترجم كان يرافقه عند الاجتماع مع السلطة العسكرية الفرنسية على الحدود لفض بعض النزاعات العشائرية ايام كان أمراً للمنطقة الشمالية، انه كان يصغي الى الكولونيل الفرنسي الذي يتحدث بالفرنسية ثم يلتفت الى المترجم لينقل له الحديث.

وكان المترجم يعجب كثيراً لأصرار بكر صدقي على اصطحابه، في حين انه يعرف اللغة الفرنسية. فسأله ذات مرة لا ارى انك تحتاج الى ترجمتي لك ما دمت تعرف الفرنسية. اجابه بكر صدقي: اجل اعرف الفرنسية الا اني بحاجة الى الوقت الذي تتيحه لي ترجمتك للتفكير في الاجابة السليمة.

رجل كهذا لا يمكن ان يفضي لدبلوماسي مغامر خريج مدرسة الدكتور (غوبلز) بمثل هذا السر الخطير. انها رواية من نسج الخيال لاتدعمها قرينة ولا بينة، وردت بشكل متعمد ومقصود في مذكرات لم يكتب لها شهرة ولا رواج لولا ان قيض لها الاستاذ صفوة فنقل هذا الجزء منها للقراء العرب.

س: وماذا عن الخبير العسكري؟ وهو أمر لا يمكن نفيه؟

في رأيي ان استخدام هذا العسكري الألماني لم يكن للسبب الذي بسطه گروهه أعني تخوف بكر صدقي من هجوم ايراني متوقع على كوردستان العراقية. لم يكن حين ذاك بين الدولتين الجارتين غير التعاون والتفاهم حول تعاملهما مع العراق على احباط أي ثورة او انتفاضة كوردية قد تخرج عن نطاقها المحلي. ولهذا عقد ميشاق سعد آباد. وارجح ان استخدام هذا العسكري الألماني ما كان الا جزءاً من سياسة احتواء كوردية داخل العراق كأشياء قواعد عسكرية في مناطق استراتيجية من كوردستان وشق طرق عسكرية. واقامة كل ما من شأنه من انشاءات تدرج في هذا الباب. ويؤسفني اني لا أجد مصدراً محلياً يرشدني الى الغرض الحقيقي من استعارة خدمات هذا الضابط. فلم يكن في جو العلاقات السياسية ما يشير الى اطماع لأيران في كوردستان العراق. وليس في الوثائق البريطانية ما ينم عن شيء من هذا. ولا سبيل لي والحالة هذه الا ان احكم على تعليل (گروهه) هذا بأنه وليد خيال محض.

س: كيف كانت علاقة بكر صدقي بالحكومة البريطانية؟ وقد رأينا انه وثق علاقاته بدول المحور المانيا واطاليا، هل كانت هذه العلاقات على حساب النفوذ البريطاني؟

بريطانيا لم يكن يهملها من يأتي الى الحكم في العراق شريطة ان لا تتعرض مصالحها بسوء. تشير اوراقنا الى اطمئنان الحكومة البريطانية من الانقلاب وسياسة بطل الانقلاب عن

طريق التقارير التي يدونها السفير البريطاني ارشيبالد كلارك كبير. وقد بادر بكر صدقي بعد شهر واحد من انقلابه الى تطمين بريطانيا وازالة كل شك في موقفه بتصريح ادلى به ونشر في ٢٩ تشرين الثاني لمراسل جريدة نيويورك تايمز وفيه قال:

«سياستنا ازاء انكلترا ودية للغاية. علاقتنا بهم تعود الى ما يزيد عن عشرين سنة وقد عرفونا وعرفناهم. والصديق الذي تعرفه خير ممن تجهل امره. واذا تركنا الانكليز فسوف نركض وراءهم ونحاول إعادة علاقاتنا الودية معهم».

ولم تكن بريطانيا في ذلك الحين تريد من أي حكم في العراق أكثر من محاربة اليسار والشيوعية والافكار الاشتراكية. وهذا ما أمنه بكر صدقي بالضربة الصاعقة التي وجهها الى اليسار بصورة عامة. وتصريحاته الشهيرة المنشورة في الصحف المحلية بهذا الشأن معلومة ومعروفة كذلك كانت مواقفه.

س: سؤال آخر، اغتيال بكر صدقي في الموصل مسقط رأسكم وانتم فيها آنذاك. كيف كان صدى هذا الحدث في المدينة؟

سأصدقك الخبر، وقد تعجب. لم الحظ شيئاً غير عادي مطلقاً. ولو كان لما اخطأته ذاكرتي مطلقاً. فقد مر يوم الاغتتيال كغيره وبقي الاضطراب والضجة محصورتين في الدائرة العسكرية. سمعنا بعدئذ ان مجلساً عسكرياً سيحاكم الفاعل والمحرضين وهذا كل شيء. الا اني وبعد ان تقدمت بي السن وانصرف جانب من اهتمامي الفكري الى تأريخ العراق. ثم عندما باشرت في كتابة تأليفي الكبير عن القومية العربية وفيه قضية المذابح الآشورية حجر زاوية، تسنى لي الوقوف على كثير من تراث عهد الانقلاب هذا. وقد كتب عنه ومازال يكتب ودونت اموراً لا سيما ما نشر تعقيباً وفيه الحقيقي والزائف والمبالغ فيه. وليس من كتب ضده بأفضل ممن كتب في الثناء عليه، على أنني حفظت بصورة خاصة ابياتاً للشاعر النجفي عبدالحسين الأزري من قصيدة قالها مشيعاً بها ذلك العهد:

أضحكتنا وربّ ضحك بكاءً	فترة من زماننا رعناءً
فترة ضاعت المقاييس بين الـ	تأس فيهما وسادت الالهواء
لُء من بني الشوارع عاشت	حيث عاش الاعيار واللقطاء
حشراتُ طلَعن من لقطات الأـ	رض لما استتبت الظلماء

وليته لم يقلها فما عقب انقلاب بكر صدقي من انقلابات متتالية لم يُبق للشاعر من الخيال ما يحتاج لتصويرها.

مشاريع المستقبل

س: هنا وقد اشرفنا على الخاتمة بالسؤال الاخير المتبقي من لائحة استجوابنا- ويتعلق بمشاريعكم الكتابية هنا بعد ان قررتم الاقامة الدائمة في ربوع الوطن. استنتجنا من اول الحوار انكم تترددون كثيراً في الاجابة عن هذا الطراز من الاسئلة لانها تنجر الى الحديث عن شخصكم. وقد وجدناكم تحاولون الاعتذار عن الاجابة. وان النية تتجه بكم الى اغفاله. الا ان القراء الذين كانوا يتتبعون حلقاتنا ويترقبون صدورها بسبب الجراءة التي بسطت فيها اراؤكم، والشكل الاستطراذي الذي تم من خلاله معالجة جزء هام من تاريخ البلاد عن طريق تحليل احداثه وتحليل شخصيات سياسية معينة فيه - كل هذا يحملنا على تكرار الطلب- ومن هذا المنطلق تأتي الرغبة في معرفة ما تنوون نشره، ما ستطلعون به على القراء خلال وجودكم. ثم هناك اسئلة اخرى تدخل في هذا الباب؟

الاجابة عن هذا السؤال ترغمني على استخدام ضمير المتكلم كثيراً «المتصل منه والمنفصل» وهو ما تحاشاه ويقدر الامكان. ثم ان ذوي المشاريع يحرصون عادة على اجتناب الحديث عنها وكتمان امر ما ينوون وما يخططون له. وكثير منهم وهم عشاق المفاجآت يقصدون ان يخرجوا بها على الناس كما يخرج الساحر ارناباً من قبعتة. وهناك النوع الرزين الحذر البعيد النظر الذي يخشى ان لا يحقق ما اضمر في نفسه من عمل فلا يجازفون بوعده او عهد قد تحول دون انجازة عقبات ليست هي في الحسبان لتبقى مجرد آمال ومنى في النفس. وبالسنوات القليلة التي بقيت لي في هذه الحياة، ولنزوعي الطبيعي الى الواقعية لامندوحة لي هنا- الا ان اخيب ظنك عما يجول في ذهني من مشاريع كتابية مستقبلية. فبقية من العمر لاتسع قط للضرب في آفاق الخيال. ولكنني مع هذا سأحدثك واحديث القراء عن معظم ما انجزته من مؤلفات وتراجم. لاسيما تلك التي تأخذ الآن طريقها فعلاً الى المطبعة وهي لاتعد من قبيل الآمال.

في غضون سنوات خلت وفي ظروف قاسية جداً بدأت باعمال كتابية وانجزتها كلها. وبعضها قطعت به اشواطاً خلال تلك الظروف فانجزتها فيما بعد كذلك. وسأخذك معي في جولة خلالها ولاتتوقع مني اقوالاً مثل «ساكتب في كذا» او «في نيتي ان اؤلف في كذا».

س: سنخدم رغبتكم ولن نحاول زجكم في عالم النيات والآمال وخطط المستقبل. ولتحدثونا عما هو جاهز وما هو تحت الطبع وما هو في طور الاكمال.

تعلم جيداً ان دائرة مجهوداتي القلمية لم تكن في اي وقت قاصرة على ناحية معينة من

نواحي المعرفة والفكر فقد ضرب قلبي في آفاق متعددة. واصداراتي الاولى كانت تختلف بين ابحاث ادبية وتراجم من روائع ادب الغرب لمشاهير من الكتاب: ترجمت ونشرت لڤكتور هوغو، وپروسپير ميريميه، ودوستويفسكي، وبرناردشو^(٣٢). وغيرهم واصدرت كتباً في القانون وفي تاريخ العلوم والحضارة. وانك لتجد تبتاً شبيهه كامل بما اخرجت لي المطابع وما زال مخطوطاً في آخر الجزء الثاني من كتاب تراث الاسلام الذي شاءت رغبة الصديق المفضل عبدالعزيز طيب اصدار طبعة خاصة له على حساب وزارة التربية هنا.

على اني وبعد ان ربطت حياتي بالقضية الوطنية الكوردية خصصت جانباً كبيراً من مجهوداتي الفكرية لخدمتها على نحو ما هو معروف فصدر لي بين الاعوام ١٩٧٠-١٩٩٧ اكثر من عشرة كتب حولها بين مؤلف ومترجم.

وكنت قد نوهت في الحلقات الماضية بما جرى على مخطوطاتي واعمالتي الكتابية خلال الفترات العصيبة التي عقيت النكسة. كيف فقدتها وكيف عادت الي. وبعضها الآن يجد طريقه الى المطبعة بهمة وتشجيع دار نشر ناراس. واخص بالذكر كتاب «قيام وسقوط الرايخ الثالث» لمؤلفه وليم شايرر. وهو كتاب ضخم جداً بلغ عدد صفحاته بخط يدي على دفاتر متوسطة الحجم (٢٧٩٥) صحيفة. وكنت قد ذكرت في الحلقات الاولى من هذا الحوار شيئاً عن الظروف التي ادت بي الى الترجمة والشرح والتعليق على كتاب او بالاحرى على موسوعة المؤرخ اليوناني الكبير «پلوتارخ» الموسومة بـ«العظمة» واولهما تم اعداده للطبع كما بلغني وثانيهما لادري هل سيمتد العمر بي لاراه مطبوعاً وبين يدي القراء؟

وكل هذه كانت تنتظر عبتاً دار نشر حكومية كبيرة او ناشراً مغامراً مستعداً للتضحية

(٣٢) فكتور هوغو: (١٨٠٢-١٨٨٥) أعظم شعراء فرنسا الغنائيين وأكثرهم تلويناً وتنوعاً في إبتكار الخيال والتعبير. ألف فضلاً عن دواوين شعره روايات كتبت لها شهرة عالمية أمثال ملحمة البؤساء (والصحيح البائسين) التي ترجمت الى العربية أكثر من مرة الى جانب (أحدب نوتردام) والرجل الضاحك و 93 وغيرها. وقد ترجمت ونشرت له في الخمسينات تأملات "آخر يوم لمحكوم بالموت".

پروسپيرميريميه: (١٨٠٣-١٨٧٠) من أئمة الكتاب البلغاء الفرنسيين عالج القصص الكبيرة والصغيرة الرائعة ولم ينجُ مصنف أدبي أو روائي له من الطابع التاريخي الطلي البليغ البارع في وصف الوقائع التاريخية المشيرة. وقد ترجمت له نشرت في الخمسينات أشهر قصصه "كارمن".

جورج برنارد شو: (١٨٥٦-١٩٥٠) كاتب وروائي ومرسحي إيرلندي ولد في دبلن وكان ماركسياً إشتراكياً. إشتهر بنقده اللاذع وكتب لتمثيلياته الخلود والشهرة. وقد منح جائزة نوبل للأدب في العام ١٩٢٥. قمت بترجمة إثنين من تمثيلياته "بيگماليون واندروكلس والأسد" وقد فقدت أثرهما معاً ولا أدري أي بين أوراقي التي خلفتها ورائي أم إنها ضاعت.

بالريح التجاري وهو ما كان امراً بعيد المنال وانا في بلاد الغربية.

على اني اود الآن ان اسبق بتعريف عن كتاب سلمته قبل مدة لدار ناراس للنشر وهو الان يسجل وهو من الكتب الضخمة التي اقدر عدد صفحاته بما يزيد عن الالفين. وسأروي لك قصته ومبدأ فكرته.

بدأ الكتاب على شكل مقدمة بسيطة لكتاب «مأساة الآشوريين» لصاحبه المفتش الاداري «المقدم ستافورد» انجزت ترجمته في ايام الثورة وما بعدها مستفيداً من اوقات فراغ قليلة و ثم فقدت الاصل ونصف الترجمة في ظروف الانتقال الى ايران بعد النكسة ١٩٧٥. لكنني بعثت في طلب الجزء المفقود فصور لي من مكتبة ستراسبورغ العامة واعدت ترجمة ما فقدته. ثم خيل لي ان المقدمة الصغيرة التي اردتها للكتاب لاتفي بالغرض الذي انتويت من نشر الترجمة وراحت الفكرة تتسع وتتضخم، وواصلت العمل بعد انتقالي الى السويد بجهد ودأب فاذا بالكتاب المترجم يغدو بعد ثماني او تسع سنوات من البحث والكتابة. جزءاً صغيراً جداً من كتاب كبير يدور حول نشوء فكرة القومية العربية ومتابعة تاريخية لها وهي بين ارتفاع وخفض وآلام ومصاعب ما زلت حتى هذه الساعة اقلب وجوه الرأي في اختيار العنوان المناسب له.

سأعطيك الآن وصفاً موجزاً لمحتوياته:

هو مؤلف جامع حول نشوء وتطور فكرة القومية العربية - او العروبية او العروبة وعلاقتها بالقوميات الاخرى- بمتابعة تاريخية واسعة مستفيضة وختمته بالعام ١٩٧٠ وهو عام وفاة احد انبيائها وزعمائها الكبار واتيت فيه الى بسط الآثار السلبية والايجابية التي تخلفت عن الدعوة القومية ولاسيما نظرية الوحدة -في البلاد الناطقة بالعربية. وكيفية تعامل نظريتها وقادتها ومواقفهم ازاء مسيرات القوميات الاخرى في الشرق الاوسط. (الكرد والآشوريون، والتركماني، و الاقباط والبرابرة والزنج وشعوب جنوب السودان) ومقدار تأثير النهضة القومية الاوروبية على الفكر العروبي وسياسات الدول الغربية والشرقية ازاء الدعوة الى الوحدة. وتأثير تلك السياسات على النهج القومي وردود الفعل على الفكرة من الوقائع والاحداث التي وقعت في البلاد الناطقة بالعربية.

كانت قبلتي بالاصل ايلاء اهتمام خاص لاستدراك ما اغفله المؤرخون والكتاب العرب السابقون الذين تصدوا الى عين الموضوع. بل ما اثروا ان يتخطوه عمداً. او ما جهلوا مصادره ومكامنه. او انهم ببساطة استغنوا عن الاهتمام به مكابرة ورياء وهرباً من الواقع. واتخذت للكتابة منهجاً يختلف تماماً عما افه القراء في هذا النوع من كتب التاريخ.

جانبت فيه الطريقة الرتيبة التي تشيع الملل والسأم في القارئ الحديث ولم يعد يطبق تلك الكتب التي تبدأ وتنتهي بأولاً وثانياً وثالثاً وهلم جرأً. وقد شاع هذا النمط العجيب الجامد مع الاسف الشديد، وعرفه اصحابه فخراً واعتزازاً «بالدراسات» او «البحث الاكاديمي» اما انا فتوخيت عامل التشويق والاستنفار الفكري بالتحري الدقيق في الخبايا والزوايا وكشف الخفي بكل ما يحفل من روايات وحكايات ذات دلالات مع مشابهاة ومقارنات تاريخية وسوابق. جانبت تماماً جمع المواد وعرضها بأسلوب السرد الجامد ثم اقحمت فيها عامداً وغير مقتصد كل ما رأيت واجباً ومناسباً رأيي الخاص في المواقف والاحداث والاشخاص من دون التحرج ومن دون ابتغاء رضى هذا الفريق او اجتناب اغضاب ذاك، ومن دون طمع في مكافأة او الخوف من مجازاة واعتقادي كان وسيبقى، بأنني اخدم اخواننا العرب بفتح اعينهم على الحقائق المكتومة والمحبوسة عنهم قبل ان اخدم غيرهم من القوميات التي تعيش ضمن اطار الدول الناطقة بالعربية. ثم اني لم اکتف بنقل آراء غيري عندما يجب النقل بل اتناولها بالتعليق والمناقشة والاستجواب. وبهذه الوسيلة سيخرج القارئ بمعلومات جديدة لاعهد للقارئ العربي او غير العربي بها في كثير من المؤلفات المشابهة ربما لانها لم تنل الاهتمام الحري بها من الكتاب العرب السابقين وعمدت الى تصحيح اخطاء كثيرة في الوقائع والاحداث التي رويت على غير حقيقتها وجرت مجرى المسلمات لتتحدى النقد.

ثم وجدت ان مؤلفي هذا سيبقى ناقصاً. وانا مطالب دائماً بالبينه. فأفردت من الكتاب باباً ثالثاً خصصته لاثبات اكثر من مائة وثيقة ومستند من محفوظاتي، ومن ارشيف عصبة الامم (جنيف) ودار الوثائق البريطانية العامة (لندن). والمكتبة الوطنية (پاریس) ومعظمها غير منشور. الى جانب وثائق وقوانين وبيانات تتعلق بتاريخ العراق ومصر وسورية وغيرها، ذات صلة بمسألة القومية وارهاساتها في تلك البلاد. رغم عمومية الموضوع الذي تناوله الكتاب فقد ركزت بصورة خاصة على بلادنا العراقية والغلبة تبدو عليه في هذا. فزودته بباب خاص اتيت فيه الى نُبذ مختارة من سير الساسة والعسكريين الذين ساهموا في الاحداث العراقية، من اجانب وعرب وكورد وأشوريين.

وفي سنوات اقامتي الاولى في السويد. عرضت علي دار نشر هناك باسم دار الشعاع القيام بطبع الكتاب فدفعت باكثره وتم تسجيل اكثر من الف ومائتي صحيفة من القطع المتوسط عندما قررت نقل محل اقامتي في كوردستان. وكنت خلال اعادة النظر في بعض فصوله وانجاز الفصول الاخيرة منه -اتشاعل عنه باصدار مؤلفات جديدة فانجزت لي هذه الدار طبع كتاب (مباحث آشورية: تاريخ ما اهمله التاريخ) وكتاب في اربعة كنانيش او اجزاء بعنوان فاتحة انتشار المسيحية في بلدان الشرق (بين النهرين. ايران، تركستان، الهند، الصين)

واصدرت لي خلال ذلك دار (الشمس) وهي في السويد ايضاً طبع كتابي «مغامرة الكويت: الوجه والخلفية» بجزئين. وهو الكتاب الذي وجدت لدهشتي طبعة ثانية له غير مجازة ومن دون علمي - اصدرتها مطابع السليمانية وجدته معروضاً في سوق الوراقين بربيل. وصدر لي عن دار النشر الاخيرة هذه كتاب «آراء محظورة في شؤون عراقية معاصرة» وهو ايضاً من الكتب التي لم يقيض لها دخول كوردستان بسبب صعوبة الاتصال البريدي. هناك احتمال كبير في ان يتسع الوقت وتحظى باهتمام من يعيد طبع بعضها هنا كما حصل لبعض كتبي الاخرى.

ومن المشاريع التي اتوقع انجازها، كتاب اردت ان اعطى به فترة حاسمة من تاريخ نضال الكورد القومي اي البحث في سبيل الهوية. وكانت بالاول فكرة تحوم حول تقرير لجنة التحقيق الدولية التي ارسلتها عصابة الامم في العام ١٩٢٤ للبت في النزاع على ولاية الموصل - كردستان الجنوبية - ففي نهاية العام ١٩٧٣ كنت قد فرغت من ترجمة هذا التقرير الرائع الذي لم يسبقه نفاسة وعمقاً وقيمة علمية وتاريخية اي من التقارير الدولية السابقة واللاحقة. وضاهيت بين النصين الفرنسي والانكليزي ووقعت الترجمة في حدود مائتي صحيفة من القطع فوق المتوسط. واغنيت الترجمة ببعض الهوامش والتعليقات الضرورية.

تقرير اللجنة الدولية حول ولاية الموصل

س: اسمحوا لي. مالذي دفعكم الى هذا. اي الاهتمام بنقل التقرير بعد مرور اكثر من نصف قرن؟

ان مادفعني الى هذا هو الدور الرئيس الحاسم للشعب الكوردي في العراق الذي هباً للجنة الوصول الى قرارها. هذا الذي حاولت الحكومات العراقية المتعاقبة طمسه، بعدم نشر ترجمة كاملة للتقرير توضح دور الكورد في النتيجة التي توصلت اليها اللجنة. من جهة اخرى نسجت على هذا الدور الكوردي مؤامرة صمت، تعمده الكتاب والمؤرخون العراقيون عامة. فهناك مثلاً كتاب الفه الدكتور (فاضل حسين) عنوانه (مشكلة الموصل) طبع ثلاث طبعات على ما اتخطر. لاتجد فيه كلمة أو عبارة واحدة تنطق بالموقف الكوردي وتشيد بمواقف كورد هذه الولاية التي تزيد نسبتهم فيها على ٨٥٪ من مجموع السكان او هي بالضبط كوردستان الجنوبية. وهذا ما حملني بالدرجة الاولى على ترجمة التقرير واعداده للنشر في اقرب فرصة تعن. وقد هبأت له في حينه مقدمة صغيرة. ثم جاءت النكسة في ١٩٧٥. ولم افتقد الترجمة بين كتبي واوراقي الا بعد رحيلنا واستقرارنا في ايران. وعبثاً حاولت معرفة مصير المخطوطة

مع اصلها. وقطعت الامل بالعشور عليها بتمادي الزمن. ثم مر مازاد عن خمس عشرة سنة وانا في السويد، لافاجاً بمن يخبرني بانها في حوزته وسيأتيني بها فوراً: وكان السيد حكمت الملقب بـ(ملا بختيار) قال لي انها كانت بين مخلفات المرحوم المغدور به (عبدالرحمن قاسم) وان آل بيته وجدوا اسمي مثبتاً عليها فطلبوا منه ايصالها لي. ومازالت الحيرة تتملكني في تعلييل وصولها الى الاستاذ (قاسم). هل دُفعت بها اليه في زيارة خاطفة له لكوردستان قبيل بدء القتال؟ ثم نسيت؟ والله لا ادري.

فبادرت واعدت النظر فيما وضعت للتقرير من مقدمة وشعرت انها لا تنفي بالمراد وعندها خطر ببالي ان اهيء نفسي لتأليف كتاب استعرض فيه فترة حساسة من تاريخ اليقظة القومية الكوردية. مبتدئاً بالعام ١٩٠٨ وهو عام اعلان المشروطة وإعمال الدستور العثماني المعطل ومنتهاً به في العام ١٩٢٥ وهو عام ضم ولاية كوردستان الجنوبية (ولاية الموصل) الى الدولة الجديدة وان اجعل التقرير ملحقاً. ورحت اجمع مصادرني و اضع لِنفسي اطاراً للبحث لا تعدها وقطعت شوطاً في هذا المضمار وجئت بالقسم المنجز معي ودفعت به الى دار ثاراس للنشر هنا ولم اكن اعرف انها واحدة من عدة دور نشر انبثقت من ارض كوردستان عندما تلقيت اول عرض لاعادة طبع بعض كتبي وانا في السويد.

س: كما ذكرتم سابقاً وايدتم الآن. متى وكيف نشأت علاقتكم بحركة النشر واصدارات الكتب في كوردستان عموماً؟ ثم ما الذي جعلكم تخصصون هذه الدار بنشر تأليفكم وتراجمكم وهناك كما اكتشفتم دور نشر عدة؟

في الواقع هي التي خصتني ولا اجد هنا كلمة تعبر تماماً عن غبطني وشكري للسادة القائمين بامرها. لم تكن لدي اي فكرة عما يجري على الصعيد الثقافي وعن حركة النشر هنا فقبل العام ١٩٩٧. كانت دور نشر معينة في اوروبا والولايات المتحدة تعنى باعادة طبع بعض كتبي القديمة وبشكل محدود لكنني كنت اسمع عن النشاط الفجائي الذي دب في عالم المعرفة وعن التشجيع الذي تلقاه من السلطة هنا. الا اني فوجئت في اواخر هذا العام بالصديق الشهم الدكتور شوكت بامرني زائراً ومعه عرض باسم السيد نيچيرفان البارزاني والسيد شوكت شيخ يزدين حول استعداد (دار ثاراس) لاعادة طبع ستة كتب او سبعة من مؤلفاتي وتراجمي وبعضها يعود الى العام ١٩٧٠. فاسرعت بالقبول شاكراً. وتم ذلك في العام ١٩٩٩. وتسربت من هذه الطبقات الجديدة نسخ كافية لتحتل مكتبات رسمية كبيرة عامة في بعض المدن والعواصم الاوربية. كما انبثت انه وصل منها نسخ الى مكتبة الكونغرس الشهيرة في واشنطن وكلها تحمل شعار دار نشر ثاراس واسماء القائمين عليها. ووقع قسم

منها بايدي عدد من الكورد اللاجئين في اوروپيا . وكلهم شوق الى قراءة مايصدر عن الوطن الام من كتب . لذلك فكرت قبل مجيئي باحداث صلة طباعة ونشر بين هذه الدار وبين واحدة من دور النشر في الخارج لتقوم باعادة نشرآثار وكتب منتقاة وفق احدث ماتوصل اليه التكنولوجي الحديث من تقدم في عالم الطباعة وعن طريق تبادل التسجيلات (الاقراص) وبذلك يتم التغلب على صعوبة المواصلات وبادرت الى طرح الفكرة على القائمين بادارة دار ثاراس فقبلت فوراً على اساس فتح فرع لهذه الدار وبالاتفاق مع دار نشر كوردية في السويد . وقد اعدت العدة لتنفيذ المشروع كما تم تعيين الوجبة الاولى من الكتب التي سيعاد طبعتها في الخارج . وتلك هي الوسيلة الوحيدة لخرق الحصار الفكري كما ارى والتغلب على صعوبات النقل .

الإحتكار ودور النشر

س: بالمناسبة ونظراً الى طول تجربتكم في عالم الطباعة وتعاملكم مع دور النشر الا ترون ان في سياسة الباب المفتوح او بالاحرى تعدد دور النشر في مجتمعنا هذا وهو مجتمع البناء والتطوير تبديداً للطاقات وتوزيع الجهود الفكرية في دائرة واسعة يصعب السيطرة عليها وتوجيهها ؟

ليس هناك خطر افدح من تحديد دور النشر او حصرها ضمن اطار عددي ضيق جداً . ففي هذه الظروف التي نجتازها هنا حيث يحاول المخلصون والواعون والامناء على مبادئ الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالحرية الفريدة التي يستمتعون بها وبالاتفاضة من تجارب الشعوب والاحزاب الحاكمة والدول التي رزحت حقياً من الزمن تحت نير حكم الحزب الواحد ونبذت المبادئ الديمقراطية ثم نضت عنها هذا الثوب والتحقت بالركب الديمقراطي العالمي اعني ان يكون من واجب اولئك المسؤولين الذين ذكرتهم وضع المجتمع الكوردي على عتبة الديمقراطية ومن ذلك تشجيع الجماهير على معرفة المدى الذي تمتد اليه حرياتنا والحدود التي يجب ان تقف عندها السلطة في التدخل بما يعيق استعمال تلك الحقوق او يؤدي الى تقليص ظلها . وفي مقدمة ذلك فتح المجال للرحب بحرية المرء في اختيار مصادر ثقافته ومعرفته . فسياسة تقليص دور النشر والاصدارات العلمية او حصرها بمصدر معين لا يؤدي الا الى الاحتكار لاسيما وان دور النشرنا الآن وبقدر معلوماتي تعتمد في تمويلها على الخزينة العامة لأن الظروف لم تنتهياً بعد لاقتبال القطاع الخاص ولا إستعداد هناك لمغامرة تجارية خاصة بالاحرى بالمعنى المفهوم لدى الديمقراطيات الغربية وسببه الوضع الاستثنائي الذي يعيشه الاقليم . وهذا

يقتضي من المسؤولين طبعاً احلال نوع من التعادل والمساواة في تشجيع دور النشر دون محاباة او تفضيل.

نقول: شهدت العقود العشرة الاخيرة من القرن الماضي هزيمة الاشتراكية امام السوق. وبعبارة اخرى انتصار المنافسة الاقتصادية الحرة على الاحتكار. والعالم يشهد حتى تلك الدول الباقية التي تأبى الا التشبث بالعنوان الاشتراكي لم يبق منها غير عناوينها وهي تتسابق لفسح المجال امام المشاريع الخاصة المتماثلة في ميدان السوق الحر، وهي السبيل المعروفة المؤدية الى تحريض عامل الابداع والابتقان. وبخصوص النشر والاصدارات، مازلت مثلاً ارنو باسف وحسرة الى المطبوعات الانيقة من كتب ومجلات كانت تصدرها دور نشر عديدة في مصر - بكل ماتحويه من ابواب المعرفة المنتقاة - قبل سيطرة الدولة عليها بالقوانين الاشتراكية التي فرضها حكم عبدالناصر وقضى بها على دور النشر الخاصة وحصرها بالدولة احتكاراً. وكيف تدنت الاعدادات مبنية ومعنى باختيار الدولة ما ينسجم مع فلسفتها واهدافها واسقاط مالاتراه متسقاً. وللمقارنة كنت اتناول مثلاً عدداً من مجلة الهلال صادر في الاربعينات وأضاهيه بعدد آخر صادر من المجلة نفسها عندما دخلت تلك الدار نطاق احتكارات الدولة بعوامل الادغام.

س: يخطر ببالي السؤال عما اذا كنتم قد فوتمتم هنا من قبل دار نشر اخرى غير دار ناراس بخصوص نشر بعض مؤلفات اوتراجم؟

كلا. لم افتاح بعرض جدي غير عرض وزارة التربية باصدار الطبعة الخامسة من كتاب (تراث الاسلام) كما بينت وانا لست معملاً للتفريخ لاتمکن من سد طلبات الشارين وقد بسطت لك في مبدأ الحديث مشاريعي القلمية التي تجد الآن سبيلها الى المطبعة. وما تبقى عندي من ترجمات ومؤلفات مازالت مخطوطة فقد نوهت به في آخر الجزء الثاني من كتاب (تراث الاسلام) وجله ما استحسننت نقله الى العربية في اوقات متباعدة من حياتي بدافع حنيني للادب وواقع نشأتني الفكرية ذات الاتجاه الصارخ الى عالم الادب. وليس لاي منها علاقة بالمسائل الكوردية ولا بالتاريخ العام الذي انصرفت كلية للكتابة فيه. فلعل في بعض تلك العناوين ما يغري دور نشر اخرى على مفاحتي بشأن طبعها وشروطي بسيطة وسهلة: مقدار زهيد من النسخ على سبيل المكافأة لاغير - وليست هناك شروط مالية - وبابي مفتوح لاي ناشر.

س: حظيت آراؤكم التي بسطتموها في الحلقات العشرين الماضية من احاديثنا باهتمام

واسع واقبال. ويظهر ان بعضها لم يقع موقع رضى من بعضهم وقد نشرت تعليقات وانتقادات لبعض تلك الآراء. ما هو موقفكم منها؟ هل لديكم نية في رد ما؟

لم اضع لنفسي منهجاً للدفاع عن الآراء التي اطلع بها على القراء. ولم اخصص - بل لم يدر في خلدي يوماً أن اخصص - من وقت عملي دقيقة واحدة لمجرد التفكير في الرد على منتقد او معترض. ولا يخطر ببالي اني فعلت ذلك طوال حياتي غير مرتين وعلى صفحات هذه الجريدة نفسها التي تنشر اقوالي الآن. اولها كانت قبل اكثر من اربعين عاماً والرد كانت تحتمه ظروف سياسية دقيقة جداً وكان تكليفاً حزيناً. والثانية كانت كما يذكر القراء تعقيباً على ملاحظات للصديق العزيز الاستاذ محسن دزئي وقد اضطرت اليه لأسباب ثلاثة اولها للاقرار بعدد من الاخطاء التي وردت في كتابي «زيارة للماضي القريب» وقد اشار اليها الاستاذ فاعترفت بها منتهزاً الفرصة خشية ان اوضع في عداد اولئك الكتاب المكابرين المعتزين بما يكتبون المستنكفين عن الاقرار بالخطأ. وثاني الاسباب لاجل تصحيح وهم شائع يتعلق بوقائع معينة من حياتي. وثالثها لأهتبلها فرصة ادمع بها آراء ووقائع معينة وردت في الكتاب وكانت بحاجة الى زيادة من الايضاح.

كما ترى - وكما عهد القراء بكتاباتني - انا اعرض آراء ومستجدات على التاريخ المعروف. يكاد كلها يكون مدعماً بوقائع ووثائق ونصوص لا يداخلها تزوير أو تحوير. وبضاعتي هذه - ان صح ان تسمى بضاعة - لا يقصد بها ربح بأي شكل يبدو هذا الربح. انها عينة او نموذج غير معروض للبيع. والاسلوب الذي اتبعه في عرضها لاتصاحبه طبول ومزامير وهرج ومرج. لأنني ما قصدت بها ارضاء كائن معين مهما علت منزلته. ولا وسيلة للتقرب من هذا السلطان او ذاك مهما ارتفع مكاناً. ولا لكسب ثقة عظيم مهما سمت به المراتب، لأنني ما شعرت في اي لحظة من حياتي بضرورة التمسح بالأعتاب والتسكع حول الموائد. ولا كنت في حاجة الى التكبسب من وراء قلمي. وخلصائي واصدقائي ومتابعو مراحل حياتي يعلمون جيداً اني لم اسكت ولاكنت شريكاً في مؤامرة صمت ولا متسترأ على خطأ تاريخي، ولا ناكصاً عن اي محاولة لتعديل خطأ تاريخي او رأي افلج بهذا المنحى جرى مجرى المسلمات واحيط بالهيبه والرهبه وصار من جملة المقدسات.

التعامل مع التاريخ ورجاله

س: لكل مؤرخ نهج خاص يهتدي به. وعملية التصحيح التي نوهتم بها هنا على اي شيء تعتمد ولأي قانون او مبدأ تخضع؟

لا يتسع المجال لايفاء هذه النقطة حقها ونحن نتحدث عن النقد والناقدين كما لا اود ان أترك حديثي ناقصاً. اقول باختصار ان محاولاتي في معالجة التاريخ باحداثه ورجاله لا اقدمها كبدايل ولا كمسلمات. وهدفي فقط مقدار ما احصل عليه من نجاح في حمل القاريء على التأمل والتفكير في وجهة ما اعرض وتقليب وجوه الرأي والمقارنة. والمسألة لا تمس من قريب او من بعيد مقدار ما اكون جريئاً او مقتصداً. وعلامة الطريق التي اهتدي بها، او بالاحرى القبان الذي أزن به احكامي هو المباديء الديمقراطية الاصيلية. حقوق الفرد ازاء الدولة ضمانات الاستمتاع بالحريات العامة التي توفرها الدولة للجمهور. العوامل الفردية والدوافع الشخصية التي تدفع صانعي التاريخ الى التأثير في مسيرة التاريخ. وفي المبدأ كان همي مقصوداً على تبيان الاخطاء الكبيرة التي وقع فيها المؤرخون العراقيون وبعضهم اقدم عليها بأعين مفتوحة ترضية لهذه الحكومة او تشنيعاً بتلك. وتشهد عليها كتب التاريخ الدراسية المقررة الدائمة التغيير بتغيير نظام الحكم اذ كثيراً ما وجد الطالب كتاب التاريخ الذي يدرس فيه. يسحب منه ليوضع بيده بديل تتعارض وجهات النظر المبسوطه فيه مع الكتاب السابق. ثم اتسعت دائرة كتاباتي في هذا لتخرج عن نطاق تاريخ العراق ملتزماً عين النهج الذي نوهت به.

واعود الى عالم الناقدين والنقد وسياسة الرد. وجدت معظم الردود والتعقيبات على ما اكتب وهي قليلة جداً - بالمقارنة مع التشجيع والثناء - انها تخلو من مواجهة صريحة وطعن مباشر بالاسانيد والمراجع التي استند اليها واستشهد بها. ليس فيها سند مناقض لما رجعت اليه او امتريت منه. ولمست في اغلبها الاغراض ومجرد التحرش وحيث لا يجد الناقد ما يرد به على الحجة بالحجة، فيرتد الى شخصي لينال مني بقبيح اللفظ وسوء الصفات ما اخطأ في النيل من اطروحاتي وما عجز عن دحضه من منطقتاتي. فكيف تريدني ان أحشر قلبي في هذا الميدان؟ (٣٣).

(٣٣) ليس في المسألة أي تعقيد وهي بهذه البساطة: أنا لا أخلق الأحداث ولا أخترع ولا أرجم بالغيب وما أبسطه من خلال كتاباتي في التاريخ منتزعة من مصادر تاريخية معتبرة إحتلت مكانها في التاريخ. مصادر هذه أمام كل إنسان. إلا أن بعض الناس لا يقرأون ولا يتتبعون ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث والتنقيب كما أفعل ليطهروا =

انت تذكر جيداً مثلاً مقالين من هذا النمط نشرا في القدح بي وفي هذه الصحيفة بالذات ايام كان غيرك رئيساً لتحريرها اولهما نشر قبل ثمانى سنوات بلغ كاتبه حداً من الحطة والجبن ان احجم عن تذييله باسمه الصريح واتخذ له اسماً مستعاراً. وقبلت رئاسة تحرير الجريدة في حينه وهو مصدر عجبى ان ينزل المقال بهذه الجريدة التي هي لسان حال حزب نضالي كبير له امجاده هكذا. اعني انها قبلت بمبدأ التستر على الكتاب البذيين. وهو امر يخالف تقاليد الصحف الناطقة بلسان احزابها.

كلا يا سيدي، وألف كلا. لا اظنك تريدني ان انزل الى مثل هذا المستوى. ما اظنك تريدني اضاععة وقتي مثلاً في رد على مقال تشهيري آخر نشر في خه بات نفسها. كان فيه من عبارات القذف والتشهير والشتيم ما لايناسبه غير سوق الجناة الثلاثة المشاركين الى ساحة القضاء لولا حرمة من له حرمة عندي. افتريدني اجلك الله ان اطوح بسمعة جريدة كنت واحداً من بناء مجدها ونضالها، لم يبال بالمحافظة على سمعتها بعض الذين اوتنوا عليها او وكل اليهم امرها خلال رحلتها التاريخية؟.

كلا يا سيدي. فأنا لا اضيع وقتي في الكتابة لواحد فقط من القراء لم تعجبه افكارى محاولاً اقناعه بين قراء كثيرين يريدونني ان اكتب ويتوقون الى قراءة ما اكتب، والا جعلت نفسي لاعباً من لاعبين اثنين على الحبل في (سركس) يتطاعنان بالقصبات امام جمهور ضاحك مصفق وهاتف متحمس لهذا البهلوان او لذاك.

س: سؤالنا الاخير. ولعل الجواب عنه سيكون تكلمة لما انجر البحث فيه حول تعاملك مع الشخصيات التاريخية والوقائع التاريخية فالي جانب ما عده المتابعون لهذه الحلقات من قبيل المفاجآت عند تناولك الشخصيات السياسية العراقية. لاحظ بعضهم نوعاً من الصرامة في الاحكام. والظعن احياناً فيما عد من الحقائق التي

= سقطات لي أو إساءة نقل أو تزوير أو سوء إستشهاد. ولا أدري أهذا من سوء حظي أو سوء حظهم أو سوء حظ القراء الذين يقرأون لهم. وهم عادة وتغطية لكسلهم أو عجزهم أو محدودية فيهم يتسقطون فيما يعدونه هفوات فإذا بهم يقعون في هفوات. ويغلب على المعترض من أمثال هؤلاء ما ندعوه (بالفكرة المتسلطة Idea Fixe) إستوتل عليهم وملكت المذاهب وعلقت في وقت أو ظرف معين فإعتز بها وأبى مفارقتها متشبهاً بها تشبث المشوق المستهام معتبراً كل ما يقرأ ضدها كفراً وإعتداءً على مقدسات. ولو جئت بألف حجة وحجة. ليس عندي لهؤلاء العجزة غير الرثاء والشفقة. وليس عند هؤلاء لي غير التشبه بقول ابو الطيب المتنبي:

لاياتيها ريب وبعضها كان يثير احتجاجاً عند فريق من القراء، فما هي الطريقة المثلى في نظركم للتعامل مع تاريخنا؟

التاريخ بصورة عامة، هو خلاصة تجارب البشر وهي مادة حية فاعلة تأبى مطلقاً الجمود. والمؤرخون أو كتاب التاريخ -او سمهم ما شئت- في عصورنا المتأخرة هذه التي حفلت بالوثائق والتسجيلات والارشيفات والنشاط الآثاري ويلحق بذلك جمهرة من المحققين المنقبين عن الشواهد والبيانات، إنهم اشبه بمملكة من ممالك النحل في خلية ناشطة لتزويد عالمها بالمادة الغذائية الصالحة. دائبة على تنظيم دواخل الخلية وكنسها من الأوضار منهمكة دوماً في هدم هذا الجدار القديم وبناء آخر جديد. ومدافعة عن حماها من غائلة المخربين المعتدين. ولا بد من ضحايا في كل معركة من معارك الحياة وفي معركة الوصول الى الحقائق التاريخية تقع خسائر وتنقلب مفاهيم وتتجدد نظرات ويوضع صانعو التاريخ على السّفود ويُقلبون ظهراً لبطن فوق نار حامية. وكل يوم يطالعنا اكتشاف معين يضاف الى التاريخ البشري أو يلغي أو يعدل جزء منه. ولتجارب الحكم وتبدل الانظمة وطرازها ومردود سياساتها على الامم والشعوب التي تحكمها، دور رئيس في صنع التاريخ ومواجهة المؤرخين. لو ارسلنا الطرف الى مقدار ما اعتور تاريخ البشر من تعديل وتصحيح منذ بدء تسجيله لما وسعتنا مجلدات ومجلدات. لا اريد ان اخذك مثلاً الى ابعث من الحربين العالميتين الاولى والثانية على سبيل المثال. وهما احدتان من اهم مراحل التاريخ البشري. كم الفت فيهما وفي اثارهما السياسية والاجتماعية من كتب وكم قلبت المؤلفات من مفاهيم أو المؤلفات الأخرى. وكم عدل خلالها من احكام معينة فرضتها سياسة معينة بجريمته وفرضها مؤرخون لا يخدمون الحقيقة بل جهة سياسية او لغرض سياسي مقصود. وسأضرب لك مثلين على سرعة التغيير:

جرى في موسكو (١٩٣٧-١٩٣٩) ما عد قبل محاكمات نورمبرغ اهم واعظم محاكمات سياسية في التاريخ وتم خلالها تصفية معظم قادة ثورة اكتوبر الكبار والقضاء على اكثر من ثلاثة ارباع اللجنة المركزية والكوادر العليا السوفياتية بتهمة الخيانة والجاسوسية والاتصال بالاجنبي بهدف تدمير الكيان السوفياتي وكانت محاكمات علنية تسابق المتهمون فيها كل بدوره للاعتراف بجريمته الكبرى ولم تلحظ اي عين نافذة من الصحفيين والدبلوماسيين الاجانب الذين حضروا المحاكمات اثراً من شدة او معاملة قاسية ادت الى انتزاع هذه الاعترافات الشخصية منهم فأدينوا وحكموا واعدموا. وصدقت الاغلبية في المجتمع العالمي بما جرى واكبرت العدالة السوفياتية وكتبت حول خيانة هؤلاء مئات من كتب التاريخ، وهوجت تلك القلة التي شككت في حقيقة ما حصل وبدا الامر وكأنه حقيقة تاريخية لاياتيها ريب. ثم دار الزمن دورته. وبدأت - بعد عشرين سنة من هذه المأساة التاريخية - عملية رد

الاعتبار لهؤلاء الضحايا ليضعوا في مكانهم التاريخي الصحيح بمجهود قلة من المؤرخين والمحققين الطلعة الذين نذروا انفسهم لتصحيح المفاهيم التاريخية المزيفة. امام ذهول شيوعي العالم المساكين الذين ارغموا على ابتلاع هذه الكذبة الكبيرة وغذوا بها جيلاً كاملاً.

ولأخذك مع القراء الى تاريخ ابعده قليلاً من هذا لترى ما عمله المؤرخون بحدث تاريخي معين في اعقاب الحرب العامة الاولى: وقد أوردته في الصحيفة (٧) من الجزء الاول لمؤلفي «مغامرة الكويت: الوجه والخلفية» وهو الكتاب الذي كرهه وقاطعه الكويتيون والسعوديون والامريكان فضلاً عن العراق. لأن فيه عناصر اتهام وتجريم لكل من هذه الاطراف تأبى ان تذكر بها. وما اجتزؤه منه هنا ورد في مقدمته:

قلت: اول صيغة (للحرب الباردة) وهي الصيغة التي اتخذها المفاوضات الروسي (تروتسكي) في صلح برست ليتوفسك ١٩١٨ كمحاولة للتحدي والاعتذار عن قبول شروط المانيا القيصرية في عقد صلح منفرد مع روسيا. والتاريخ العام يطبق على ان هذا المفاوضات ذهب للتفاوض وهو مزود بتعليمات دقيقة وصريحة وتوجيهات محددة من الحزب الشيوعي ولينين فنفسها بكل امانة وقد ايدت دائرة المعارف السوفيتية بطبعة ١٩٢٧ لكاتبها المؤرخ (منتس) هذه الحقيقة بتدوينه فيها هكذا:

«حمل تروتسكي الى (برست ليتوفسك) صيغة (لاسلم ولاحرب) بتوجيهه من الحزب الشيوعي.

لكن ويعد ان تأزم الوضع بين تروتسكي وستالين في ١٩٢٩. اسرع المؤرخ السوفيتي الشهير (ياروسلافسكي) ليكتب في كتابه (تاريخ روسيا) حول هذا:

«في مجرى صيغة (لاسلم ولاحرب) ومن اجل احداث اثر مشكوك في جدواه عمد تروتسكي وعلى مسؤوليته الخاصة الى التوقيع على معاهدة برست ليتوفسك التي كان يمكن ان تؤدي الى تدمير الدولة السوفيتية.

وفي العام ١٩٣٤ بعد طرد تروتسكي واخراجه من البلاد كتب المؤرخ (كروتين):

«اخفق تروتسكي في تنفيذ التعليمات التي زوده بها لينين شخصياً. وان تصريحه (لاسلم ولا حرب) كان ضد الامر الذي صدر له من لينين وستالين».

وفي العام ١٩٣٨ وهو عام تصاعد حملة التطهير الدموي كتب المؤرخ (پوپوف) «هذا الحقيقير تروتسكي استطاع بمظهره الخادع ونفاقه ان يخفي موقفه الاجرامي كمشعل حرب بشعاره لاسلم ولاحرب».

هكذا يجري التزوير في التاريخ.

ها نحن نأتي الى ختام جولتنا . وقد اتعبتmani واتعبتكما فعسى ان تقع ثمرة اتعابنا هذه في ارض مخصصة وهو خير ما يناله المرء امثالنا من تعويض كما ارى . وفي الوقت الذي لا يسعني الا ان ازجي شكري واعرب عن ارتياحي الشديد للقراء الافاضل الذين اشادوا بما قرأوا لي . لا استطيع ان اعتذر لذلك الفريق الذي نقم على بعض ماجاء في حديثي من تعليقات تمس شغاف ما نزل عندهم منزلة المسلمات والمقدسات . فهذا هو شأني في عرض ما آراه حقيقة ولا أحيده عنه والمجزء في الآخرة .

فهرست الأعلام

حرف: أ

- إبراهيم أحمد: ٣٣، ٤٨، ٩٠، ٩١، ١٣٦، ٢٧٠
إبراهيم بگ هنانو: ٢٧٣
إبراهيم الدرکزلي: ١١٣
إبراهيم فيصل الأنصاري: ١٦
إبراهيم كبّه: ١٣٤
إبراهيم كشموله: ١٦٠
إبراهيم وصفي رفيق: ٣٣
إبن الرومي: ١٤٤
أحمد أمين: ١٤، ١٥
أحمد البارزاني (الشيخ): ٤١، ٢٤٩
أحمد توفيق الصانع: ١٦
أحمد جعفر الأوقاتي: ٣٣
أحمد حسن التكريتي (البكر): ١٩، ١٢٤، ١٥٤
أحمد الخاني: ٦٨، ١٤٤
أحمد رشيد بگ: ١٦٧
أحمد شوقي: ١٤٣
أحمد الصافي النجفي: ١٤٦، ٢٧٧
أحمد صالح العبدي: ١٧٠
أحمد العجيل: ١٢٩
أحمد قدري: ٢٠، ١٧١، ٢١٩
أحمد نسيم سوسة: ١٥٢
أحمد الياور: ١٢٨
إدريس البارزاني: ٨٢، ٨٣، ٩٢

إدريس علي خان: ٧٨
أدولف هتلر: ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٤٩، ٥٠، ٧٣، ٨٧، ١٨٦، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٢٣،
٢٢٦، ٢٣٦، ٢٣٧
آرثر كويتسلر: ٧٩، ٨٧، ٨٨، ٨٩
أرشد العمري: ٢٥، ١١٩، ١٢٦
أرشيبالد كلارك كبير (السر): ٢٧٧
أرسطو طاليس: ٦٥، ١٧٠
إرنست مين: ٢٥٣، ٢٥٧
أرنست همنغواي: ٢٥
استور (الليدي): ٢٥
أسعد شيتنه: ١٨٨
إسماعيل عباوي (توحدته): ٢١٥، ٢٥٤
الأصبهاني (أبو الفرج): ١٥٢
أغاثة كريستي: ٢٣٦
أفلاطون: ٦٥
أكرم الحوراني: ١٠٩، ٢٠٩
أكرم فاضل: ١٤، ١٥٠
البيير كامو: ٢٥
الدوس هسكلي: ٢٥
آلفري (الميجري): ٢٥٢
ألفونس كار: ٢١١
أميل البستاني: ٥٤
أميل خوري: ٥٤
أمين الحسيني (الحاج): ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧،
٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٧٤
أمين هويدي: ١٣٥
أندريه موروا: ٢٥

أنطون ثابت: ٥٤

أنطون چيكوف: ٣٧

أنطون سعادة: ١٧٥

أنطوني ايدن: ٢٠٠

أنور خليل: ١٤

أنور شاول: ١٤

أنور المائي: ٧٠، ٧١

إيليا أبو ماضي: ١٣

إيمري ناجي: ٢٠١

حرف: ب

پاتريس ويب: ٢١

برتراند رسل (اللورد): ٢٥

برنارد شو (جورج): ٢١، ٢٥، ٢٧٩

پروسپر ميرميه: ٢٧٩

پريت (د. ن.): ٢٠٤

بشير مصطفي: ٥٥

بكر صدقي: ١٠، ٤٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤١، ١٤٥، ١٨٥، ١٨٦، ٢١٢، ٢١٥،

٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠،

٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥،

٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦،

٢٧٧

بلسودسكي: ٢٦٦

بلوتارخ: ٨٥، ٢٧٥، ٢٧٩

بنفوتو چيليني: ٨٦

بهاء الدين نوري: ٢٠٢

بهجت العطية: ٦١، ٦٢، ٦٣، ١٧٥

پوپوف: ٢٩٠

بوخارين: ٢٣، ٨٨

بيردوود (اللورد): ١٩٨

بيره ميّرد: ٥٨، ٦٨

بيكاسو: ٢٥

حرف: ت

تحسين الشيخ سعيد (المير): ٧٨، ٧٩، ١٦٦

تحسين علي: ٢٤٨

تحسين قدري: ٢٠

تروتسكي: ٨٨، ٢٨٢، ٢٩٠

التوحيد (أبو حيان): ١٥٢

توفيق الحكيم: ٥٩، ١٠٤

توفيق السويدي: ٥١، ١١٩، ٢٢٩، ٢٣١

توفيق منير: ٢٦، ٢٧، ٤٤، ٦٢، ١١٧، ١١٨، ١٧٠

توفيق وهبي: ١٥٣، ٢٠٥

تومسن (الميجر): ٢٥٦

حرف: ج

چارلس ديكنز: ١٣

جبرائيل جورج عبديني: ٢٣٥

جبران خليل جبران: ١٢

چرچل (ونستون): ٩٥

جرجي زيدان: ١٢

جرجيس فتح الله: ٩، ٥٢، ٨١، ١١٨، ١٣٤

الجزيري: ٦٨، ١٤٤

جعفر أبو التمن: ٢٢٩، ٢٦٥

جعفر الخليلي: ١٤، ١٥

جعفر العسكري: ١٩٨، ٢٣٥، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨

جلال بابان: ٢٥٦

جلال جعفر الأوقاتي: ٢٦٤
جلال الطالباني: ١٠١، ١٣٣، ٦٠
جليل العطية: ١٥
جمال عبدالناصر: ١٠، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢،
١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣،
١٣٤، ١٣٥، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢٣٧،
٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٨٢، ٢٨٥
جميل المدفعي: ٤٩، ١٣٠، ١٧١، ١٩٢، ١٩٣، ٢١٧، ٢٦٨
جمبرلين (نقيل): ٢٦
جواد علي: ١٥٢، ١٥٣
جواهر لال نهرو: ٢٥، ١٠٦
جورج (عريف الشرطة): ١٦٧
جورج لوميتتر: ٧٥
جوزيف ديفيز: ٨٨
جول فيرن: ١٣
جون هويكنز: ١٤
جوهر عزيز دزه يبي: ٣٣، ٣٥، ٣٦
جيمس موريس: ٢٦٢

حرف: ح

حاجم ابن مهيد: ٢٤٨
حافظ الأسد: ١٠٢
الحبيب بورقيبة: ١١١
حردان عبدالغفار التكريتي: ٨٢
حسن زكريا: ١٤، ٢٤
حسن الطالباني: ٢٢
حسن عبود: ٧٠
حسيب الربيعي: ١٨٧

حسين ابن طلال (الملك): ١٠٦، ١١١
الحسين ابن علي (الشريف): ١٩٨، ٢٢٤، ٢٦٩
حسين پاشا الجليلي: ٣٧
حسين جميل: ٢١، ٤٣، ٥٣، ١١٤، ١٢٩، ١٣٧
حسين عبدالعال: ٤٤، ١١٣
حسين فوزي (اللواء): ٢٧٠
حكمت سليمان: ٤٩، ١١٤، ١٣٠، ١٤١، ١٧١، ١٩٣، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥،
٢٥٣، ٢٣٥، ٢١٧
حكمت (ملا بختيار): ٢٨٢
حمدي الپاچچي: ١٩٧
حمدي صدرالدين: ٢٣٩
حمه زياد آغا: ٦٠، ١٣٣، ١٣٤
حميد برواري: ٢٧
حنا بطاطو: ٤٤، ٤٥، ٤٦، ١٢١

حرف: خ

خالد محي الدين: ١١٠
خالد النقشبندي: ٣٧
خدوري خدوري: ٢٤
خروشوف: ٨٩
خضر فندقلي: ١٦٠
خضوري شوع: ٢٤
خليل ابراهيم حسين: ١٦٨، ١٨٨
خليل أمين المفتي: ٣١، ١٢٠، ١٢١
خليل خوشقي: ٢١٨
خليل كنه: ١٠٨، ١٥٩، ٢٠٥
الخيام (عمر): ١٤٦
خيرى الشيخ سعيد (خيرالدين): ٧٨، ٧٩

حرف: د

دارا توفيق: ٨٤
دانا آدم شميدت: ١٠١، ١١١
داود الچلبي: ١٥٢
داود الصانع: ٢٣، ٢٤، ٦٦
درويش المقدادي: ١٧١، ٢٠٩، ٢١٩
ديكارت: ٦٥
ديغول (الجنرال): ٢٠٣
ديمتروف (جورج): ٢٣
ديوالي الدوسكي: ١٦٧
ديوجينوس: ٦٥

حرف: ذ

ذوالنون أيوب: ١٤، ١٥، ٢٤، ٣٧، ٤٧، ٧٠، ١٢٦، ٢٢٦

حرف: ر

رئيف خوري: ٢٥، ٥٤
رامسي ماكدونالد: ٢١، ٢٥٩
رايدنگ (اللورد): ٩٥
راديك: ٨٨
رجب عبدالمجيد: ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٤٣
رستم حيدر: ٢١٣، ٢٦٢، ٢٦٨
رشاد عارف: ٣٧
رشيد سندي: ٢٧
رشيد عارف: ١٣٧
رشيد عالي الكيلاني: ١٠، ١٩، ٤٨، ٤٩، ١٣٠، ١٣١، ١٤١، ١٤٥، ١٧١،
١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣،
٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤،
٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥

٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦،
٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٤

رضا پهلوي: ٢٦٦

رضا الطالباني (الشيخ الشاعر): ١٤٤

رفائيل بطي: ٢٢٨

رفعت الجادرچي: ١٢٩

رفعت الحاج سري: ٢٤٣

رفيق (مدير شرطة): ٦١

رفيق حلمي: ٢٢، ١٤٧

رفيق عارف: ١٨٨

روجيه مارتان: ٣٠، ٤٠

روس توماس: ٤٠

رياض رشيد ناجي الحيدري: ٢٥١

ريبنتروب: ٢٢، ٢٢٦

حرف: ز

زكي خيرى: ٢٠٢

زيد أحمد عثمان: ٦٠، ٨٤

زينوڤيف: ٢٣، ٢٥، ٨٨

حرف: س

سارتر (جان پول): ٢٥

ساسون حسقييل: ٢٦٥

ساطع الحصري: ١٤١، ١٧١، ٢٠٩، ٢١٩

سامي شوكت: ٢٠٩

سامي فتاح: ٦١

ستافورد (رونالد سيميل): ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٨٠

ستالين: ٢٣، ٢٧، ٥٩، ٨٨، ٨٩، ١٢٣، ١٦٨، ٢٦٦، ٢٨٢

ستيڤن لونجرڪ: ٢٥١

سدني ويب: ٢١
سعاد رؤوف شير محمد: ١٩٤
سعد صالح: ١٦٢
سعود ابن عبدالعزيز: ٢٣٩
سعيد الديوجي: ١٥
سعيد القزاز: ١٠، ٩٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣،
١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،
١٧٥، ١٨٤، ٢٤٥
سلامة موسى: ١٣، ٢٥
سليمان نظيف: ١٦٢
سلمان الصفواني: ٢٦٢
سليم طه التكريتي: ٢٤، ٢٥١
سليم الفخري: ١٦، ١٧، ٥٦، ٦٩، ١٧٩
سنحاريب: ١٦٤
سوكارنو: ١٠٦
سولبرگر: ٤٩

حرف: ش

شابو (الطحان): ٥٠
شاذل طاقة: ٦٥، ٦٧
شارلي شاپلن: ٢٥
شاكرا محمود نديم: ٢٤٣
شاكرا الوادي: ٢٧٠
شفيق العاني: ١٥٢، ١٥٣
شفيق قزاز: ٩٠، ٩١
شكري القوتلي: ٢٧٣
شو آن لاي: ١٠٦
شلومو دلال: ٢٠٣

شوقي ضيف: ٥٩

شوكت بامرني: ٢٨٢

شوكت شيخ يزدين: ٢٨٢

الشيخلي: ٨٢

حرف: ص

صادق شيخ بابو البارزاني: ١٦١

صالح بگ ميران: ٥٧

صالح جبر: ٤٤، ١٣٣

صالح مهدي عمّاش: ٨٢

صالح اليوسفي: ٣٧، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٤، ٧٠، ٧٢

صبحي عبد الحميد: ١٠١

صفوك الياور: ١٢٨، ١٢٩

صلاح الدين الصباغ: ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩

حرف: ض

ضياء شيت خطاب: ٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٣

ضياء يونس: ٢٦٨

حرف: ط

طارق سلمان: ٤٦

طاهر يحيى: ٢٤٣

طه الشيخ أحمد العسكري: ١٤، ٧١

طه الهاشمي: ٤٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٦٨

حرف: ع

عادل عوني: ١٣٤

عارف علي أصغر (جياووك): ٣٢

عامر عبدالله: ٤٤، ١١٣

عباس (المدرس): ١١٣، ١١٩

عباس محمود العقاد: ١٣، ٥٩

عبدالإله إبن علي (الوصي): ٣٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٥، ٢٣١
عبدالأمير أبو تراب: ٤٦، ١١٣
عبدالأمير العكيلي: ١٧
عبدالباري توفيق: ٣١
عبدالباقي سليمان (الدكتور): ١٨٧
عبدالجبار عبدالله: ١٤
عبدالجبار فهمي: ١٧٢، ١٧٣
عبدالجبار وهبي (أبو سعيد): ٤٤، ١١٣
عبدالحسين الأزري: ٢٧٧
عبدالحسين الفيلي: ٧٧
عبدالحق فاضل: ١٤، ١٥، ١٨، ٣٣، ١٤٧، ١٦٧، ١٦٨، ٢٢٦
عبدالحكيم شريف: ١١٧، ١١٨
عبدالحكيم عامر (المشير): ١٠٢، ١٠٤
عبدالحמיד الدبوني: ٢١٥، ٢٥٣
عبدالحמיד السراج: ١٠٧، ١٠٩
عبدالحמיד الثاني (السلطان): ١٣١
عبدالرحمن اليزاز: ٢٥٠
عبدالرحمن خضر: ٢٦٢
عبدالرحمن زيور: ٣٥
عبدالرحمن الشهبندر: ٢٧٣
عبدالرحمن عزام: ١٠٢
عبدالرحمن قاسم: ٢٨٢
عبدالرحمن الكيلاني: ٢٣٤
عبدالرحمن محمد عارف: ٦٥، ١٥٢
عبدالرحمن النقيب: ٢٣٤
عبدالرحيم الراوي: ٢٤٣
عبدالرحيم شريف: ١٨، ٤٤، ٤٧، ١١٣، ١٢٥، ١٢٦

عبدالرزاق الحسني: ٥٦، ٥٧، ١٢٨، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٦٢
 عبدالرزاق زبير: ٤٦، ١١٣
 عبدالرزاق السنهوري: ٤٢
 عبدالرزاق محي الدين: ١٥١، ١٥٢، ١٥٥
 عبدالرزاق الناييف: ٥١
 عبدالسلام محمد عارف: ٦٩، ٨٠، ٨١، ٩٠، ٩٩، ١٠١، ١٥٥، ٢٤٢
 عبدالعزيز الخياط (الأعرجي): ٣١، ١٢٠
 عبدالعزيز آل السعود: ٢٣٩
 عبدالعزيز طيب: ٥٩، ٢٧٩
 عبدالعزيز العقيلي: ١٨٤، ٢٤٣
 عبدالغني الراوي: ٢٤٣
 عبدالغني الملاح: ٦٥، ٦٨، ٦٩، ١٣٤
 عبدالفتاح إبراهيم: ٤٤، ٤٧، ٥٣، ٥٦، ١١٤، ١٢٠، ١٢٦، ١٤٢
 عبدالفتاح الزلط: ٨٢
 عبدالفتاح علي البوتاني: ٧٢
 عبدالقادر إسماعيل: ١٧، ١١٤
 عبدالقادر رشيد الناصري: ١٤٧
 عبدالقادر المازني: ١٣
 عبدالكريم السعدون: ٢١٢
 عبدالكريم قاسم: ١٠، ١٤، ١٥، ٢٤، ٢٩، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥،
 ٥٦، ٥٧، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٧، ٩٠،
 ١٠٠، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦،
 ١٣٨، ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، ١٦١، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤،
 ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥،
 ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠١، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٣٨،
 ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥
 عبداللطيف البغدادي: ١٠٣، ١٠٧

عبداللطيف الدراجي: ٢٤٣
عبداللطيف نوري: ١١٣
عبدالله إسماعيل البستاني: ١٧
عبدالله ابن الحسين (الملك): ٣٤، ٣٥
عبدالله الدملاجي: ١٦٣
عبدالله القصاب: ٣٤
عبدالله مسعود القريني: ٢٣
عبدالله النقشبندي: ١٥٥
عبدالمجيد حسن: ٦٠
عبدالمجيد حسيب القيسي: ٢٥١، ٢٥٢
عبدالمجيد فريد: ٩٩، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٥
عبدالمجيد محمود: ١٤٥
عبدالمجيد اليعقوبي: ٢٥٧
عبدالمحسن السعدون: ٢١٢، ٢٣٥
عبدالمحسن القصاب: ١٤٥
عبدالمملك عبداللطيف نوري: ١١٣
عبدالمهيمن سليمان البارزاني: ٩٣
عبدالوهاب الركابي: ١٤٥
عبدالوهاب الشواف: ٢٧، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧،
١٠٨، ١١١، ١١٧، ١١٨، ١٧٩، ١٨٤، ٢٤٣، ٢٤٦
عبدالوهاب الكيلاني: ٢٣٤
عبدالوهاب مرجان: ١٢٩
عبيدالله مصطفى البارزاني: ١٦١
عبيدالله النهري (الشيخ): ١٠٢
عجيل الياور: ١٢٨، ٢٥٦
عزرة ورده: ٢٥٥
عزير شريف: ٩، ١٠، ١٨، ٢٦، ٣٣، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦،

١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٤، ١١٣، ٩٦، ٨٤، ٨٣، ٥٩
١٧٠، ١٤٢، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢

علاء الدين الوسواسي: ١٦٣، ٣٣

علي إحسان (الجنرال): ١٦٢، ٢١٠

علي جودت الأيوبي: ٢١٧

علي حسين الأحمد: ١٥٧، ١٦٠

علي حيدر سليمان: ٢٢، ١١٤

علي ابن العباس: ١٤٤

علي عبدالله: ٦٠

علي غالب الأعرجي: ١٥٩

علي محمود الشيخ علي: ٢٢٦

علي الوردي (الدكتور): ٢٠٧، ٢٤٨

عمر علي (العقيد الركن): ١٥٩، ١٦٠

عمر فاخوري: ٥٤

عمر مصطفى (دبابه): ٩٠، ٩١

عمر وهبي باشا: ١٦٢

عوني يوسف: ٦٠، ١٣٣

حرف: غ

غازي الأول: ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٥٦

غازي الداغستاني: ٢٤٥

غربي الحاج أحمد: ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠

غضبان السعد: ٥٦

غوبلز (جوزف): ٢٧٤، ٢٧٦

حرف: ف

فابيوس ماكسيموس كونتراكتور: ٢٠

الفارابي: ٦٥

فاضل الجمالي: ١٥٣، ٢٤٦

فاضل حسين: ۲۲۷، ۲۸۲
 فاضل عباس المهداوي: ۱۰۸، ۱۶۷، ۱۶۹، ۱۷۲، ۱۸۵، ۲۲۲، ۲۳۴، ۲۳۸،
 ۲۴۱، ۲۴۴
 فخري كريم زنگنه: ۱۴۰
 فرانسوا مورياك: ۲۵
 فرانكو (الجنرال): ۷۹، ۸۷، ۸۸، ۲۳۰، ۲۶۵
 فرج الله الحلو: ۶۴
 فريتز گرويه: ۲۲۳، ۲۲۹، ۲۷۵
 فكتور هوگو: ۲۷۹
 فهمي سعيد: ۲۲۷، ۲۳۰، ۲۴۹، ۲۷۳، ۲۷۴، ۲۷۵، ۲۷۶
 فون در غولگه: ۲۳۰
 فيدور دوستويفسكي: ۱۶۷، ۲۷۹
 فيصل الأول: ۱۹، ۲۰، ۵۴، ۱۰۷، ۱۹۳، ۱۹۸، ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۱۶، ۲۲۹،
 ۲۴۵، ۲۴۸، ۲۶۶

حرف: ق

قاسم حسن: ۲۴
 قاسم حمودي: ۱۲۰
 قدري قلعي: ۵۴
 قسطنطين زريق: ۲۰۹

حرف: ك. گ

گارسيا لوركا: ۲۵
 كارل ماركس: ۶۵، ۶۶
 كامل الجادرچي: ۱۰، ۴۷، ۵۳، ۵۶، ۶۱، ۶۹، ۹۶، ۱۱۴، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۶،
 ۱۲۷، ۱۲۹، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸،
 ۲۶۵، ۲۶۶
 كامل عياد: ۵۴
 كامل قزانچي: ۱۷، ۱۸، ۱۹، ۲۱، ۲۴، ۲۷، ۱۲۶، ۱۲۹، ۱۷۰

كامينيڤ: ٨٨
گبرييل: ٢٥٥
گراهام گرین: ٢٣٦
گروتروڊ بل: ٢٦٥
کروتين: ٢٩٠
کمال عثمان: ٢٢٣
کمال عمر نظمي: ١١٣، ٤٤
کمال مظهر أحمد: ١٩٤
کميل شمعون: ١٧٥
الکنفاني: ٢٠٩
گوران: ٦٨
گورگيس عواد: ١٣، ٥٢، ١٥١، ١٥٢، ١٦٣

حرف: ل

لوقو (مالك): ٢٥١
لويس اراگون: ٢٥
ليچمن (العقيد): ١٦٢
ليتثينوڤ: ٢٥
لينين (فلاديمير إليچ): ٢٤، ٨٨، ٢٨٢
ليون تولستوي: ٤٠

حرف: م

مار شمعون إيشاي: ١٧١، ٢١٤
مارون عبود: ٢٥
ماري لامب: ١٣
ماکسيم گورگي: ٢٤
مالك ياقو ابن مالك إسماعيل: ٢١٤
مام عبدالله: ٧٢
مانرهايم (الجنرال): ٢٦٦

ماينوبلسكي: ٢٣
 مبدر الكيلاني: ٢٤٣
 المتنبى (أبو الطيب): ١٤٤، ١٤٧، ٢٨٧
 مجيد خدوري: ١٤
 محسن دزهبي: ٢٨٢
 محسن الحكيم: ٩٦
 محمد آغا گرماوه: ٢٥٧
 محمد بايان: ٣٧
 محمد برقي صدقي: ٢٤٩
 محمد بهجة الأثري: ١٥٢، ١٥٣
 محمد توفيق حسين: ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ١٥٠، ١٥٢
 محمد حديد: ٥٣، ٦٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٧٨، ١٧٩
 محمد حسنين هيكل: ٩٧، ١٣٥، ٢٠١
 محمد رضا الشبيبي: ١٥٣
 محمد صديق شنشل: ٦٨، ٧٠
 محمد عبدالفتاح اليافي: ٢٧٢
 محمد عبدالله عنان: ١٣
 محمد عزة دروزه: ٢٠٩
 محمد علي جواد: ١٨٥، ١٨٦
 محمد فاضل الجمالي: ٨٩
 محمد فهمي الجراح: ٣٢
 محمد محمود الصواف: ٢٤٣
 محمد مهدي الجواهري: ١٠، ٤٤، ٥٣، ٩٦، ١٢٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١
 ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠
 محمد مهدي كبه: ٥١
 محمد نوري خليل: ١٦
 محمد هرسين (الشيخ): ٩١

- محمد يونس السبعراوي: ٢٢، ٢٢٧، ٢٣٠
- محمود تيمور: ٥٩
- محمود الحفيد (الشيخ): ١٩٨، ٢٧٢
- محمود خالص: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦
- محمود سلمان: ٢٢٧
- محمود شوكت سليمان (الفريق): ١٣١
- محمود عثمان (الدكتور): ٨٣، ٩٠
- محمود عزيز: ٢٧، ١١٨
- محمود نديم إسماعيل: ٣١
- مديحة السلطان: ٢٣٥
- مسعود البارزاني: ٨٢، ٨٣، ٩٦، ٩٧، ١٥٠، ١٩٧
- مسعود محمد: ١٥٢
- مشعان الفيصل: ١٢٨
- مصطفى البارزاني (ملا مصطفى): ١٠، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٥٥، ١٦١، ١٧٦، ١٨٨، ١٩٥
- ٢١٨
- مصطفى جواد: ١٥٣
- مصطفى حمدون: ١٠٩
- مصطفى كمال أتاتورك: ٢٦٦
- مصطفى لطفي المنفلوطي: ١٢
- معمار القذافي: ١٠٢
- ملا حمدي: ٧١
- منتس: ٢٨٢
- مهاتما غاندي: ٩٥، ٢٠٨، ٢٢٣
- مؤيد طيب: ١٥٦
- موسى (م.): ٥٩

موسوليني: ٨٧، ٢٢٣، ٢٦٥
موسيس دير هاگوييان: ١٧٣
مولوتوف (قياتسلاف): ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٨٨، ٢٢٦
مولود مخلص: ٢٦٨
ميخائيل عواد: ١٦٣
ميخائيل نعيمة: ١٣
ميشيل عفلق: ٢٠٩

حرف: ن

نائيل الحاج عيسى: ٢٠٣
نايليون الثالث: ٧٥، ٧٦
ناظم الزهاوي: ٥٦، ١٢٠، ١٤٢
ناثر أكرم العمري: ١٤
ناجي شوكت: ٢٢٣، ٢٢٥
ناجي طالب: ٧٠، ١٣٤
ناظم الطبقةجلي: ٦٨، ٢٤٣
نالي: ١٤٤
نبيه أمين فارس: ٥٧
نجدة فتحي صفوة: ٢٧٣
نجم الدين السهروردي: ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧
نسيب عريضة: ١٣
نوري بگ: ١٦٢
نوري السعيد: ١٠، ١٤، ٢٠، ٣٢، ٥١، ٥٩، ٦١، ٧٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٨،
١٤٩، ١٥٦، ١٦٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦،
١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٢،
٢١٣، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٦٨
نورية عزيز شريف: ٤٤، ٥٢، ١٢١، ١٢٥
نيچيرقان البارزاني: ٨٥، ٢٨٢

نيقولا الأول (القيصر): ١٦٧

حرف: هـ

هارولد لاسكي: ٢١، ٢٥

هاشم جواد: ٤٥

هاشم العلوي: ٢٦٢

هانيبعل: ٢٠

هاي (الجنرال): ٢٤٩

هاينز (أ. د.): ٢٧٥

هاينتز (س.): ٢٧٤

هديب الحاج حمود: ١٣٦

همفري تريفيليان: ١٨٤

هواس (الشيخ): ١٢٨

هورتي (الأميرال): ٢٦٦

هيورث دون: ١١١

هيگل: ٥٩، ٦٥

حرف: و

وارد (جِي جي): ٢٥٩، ٢٦٠

والدمار گلمان: ١٩٨

وديع جرجي: ٣٢

وصفي طاهر: ١٤٨، ٢٠٥

وليم شاكسبير: ١٣

وليم شايرر: ٨٥، ٢٧٩

وليم ماكيل: ١٨٥

حرف: ي

ياروسلافسكي: ٢٨٢

ياسين الهاشمي: ٢٩، ٤٩، ١٣٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧،

٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧١

ياقو مالك اسماعيل: ٢١٤، ٢١٥، ٢٥١، ٢٥٢
يحيى قاسم: ٢٤، ٥١، ١١٦
يحيى ياسين: ٨٢
يعقوب يوسف أسّي: ١١٦، ١١٧
يفگيني پريماكوف: ٨٣، ١٢٤
يوردان (د.): ٢٣٠
يوسف إبراهيم يزبك: ٥٤
يوسف اسماعيل: ١٧
يوسف جميل ميران: ٢٧
يوسف جواد المعمار: ١٨، ١١٣
يوسف الحاج الياس: ١٤، ١٥، ٣٣
يوسف أسعد داغر: ٥٢
يوسف سلمان يوسف (فهد): ٢٣، ٤٦
يوسف الصائغ: ٦٥، ٦٧
يوسف العزاوي: ٢٤٨
يونس بحري: ٥٠
يونس السبعراوي: ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٤٠
يوهان فون غوته: ٨٦

فهرست الصور

٥	جرجيس فتح الله
١٩	جرجيس فتح الله
٥٤	محمد حديد
٦٠	إدريس البارزاني، مسعود البارزاني، وصالح اليوسفي
٧١	العقيد عبدالوهاب الشواف
٩٩	البارزاني وعبدالناصر
١٠٦	مصطفى البارزاني مع مسعود البارزاني
١١٤	الأستاذ عزيز شريف
١١٥	البارزاني وعزيز شريف
١٢٧	كامل الجادرچي
١٣٢	كامل الجادرچي
١٤٣	الجواهري
١٥٧	سعيد القزاز
١٧٣	الأستاذ جرجيس فتح الله أمام محكمة المهداوي
١٧٤	المهداوي
١٧٦	عبدالكريم قاسم
١٨٠	عبدالكريم قاسم
١٨٢	صورة كاريكاتيرية عن حكم قاسم
١٨٣	صورة كاريكاتيرية عن حكم قاسم
١٨٤	صورة كاريكاتيرية عن حكم قاسم
١٨٥	تظاهرة آب المليونية ببغداد
١٩١	الملك فيصل معه لورنس ونوري السعيد
١٩٧	نوري السعيد
١٩٩	نوري السعيد وجعفر العسكري وعلي جودت الأيوبي
٢٠٨	رشيد عالي الكيلاني
٢١٢	رشيد عالي الكيلاني
٢٢٣	أمين الحسيني
٢٣٧	رشيد عالي الكيلاني
٢٣٨	رشيد عالي الكيلاني مع هتلر

٢٤١ رشيد عالي الغيلاني متهماً
٢٤٢ ناظم الطبقيچلي
٢٤٨ جعفر العسكري
٢٥٧ بكر صدقي
٢٥٩ بكر صدقي مودعاً حكمت سليمان ومعهما گروه
٢٦٠ اللواء بكر صدقي
٢٦١ حكمت سليمان
٢٦٢ جعفر العسكري وفيصل الأول
٢٦٣ بكر صدقي بملايس مدنية
٢٦٥ بكر صدقي
٢٦٧ ياسين الهاشمي
٢٧٠ د . فريتز گروه
٢٧٢ رشيد عالي الغيلاني مع گروه

الفهرست

الموضوع	الصحيفة
تعريف بالكتاب	٧
حوار مع الكاتب والباحث المعروف الأستاذ جرجيس فتح الله	٩
الصبا والحداثة	١١
عبدالحق فاضل ويوسف الحاج ومجلة "المجلة"	١٤
زملاء في الكلية: كامل قزانجي	١٧
مهنة المحاماة	٢٧
الجهاز القضائي في العهد الملكي	٣١
المجالس العرفية العسكرية في العهد الملكي	٣٦
في حزب الشعب	٤٣
يوسف سلمان يوسف "فهد"	٤٦
التيارات السياسية إبان حركة مايس	٤٨
الإستقالة من حزب الشعب	٥٢
بدء إهتمامي بالقضية الكوردية	٥٧
عود الى الصحافة وحلف بغداد	٦١
جريدة الحقيقة = راستي (في أعقاب حركة الشواف)	٧٠
سنوات السجن - نشاط فكري	٧٣
من منجزات السجن القلمية	٨٤
وضعنا مشروعاً للحكم الفدرالي	٨٩
حول تكريم جمال عبدالناصر	٩٦
شهادة عبداللطيف البغدادي نائب رئيس ج.ع.م	١٠٧
عزيز شريف	١١٣
عزيز في مفاوضات اذار ١٩٧٠	١٢٢

١٢٦ كامل الجادرچي
١٣٤ الجادرچي وعبدالناصر
١٣٨ عن الجواهري
١٤١ مستنقع الأفكار الآسنة
١٤٤ الجواهري وقاسم
١٤٥ محمد مهدي الجواهري على هامش ذكرياته
١٥١ ترشيح لعضوية المجمع العلمي العراقي
١٥٦ سعيد القزاز
١٦٨ محاكمة القزاز
١٧٥ عبدالكريم قاسم
١٨١ إزدواجية قاسم
١٨٧ معركته في كردستان
١٨٩ نوري السعيد
١٩٥ مشروعه لحل القضية الكردية ١٩٤٤
٢٠٦ رشيد عالي الكيلاني
٢١٢ الكيلاني ومذابح آب
٢١٩ إمتهان الدستور والقوانين الشاذة
٢٢١ حركة مايس ١٩٤١
٢٣٣ في أعقاب الحركة: مذابح اليهود
٢٣٦ الكيلاني وهتلر
٢٤٠ المؤامرة والمحاكمة
٢٤٦ الفريق بكر صدقي
٢٥٠ المذابح: سميل
٢٥٧ يد بكر صدقي
٢٦٠ مذابح في الفرات الأوسط

٢٦٤	الإنقلاب العسكري
٢٦٩	أسطورة الدولة الكردية
٢٧١	ميثاق سعد آباد
٢٧٨	مشاريع المستقبل
٢٨٢	تقرير اللجنة الدولية حول ولاية الموصل
٢٨٤	الإحتكار ودور النشر
٢٨٧	التعامل مع التاريخ ورجاله

